لمن ترفع الرايات

في ذكرى مرور عشر سنوات على حرب اكتوبر
(رمضان) ١٩٧٣




تأليف

لواء أ.ح / كمال ابو العزايم

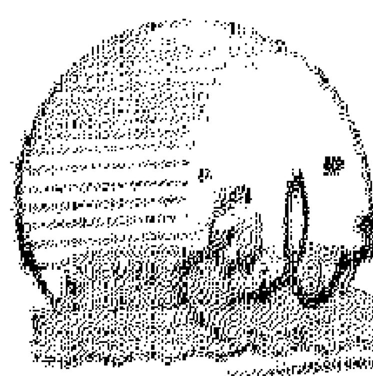


لمن ترفع الرايات

في ذكرى مرور عشر سنوات على حرب اكتوبر
(رمضان) ١٩٧٣

تأليف

لواء ع . ح /





بسم الله الرحمن الرحيم

(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم)

صدق الله العظيم



تاليف
لواء أ٠ح / كمال أبو المزايم

مراجعة المــادة العلمية
لواء أ٠ح / احمد اسماعيل فخر

الاهـداء

الى العسكرية المصرية

من خلال نضـالها المجيد

من اجل معركتها الحاسمة

مقدمة

بحلول اكتوبر من العام الحالى تكون قــد مرت عشر سنوات على حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ .. مرت علينا سريعة ومليئة بالاحداث الجسام .. عشر سنـــوات تأثرت الاحــداث فيها ســواء فى المنطقة العربية أو على الســاحة الدولية تاثيرا كبيرا نتيجة لهــذه الحرب وانعكاساتها .. عشر ســـنوات تغيرت فيهـــا استراتيجيات دول وسياسيات حكومات ومقدرات شــعوب ..

تكون قــد مرت عشر ســـنوات على ذكرى أبطــال امجاد من ابناء مصر الذين صنعوا لهــا النصر والمجــد بأرواحهم وبدمائهم .. لقــد رحلوا بعيدا عنا الى رحاب الله سبحانه وتعالى مفضلين الشــهادة فى سبيل الله لتوفير الحياة الكريمة لابنائهم واحفادهم من ابناء مصر العظيمة وامتهم العربية الخالدة .. لقــد صالوا وجالوا مع زملائهم فى معــارك اكتوبر العظيمة ضاربين المثل فى البطولة والفداء مستخدمين اعقد الاسلحة واكثرها تقدمــا وتطورا لاول مرة فى تاريخ معارك الاسلحة المشــتركة الشاملة تملؤ الشجاعــة والاقــدام مع الرحمة والانسانية قاوبهم ، واضعين أرواحهم على اكفهم ، ولايملأ نظرهم وفؤادهم غير صورة وطنهم وكرامة ومجــد بلادهم وعزة ابنائهم .

وهــا نحن الآن ، وبعد مضى عشر ســـنوات على رحيلهم ، وعلى بطولاتهم نعيش هــذا المجــد الذى تركوه لنــا ، نعيش فى أحضان هذا التراث الضخم الذى ورثوه لنــا من الشجاعة والبســالة والاقدام .. من العزة والكرامة والفخار ..

والآن وبعد ان استعدنا الشرف والكرامة والارض .. هيا بنا فى الذكرى العاشرة لانتصارهم المجيد نعــود معا للوراء الى ذلك الوقت من خريف عــام ١٩٧٣ نعــود الى السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ ونسترجع ســويا بعض ماقيل وماكتب فى الخــارج ، وحتى فى اسرائيل نفسها عن هــذه الحرب .. وعن عظمة التخطيط والاعداد السياسى والعسكرى لها .. وعن مهارة القيادات السـياسية والعسكرية على كــل المستويات فى ادارة العمليات الســياسية والعسكرية .. وعن شــجاعة وجســارة الجندى المصرى العظيم ..

لقــد كانت حــرب السادس من اكتوبر عــام ١٩٧٣ ومازالت مثار تعليق وتحليل الكثير من المحللين العسكريين وخبراء الاستراتيجية القومية فى العالم .

واذا كــان هناك شىء آخر يمكن ان يقــال فان هــذه الحرب جددت بطريقة مثيرة الأهمية الاستراتيجية للمنطقة كما اعدت المسرح للكثير مما سوف يحــدث فى المستقبل فيما يخص العلاقات الاقليمية والعلاقات الدولية .

ومن قديم الزمن نجد ان الاهمية الاستراتيجية لمنطقــة الشرق الاوسط ترجع الى موقعها الجغرافى الممتاز كارض اتصال بين ثلاث قارات كبرى ، وممر مائى بين البحار وايضا مجال جوى هام بين الشرق والغرب ــ كما ان هناك عاملا هاما آخر ظهــر حديثا فى كشف العوامل التى جعلت لمنطقــة الشرق الاوسط اهمية استراتيجية ــ هذا العامل هو غنى هــذه المنطقة بمصــادر البترول وتزايد مطالب العالم باستمرار عليه .

لقـد غيرت حـرب اكتوبر الخريطة السياسية للشرق الاوسط . وحطمت حالة الركود ودعمت من مركز الدول العربية . كذلك فانها تحدت التفوق العسكرى الاسرائيلى واظهرت التغييرات الجذرية التى يمكن أن تضيفها التكنولوجيا على ســـاحة المعركة ، بـــل واظهرت ايضـــا الدور الحيوى الذى يمكن أن يلعبه الرجال تحت القيادة التى تتسم بالعـــزم والتصميم .

والحقيقـــة ، أن هـــذه الحرب ، رغم كثرة ماكتب عنهـــا من مقالات ودراسات ، الا انهـــا مازالت تتطلب المزيد ، لمـــا احدثته من تغييرات استراتيجية فى هـــذه المنطقـــة والعالم ، ولمـــا استندت عليه من اسس ونظريات علمية ، تدعـــو الى التامل والتركيز ، و لمـــا ابرزته من دروس وأساليب عسكرية جديدة تستحق البحث والتقييم

لقـــد تحدت هـــذه الحرب ، الكثير من العقائد والنظريات ، وتغلبت على الكثير من العقبـــات والمشـــاكل . فعلى المستوى الاســتراتيجى ، هزت العقائد والنظريات التي اعتنقتها اسرائيل ، لقد حطمت هذه الحرب نظرية الامن الاسرائيلى واهدرت نظرية الحرب الوقائية . وعلى المستوى التعبوى والتكتيكى ، تغلبت على اعقد الموانع المائية ، ودمرت اقوى الدفاعات المحصنة ، ودارت معارك عنيفة ، اشتركت فيها قوات بحجم ونوع وتسليح لم يســـبق حدوثه فى المنطقة . وعلى المستوى الاســـتراتيجى والتعبوى والتكتيكى ، حققت المفاجاة بعـــد ان خدعت احدث وســـائل المخابرات المعـــادية .

وعلى المستوى المعنوى ، غيرتنا من خلالها هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، بكل ابعادها المريرة .

اسباب الحرب

هنــاك بلا شك العديد من الاســباب الوطنية والقومية والسـياسية والانسانيه لحــرب أكتوبر ١٩٧٣ .

وعن اسباب هـذه الحرب ذكر مستر كنيث هنت فى ندوة أكتوبر عام ١٩٧٥ فى البحث الذى قدمه ((عن الاصداء الاستراتيجية لحرب اكتوبر ١٩٧٣)) الاتى :

« لقـد نشبت حرب اكتوبر لان الدول العربية لم تكن راضية بالامر الواقع بالنسبة للأراضى وللسياسة ورات ان الحرب هى الوسيلة لتغيير هذا الامر الواقع ».

كما ورد فى مقالة ((تقييم ما بعد الحرب)) التى نشرت فى مجلة Military Review **عدد أغسطس ١٩٧٤ الاتى :**

ان حــرب اكتوبر ١٩٧٣ وهى الحــرب الرابعة فى النزاع العربى / الاسرائيلى خــلال الــ ٢٥ عاما الاخيرة ــ كانت نتيجة خيبة الامل الجانب العربى وخاصة مصر فى حمل المجتمع الدولى على العمل لحــل المشــكلة . ومما لاشك فيه فان الرئيس المصرى انور الســادات هو الذى اتخذ قرار الذهاب للحرب نتيجة لحالة اللاسلم واللاحرب منذ عــام ١٩٦٧ وقــد قرر الرئيس السادات جذب انظار العالم لمنطقة الشرق الاوسط من خلال النضال العســكرى للوصول عن طريقه الى مالم يتمكن من الوصول اليه فى ست ســنوات من مفاوضات سـلام ظاهرى لانسحاب اسرائيل من اراضى احتلت عـام ١٩٦٧ .

ان الحــرب الاخيرة عــام ١٩٧٣ كــان المقصود بها بدء نضال سياسى مثل نضالها العسكرى الذى هو فى الحقيقة عامل منشط للنضال السياسى .

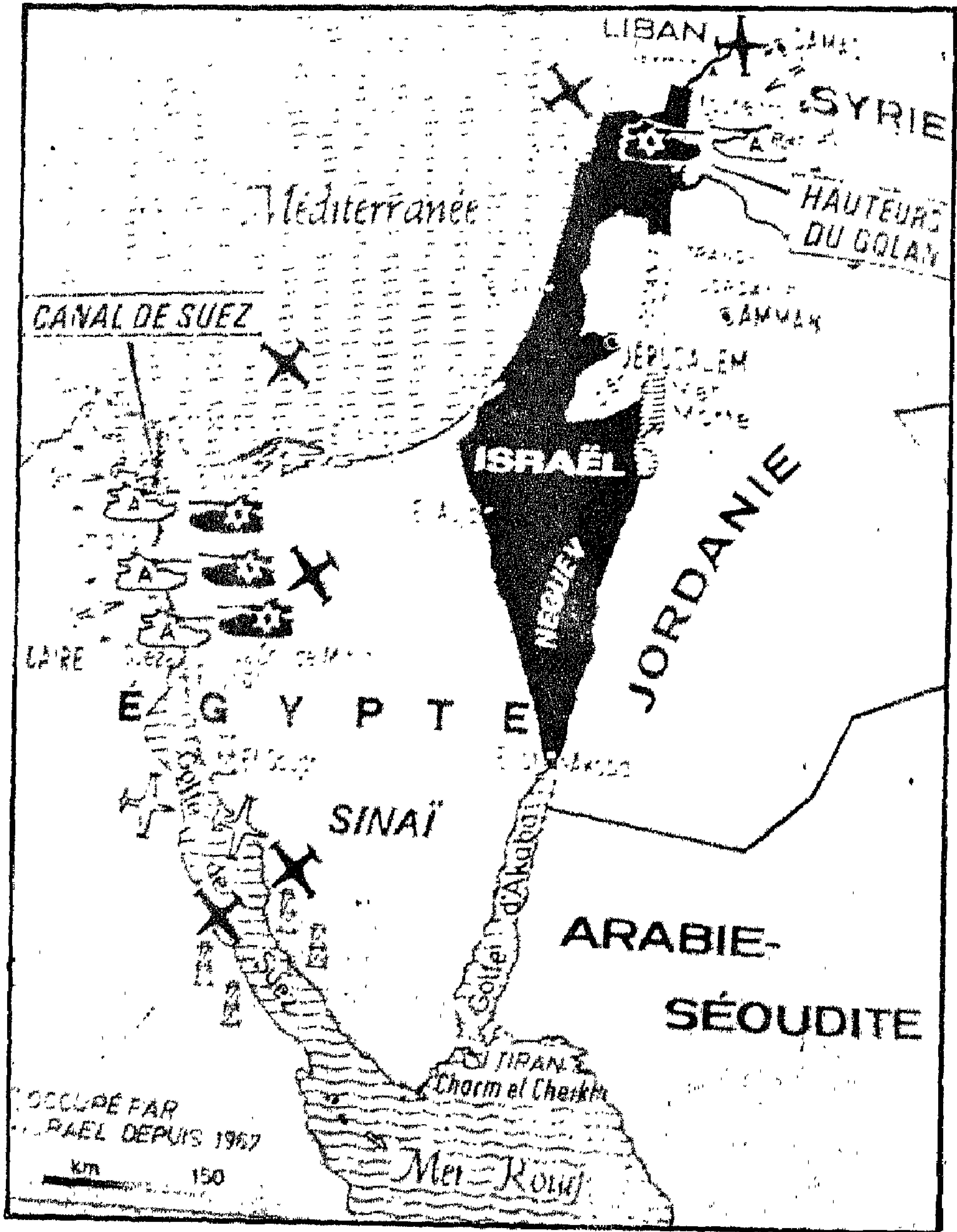
ونظرا للفشل الدبلوماسى المتتالى منذ عــام ١٩٦٧ ، فأن السادات أصبح مقتنعا بأن اسرائيل لاترغب فى اعادة اية مســاحة حقيقية من الاراضى العربية التى تحتلها وانه لا الولايات المتحدة ولا الاتحاد السوفيتى قــد تضررتا من هــذا الوضع طالمــا ان ايقاف النار مازال قائما .

وقد تبين من اجتماع القمة فى موسكو عــام ١٩٧٢ وفى واشنطن عام ١٩٧٢ ان كلا من القادة السوفييت والقادة فى الولايات المتحدة اعتبروا القضية العربية منتهية على هــذا الوضع .

كما لاحظت القاهرة ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى يمكن أن يستمرا فى مجهوداتهما المعوقة بينما هما فى الواقع مخططين تكتيكيا لتجميد الموقف فى منطقــة الشرق الاوسط على ما هو عليه بينما اسرائيل فى نفس الوقت تستوطن بهدوء المناطق المحتلة وبالتالى تشدد قبضتها على الحدود العربية .

ولم يكن الوقت فى صالح العرب . وبمرور الوقت وطالما أن المنطقة هادئة فان العالم سينسى سريعا أن سيناء جزء من مصر ، والجولان جزء من سوريا وان اسرائيل مازالت تحتل الضفة الغربية وشرق القدس .

ولم يكن أمام الرئيس السادات سوى طريقين اما الاذعان للاحتلال الاسرائيلى الابدى لجزء من الاراضى المصرية أو اجراء مخاطرة عسكرية محسوبة لكسر حالة الجمود فى الموقف وفى حالة تحد لحالة الجمود فانه كان يجب على العرب تجنب هزيمة عسكرية فاصلة أخرى .. وعدا ذلك فانهم من الناحية العسكرية لن يخسروا شيئا بالذهاب للحرب .



كان من ضمن اهداف الحرب اقناع العـدو بان استمراره
لاحتـلال اراضينا يكلفه ثمنا باهظا لايحتمله

التخطيط والاعداد للحرب

لم يكن غائبا عن الذهن عند التخطيط والاعداد لتلك الحرب ، قيود وحدودالصراع المسلح فى ظروف ذلك الوقت أو بالاحرى فى ظروف العصر ، فهى حرب تدور فى موقف عالمى بالغ التعقيد قائم على ضوابط التوازن النووى ، وسياسة الوفاق بين القوتين الاعظم ، التين فرضتا الاسترخـاء العسكرى فى المنطقـة ، مع تنافس اهتماماتهما السياسية والاستراتيجية فى منطقة الصراع .

من خلال هذا المفهوم ، كان لابد من وضع استراتيجيه عليا تحسب الخطوات وتحدد أثارها ، وردود فعلها فى المنطقة العربية وفى العالم ، بعد ان فـرض الموقف الدولى اسلوبا خاصا فى ادارة الصراع المسلح فى المنطقة ، قيد شكله ومداه .

وبناء على ذلك تم التخطيط لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، على انها حرب محلية شاملة تستخدم فيها الاسلحة التقليدية فقط ، ويكون لها اهداف استراتيجية حاسمـة ، بحيث تقلب الموازين فى المنطقة وتهدم نظريات اسرائيل ودعائم استراتيجيتها ، وتمتد زمنيا فترة تتيح تدخل للطاقات العربية الاخرى وتفرض ثقلها على نتائج الحرب .

وتحقيقا لذلك ، كان من ضمن اهداف الاستراتيجية العليا للدولة تحدى نظرية الامن الاسرائيلى ، وذلك عن طريق عمل عسكرى يكون هدفه الحاق اكبر قـدر مـن الخسائر بالعدو واقناعه أن مواصلة احتلاله لاراضينا يفرض عليه ثمنا لا يستطيع دفعه ، وبالتالى فان نظريته فى الامن القائمة على أساس التخويف النفسى والسياسى والعسكرى ، ليست درعا من الفولاذ يحميه الآن أو فى المستقبل .





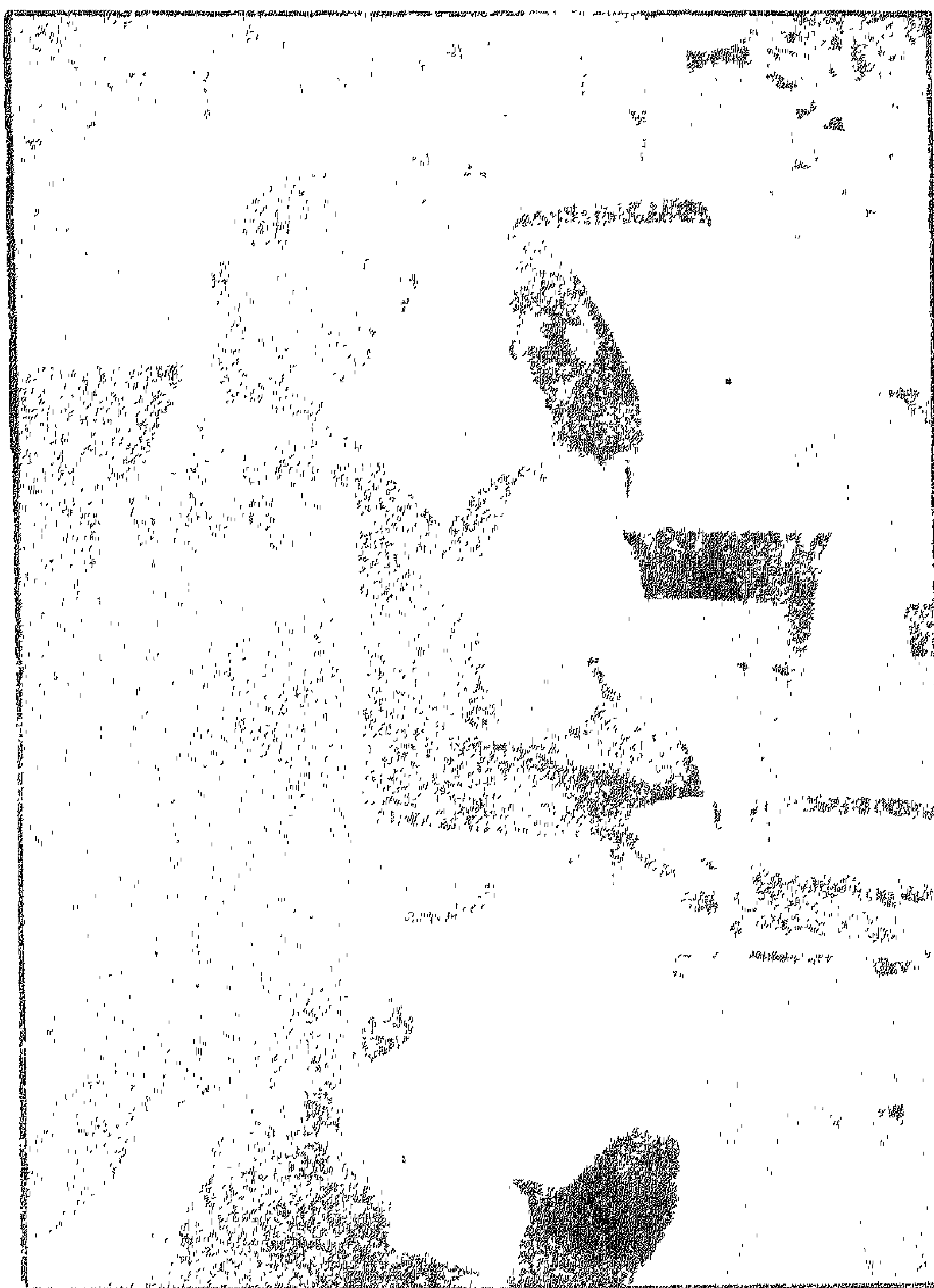
شغل الاعداد العسكرى لخطط الحرب كل تفكير القادة كاول حرب محلية شاملة تتم تحت ظـــروف الوفاق الدولى ويستخدم فيها اكبر حشد من القوات والأســـلحة

لقد كانت تلك الحرب ، اكبر حرب محلية شاملة ، تتم تحت ظروف الوفـاق الدولى ويستخدم فيها اكبر حشد من القوات ومن الاسلحة والمعدات الحديثة المتطورة ، لم يشهده تاريخ الحروب فى هذه المنطقة ، وقد تميزت باستخدام الصواريخ ، كعلامة بارزة فى عمليات القوات البرية والبحرية والجوية والدفاع الجوى ، الى جانب استخدام وسائل الحرب الالكترونية والالكترونية المضادة .

ان هذه الحرب كانت وما تزال لها الكثير من التأثيرات والانعكاسات على عالمنا المعاصر ، كما وانه سيظل لها تأثيرا فعالا وانعكاسات لعدة سنوات قادمة على تصرفات ومستقبل الكثير من دول العالم والقوى المتصارعة فيه ، لقد هزت هذه الحرب بعنف كثيرا من الموازين فى العالم ، كما غيرت الكثير من المفاهيم والعقائد التى كانت مسيطرة على الكثير من دول وشعوب العالم وخاصة الدول الغربية والدول التى تدور فى فلكها ، كما انها كانت مفاجأة للكتلة الشرقية ولزعامتها ، وكذلك الامر بالنسبة لشعوب ودول منطقة الشرق الاوسط نفسها .

فمن المنظور العسكرى يمكن الاسترشاد بما قاله الجنرال بيرجلان عن هذه الحرب من ((**أنه يمكن اعتبارها تطورا عسكريا رائعا**)) .

وحرب السادس من اكتوبر ومعاركها لها الكثير من الدروس العسكرية المستفادة ولاول مرة فى تاريخ الحروب تدار حرب اسلحة مشتركة بمفهومها الواسع تخطيطا واعدادا وتنفيذا وكانت المفاجأة الكبرى فى ذلك ان تكون الدولة المخططة والمنفذة لذلك دولة عربية قال عنها الأعـداء الكثير .



المفاجاة :

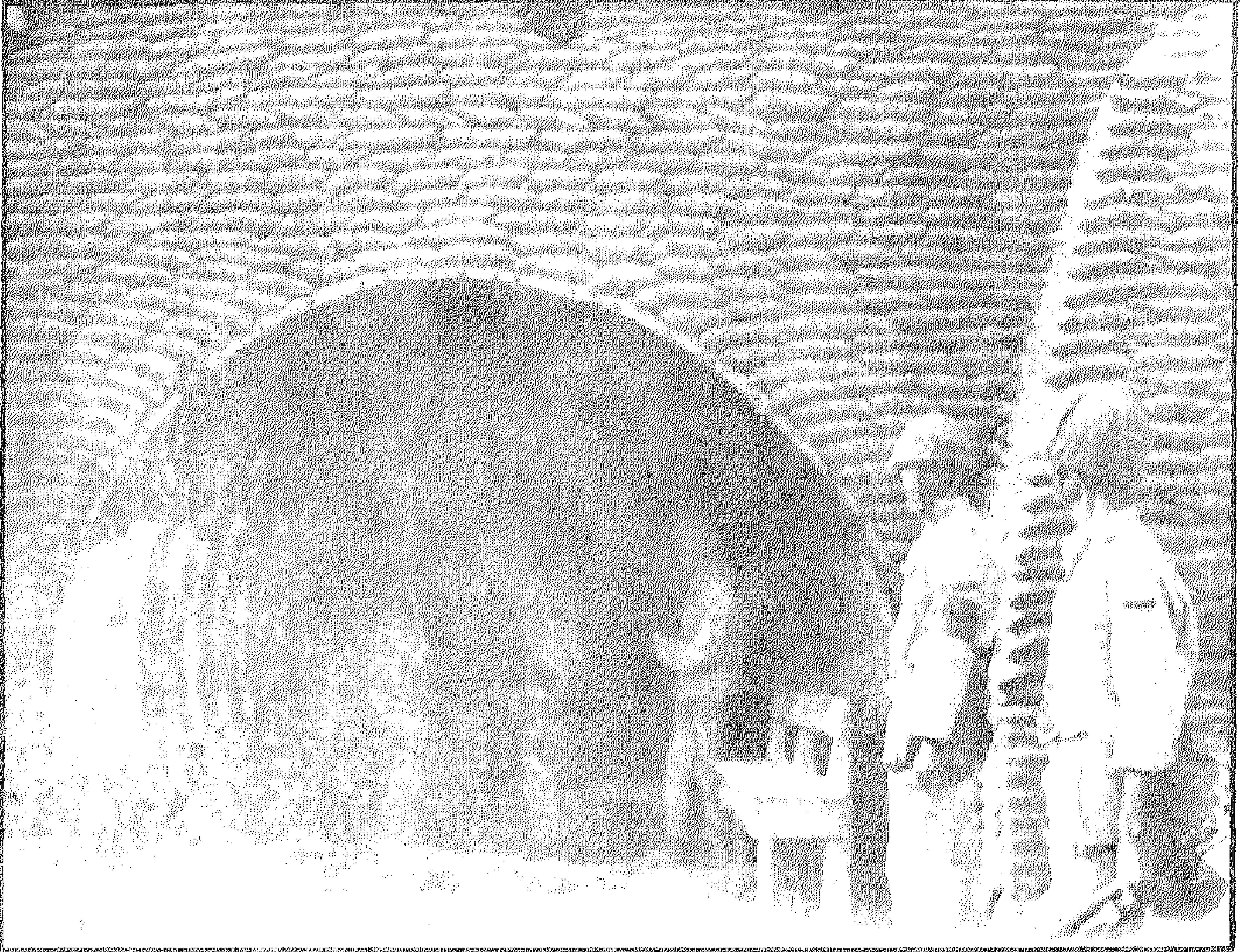
كان أول درس من الدروس المسكرية المستفادة من حرب اكتوبر هو المفاجاة ، لقد سجل التاريخ العسكرى الحديث ، امكان تحقيق المفاجاة فى الاراضى الصحراوية المكشوفة فقد تحققت فى الحرب العالمية الاولى ، وتحققت فى الحرب العالمية الثانية ، فى ظل وسائل الاستطلاع والمخابرات المحدودة .

وبالرغم من وسائل الاستطلاع الالكترونية الحديثة وغيرها من وسائل ومصادر المعلومات فقد استطاعت مصر وسوريا تحقيق نجاح لايصدق فى تنفيذ هجوم عام مفاجىء عجزت أجهزة المخابرات الامريكية والاسرائيلية عن التنبوء بحدوثه ــ كما هو واضح من المقالات المترجمة التالية ــ وكان اهم درس عسكرى يمكن استخلاصه من ذلك هو انه لا يوجد ضمان للنجاح ضد هجوم عام مفاجىء تم الاعداد له اعدادا جيدا .

وقد ورد فى كتاب زلزال فى اكتوبر « لزئيف شيف » عن الخداع والمفاجاة الآتى :

وكان الشرط الاساسى فى نجاح الخطة العربية هو السرية التامة ــ من أجل الحصول على ميزة المفاجاة .

ولتخدير المسئولين فى اسرائيل قامت حكومة مصر قبل الحرب ببضعة شهور بترك انطباع ، بانها تتجه الى الصراع السياسى بعد أن يئست ــ كما قيل ــ من



وكان الشرط الاساسى فى نجاح الخطة العربية هو السرية التامة من اجل الحصول على ميزة المفاجأة

الصراع لعسكري حاليا ، وكذلك بأنه يجرى التركيز على سلاح البترول ، كبديل لسلاح الحرب ، وجرت جهود سياسية لعزل اسرائيل من الناحية السياسية . وفى القدس فسر المسئولون الاسرائيليون بأن تحول القاهرة الى سلاح البترول ، سوف يلزمها بايجاد حاول وسط مع الدول العربية الموالية للغرب وهى السعودية وامارات الخليج الفارسى ، وانه طالما يضع السادات الامل فى سلاح البترول فانه سيطرح بعيدا استخدام السلاح الساخن والاكثر من ذلك ، قالت التقديرات ان سلاح البترول ، من شأنه ان يتضح انه غير مجد . وابتلعت اسرائيل الطعم الاول فى شبكة الخداع .

وقد قام سكرتير الامم المتحدة كورت فالدهايم بزيارة الشرق الاوسط ، فى أواخر شهر اغسطس — وفوجئ الكثيرون بأن سوريا مستعدة لاستقبال الدكتور فالدهايم ، والتباحث معه فى القرار رقم ٢٤٢ لمجلس الامن ، وهو القرار الذى عارضته دمشق بكل قوة . ومن سوريا اتجه فالدهايم الى القاهرة . وتحدث المصريون مع سكرتير الامم المتحدة . وقاموا بتسريب انباء الى الصحف بأنهم يؤمنون بالتسوية السلمية فى الشرق الاوسط .

وفى خط مواز لذلك بدأوا فى ترويج أنباء تقول بأن اسلحة مصر وسوريا ليست مستعدة للحرب على الاطلاق ، كما قالوا أن شبكة . الدفاع الجوى فى مصر وبطاريات الصواريخ المضادة للطائرات فى حالة هابطة من الناحية الفنية ، وكذلك أن صلاحية استخدام الصواريخ منخفضة ، وادعوا أن سبب ذلك يرجع الى أنه بعد مغادرة المستشارين السوفيت فى صيف سنة ١٩٧٢ قلت مقدرة هذه الشبكة . ووصلت انباء من سوريا تقول بأن الطيارين السوريين ليسوا راضين عن طائرات الميج .

وكان من الواضح للمسئولين عن خطة الخداع ، ان العملية سوف تكون معقدة وصعبة عندما يبدأ حشد القوات على مقربة من الحدود . ولذلك فقد حركوا وحدات من الجيش الى مقربة من الحدود . عدة مرات واعادوها الى اماكنها . وكانت هناك مناورة كهذه فى شهر مايو . وقد راقبوها فى اسرائيل . وبعد فترة وجيزة أعيد جزء من الجيوش المؤخرة . وعندما بدا حشد الجيوش العربية ، فى اواخر سبتمبر استعدادا لحرب يوم الغفران كانوا فى جيش الدفاع الاسرائيلى يتذكرون ماحدث فى شهر مايو ، عندما قامت فى اسرائيل ضجة على لا شىء .

وفى وقت قريب اكثر الى موعد الهجوم تحدثوا فى مصر وسوريا عن مناورات الشتاء . فى جيوشهم والى اللحظة الاخيرة تقريبا كانوا مقتنعين فى اسرائيل بأن حالة الاستعداد الموجودة غربى القناة ليست سوى مناورة كبرى . وكانت المناورة المصرية ـــ التى كان كودها « تحرير ٤١ » ـــ هى تغطية للاستعدادات الاخيرة للحرب . لقد بدأت هذه المناورة فى اول أكتوبر ، وبوصولها الى ذروتها بدأت الحرب الحقيقية ومنذ تلك اللحظة تغيرت أوامر عملية تحرير ٤١ الى أوامر عبور القناة ، والتى كان كودها هو « جرانيت ٢ » .

ان المعركة الجوية التى وقعت فى ١٣ سبتمبر اعطت للسوريين الفرصة لتوسيع خطة الخداع . وقتها بدأو فى ترويج أنباء تقول بأن اسرائيل تنوى الهجوم على سوريا . وكان الهدف الرئيسى من ذلك هو تبرير حشد القوات السورية واعمال « اليقظة » فى مصر معا . وأوضحوا فى دمشق (وقد وصل ذلك الى اسرائيل) انه ليس لديهم شك فى أن اسرائيل تنوى الهجوم قبل الانتخابات العامة المرتقبة فى

اسرائيل ، كذلك اوضحوا فى دمشق ان حكومة اسرائيل تشعر أنها ضعيفة بسبب هزائمها السياسية والاقتصادية ، لذلك فانها تبحث عن كسب فى مجـال آخر . والنصر العسكرى هـو الذى سيعيد لها ثقة الشعب الاسرائيلى لذلك فأنه يجب على العرب أن يكونوا يقظين ويحشدون القوات على طول الحـدود ، ومرة اخرى ابتلعوا الطعم فى اسرائيل ، وفهموا ان مخاوف سوريا هى سبب هـذا الحشـد السـورى واليقظة المصرية ، وقد ساعد النصر فى المعركة الجوية هذا « الفهم » لديهم فى تل أبيب .

ان خطة الخداع العربية لم تكن لتنجح لو لم يحافظ جيدا على سر موعد الحرب . وفى سوريا عرف ثلاثة اشخاص فقط بهذا الموعد وهم : الرئيس ووزير الدفاع ورئيس هيئة الاركان العامة . وكانت التحركات الى الجبهة تتم فى الليل فقط ولم يكـن يسمح للجنود الجدد الذين وصلوا الى الجبهة بالدخول الى مدينة السويس أو القرى فى المنطقة الزراعية والغيت جميع الاجازات اعتبارا من ٢٨ سبتمبر .

وقبل اقتحام قناة السويس بنصف ساعة شوهد بعض الجنود المصريين يسيرون على طول القناة وهم يرتدون الملابس الداخلية فقط وبدون سلاح . وكان البعض يربطون ـــ قمصانهم فوق سراويلهم ليظهروا ان هذا اليوم هو يوم عادى . وفى مكانين شـوهد ايضا بعض الاطفال يلعبون فوق السواتر الترابية فى الجانب المصرى للقناة .

هكذا مرت الايام الحرجة (٣ ، ٤ اكتوبر) وفى اليوم السادس فقط ازدادت شكوك اسرائيل ، وفقط وفى يوم الغفران مع بزوغ الفجر اقتنعت حكومة اسرائيل ،

بأن حربا ســـوف تنشب كما يبدو فى مساء نفس اليوم . وقال النبأ أن العرب سوف يطلقون النار نحـــو غروب الشمس . **لقد كانت خطة الخداع العربيـــة متكاملـــة وتحققت كما ينبغى .** حقا ان اسرائيل شعرت فى مرحلة معينة بما يجرى ، ولكنها لم تصدق ما يجرى امام عينيها . **وهذه المرة تغلب الذكاء العربى على الفطنة والريبـــة اليهودية .**

لقد سلبت المفاجأة الزعامة السياسية والعسكرية فى اسرائيل ثقتهم بأنفسهم ، والقليلون فقط هم الذين نجحوا فى التخلص من ذلك فى وقت الحرب ، وحتى اولئك الذين تخلصوا كانت خطواتهم بعد ذلك يشوبها التردد ، ولذلك فان جميع القرارات تقريبا تميزت بالحـــذر المبالغ فيه . وقد كشفت الصدفة فورا نقاط ضعف قديمـــة فى الادارة العسكرية الاسرائيلية كان معظمها معروف من قبل » .

ومن كتاب حياتى لجولدا مائير كان وصفها كالآتى بالنسبة لصدمة المفاجأة و عنف القتال:

« كنا نحارب اعداء كانوا يستعدون منـــذ عـــدة سنين لمهاجمتنـــا فكـــانوا متفوقين علينا تفوقا شـاملا ، كما كنا فى موقف نفسى سىء وقاس » .

اما كيف كانت هذه الايام بالنسبة لى فهذا مالا استطيع أن اصفه أو اظن انه يكفى **ان اقول اننى لم اكن قادرة حتى على البكاء كلما كنت وحدى .** كانت هناك اجتماعات مستمرة ليل نهار تتخللها مكالمات تليفونية لا تنقطع من واشنطن وأنبـــاء سيئة من الجبهة .



كنا نحارب عدواً متفوقاً علينا تفوقاً هائلاً (من كتاب حياتي لجولدا مائير)

لقد عبر المصريون القناة وضربوا بشـــدة قواتنا فى سيناء وفى يوم الاحد ٧ اكتوبر اى فى اليوم التالى للهجوم قدم ديان لى استقالته ولكننى لم أستطيع قبولها . لقد حدث لاسرائيل ما حدث لمصر فى عام ١٩٦٧ .

كما ورد فى كتاب التقصير لمؤلفيه الاسرائيليين السبع الآتى :

« ان هناك وقائع كثيرة تثبت أن هناك مجموعة من الترتيبات قد أعدت بطريقة رائعة شملت أدق التفاصيل واتاحت للمصريين والسوريين أن يستغلوا أثر المفاجأة المطلقة فى يوم عيد الغفران ولقد نسبت مصر لنفسها وحدها الفضل فى هذا النصر » .

ومع ذلك فان مدى اتساع الخدعة المصرية . ودقتها ، وهو ما يدعو حقا الى الاعجاب بحسن تنفيذها وكذلك وضعها ، كل ذلك يشكك على أنه كانت هناك مشاركة عملية من جانب السوفييت .

ففى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٧٣ ، قال المشير احمد اسماعيل على ، فى حديث صحفى لرئيس تحرير صحيفة الاهرام ما يلى :

« لقد وقع الاختيار على يوم ٦ اكتوبر نتيجة لحسابات دقيقة قائمة على العلم ، كانت كفيلة بان تجعل هذه العملية شيئا مثاليا ، من دقة وضعها وتنفيذها وتحولها الى نموذج فى تاريخ الحرب الحديثة » .

ولقد اذاعت وكالة (يونايتدبرس) يوم ١١ ديسمبر ١٩٧٢ من بروكسل خبرا يقـول :

« ان اربعين فى المـائة فقط من الاسلحة المصرية وستين فى المـائة من طيرانها هى التى تعمل . ويقولون فى بعض الدوائر الدبلوماسية البلجيكية ان ذلك راجـع بصفة رئيسية الى سوء صيانة العتاد العسكرى والى نقص قطع الغيار المصنوعة فى الاتحاد السوفييتى وهناك تقرير سرى يكشف عن انه فى خلال التدريبات التى قامت بها مصر منذ حرب الاستنزاف فانها فقدت على الاقل خمسين طائرة مـن الطائرات المقاتلة » . . ثم اتضح بعد ذلك وفى عشية عيد الغفران انه كانت ثلاثمائة وخمسون طائرة مصرية ـ من أربعمائة طائرة ـ على اهبة الاستعداد للصعود الى الجو .

ولقد كانت الصحف الاسرائيلية تعيد ترديد مثل هذه المعلومات معتمدة على نقتها فى مقالات صحف مثل (الموند) و (التايمز) كما لو كان المخبر الصحفى فى لندن اكثر اطلاعا من احد المتخصصين فى الشئون العربية فى احدى صحف تل ابيب

ففى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٢ نشر مراسل صحيفة (فاينانشيال تايميز) البريطانية من القاهرة يقـول :

« ان الجيش المصرى ليس مستعدا على الاطلاق للقتال حتى وان كان جانب من هذا الجيش ينشد خوض حرب ضد اسرائيل ومنذ ان غادر الخبراء السوفييت مصر فانهم اخذوا معهم جزءا لا يستهان به من اسلحتهم الحديثة ففقد الجيش المصرى ليس فقط قدرته الهجومية . بل فقد أيضا قدرته على الدفاع » .

ومن القاهرة ايضا كتب (ايجورمان) مبعوث صحيفة (لاستامبا) الايطاليـــة الخاص يقول :

« ان الفساد ينتشر فى مصر .. والجيش المصرى لم يعد لديه ذخائر تكفيه الا لاسبوع واحـــــد » .

ومثل ذلك كتبه كل من (دينو فرسكو بالدى) فى صحيفة (كوريرى دىلاسيرا) و (نبيرى ديجاردان) فى صحيفة (الفيجارو) الفرنسية وجيم هوكلنـــد فى صحيفة (واشنطون بوست) ، وماورد فى مجلة (اكسبريس) الفرنســـية ، ومـــا قالـــه (رولان دلكور) فى (المونـــد) حيث جـــاء :

« ان جانبا كبيرا من الخمسمائة أو الستمائة ألف جندى مصرى مرابطون عند القناة ولا يعرفون شيئا عن القتال انهم يستخدمون فى الخدمات المعاونة واماالذين استدعوا مؤخرا الى الخدمة العسكرية فانهم عاجزون تماما عن استخـــدام العتـــاد الســـوفيتى » .

ان هذا التكتيك الذى يكمن فى نشر انباء ومعلومات زائفة فى الصحافة الدوليـــة هـــو أمر معروف ومستخدم فى البلاد المتقدمة والعصرية . أنه تطبيق لنوع مـــن الاستراتيجية الدقيقة التى تعتمد على وسائل مختلفة ويسمونه بالحرب النفسية ان الصحفيين غالبا ما يجهلون أن المعلومات التى يحصلون عليها من (خبراء)أو من (مصادر موثوق بها) انما هى معلومات زائفة صنعت عمدا ولها اهداف معينة ، انهم اذن يخدمون بغير علمهم أولئك الذين يريدون تخدير العدو وجعله يغفل عن يقظته .

ولقد اعترف المشير احمد اسماعيل على نفسه بانتهاج هذه الاساليب واشـــار الى الخبر الذى نشروه عن زيارة يقوم بها وزير الدفاع فى رومانيا يوم ٨ اكتـوبر وما نشر عن السماح للضباط والجنود بتأدية فريضة الحج .

ان وزير الحربية المصرى يؤكد ان مصر قد لجأت الى سياسة تضليل العدو وان الانباء التى كانت تعطى للصحف كانت جميعها متعمدة وان مستوى الروح القتالية فى الجيش المصرى قد صور على انه منخفض وكل ذلك كان مناورة لها اثرها — اذا اضيفت الى مفاجأة شن الحرب ، الامر الذى أتاح لمصر وسوريا فى مواجهتها لاسرائيل افضل الظروف للتفوق .

والواقع ان الشرك المصرى كان جاهزا تماما يوم السبت ٦ اكتوبر ، فقد اجتمع هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى بالدكتور محمد حسن الزيات مستشار الرئيس المصرى ، وجرى اجتماعهما فى جو هادىء وتناول الحديث مبادرة السلام التى كان كيسنجر يفكر فى القيام بها بعد الانتخابات التشريعية فى اسرائيل ، والتى كان ينتظر اجراؤها يوم ٢٩ اكتوبر ، ولم يدرك كيسنجر الا بعد اندلاع الحرب ، ان الزيات الذى كان بالضرورة على علم بتاريخ الهجوم ، قد قام بدوره خير قيام فى مناورة التضليل التى وضعت حساباتها بأدق تفاصيلها .

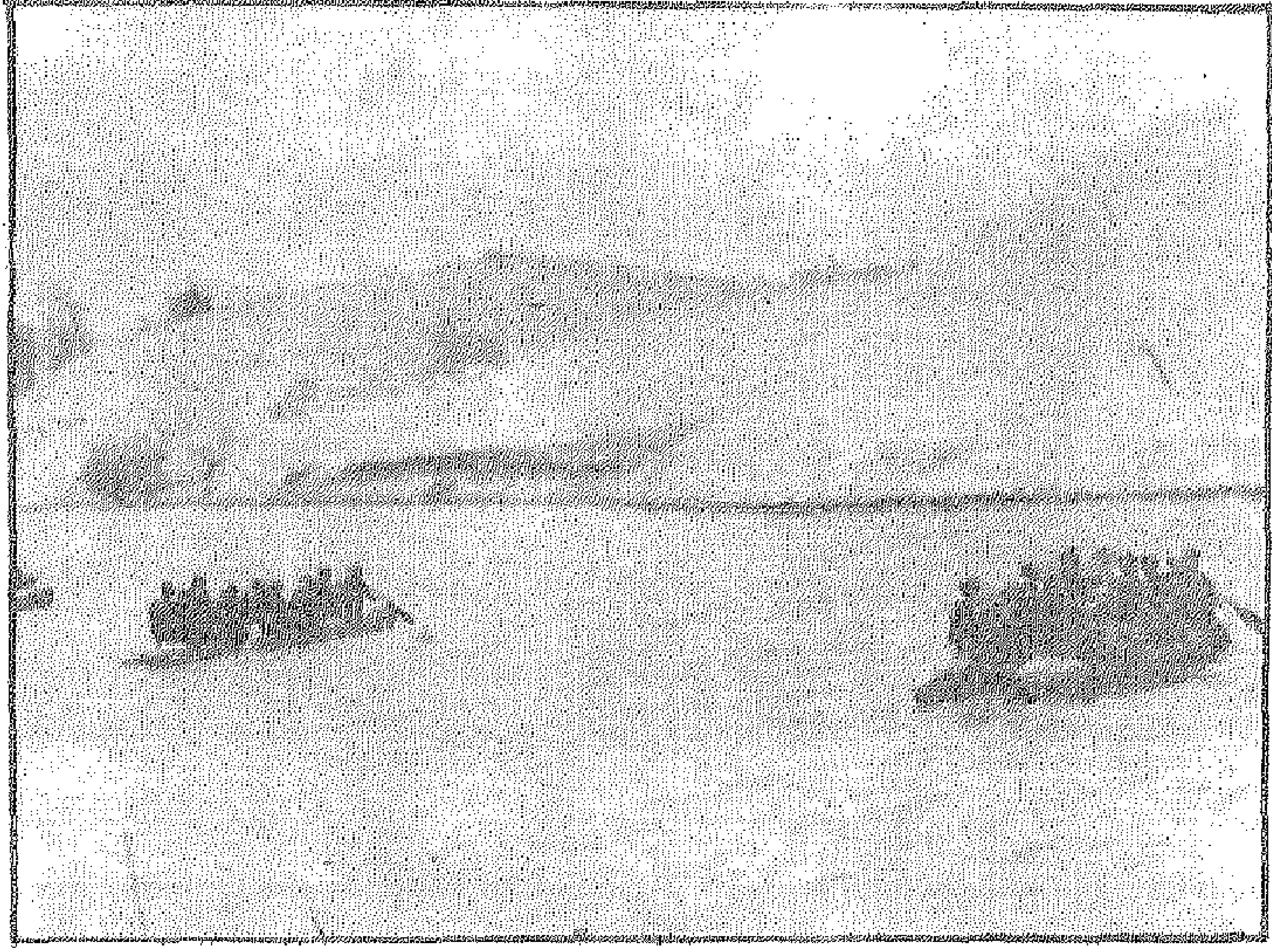
وبينما كانت المخابرات العسكرية الاسرائيلية تنام مرتاحة لبعض الوقت على الانتصار الذى حصلت عليه فى حرب الايام الستة ، **« كان المصريون يبذلون اقصى** طاقاتها من أجل تحسين مخابراتهم ، ولقد قدموا مثالا مذهلا خلال حرب عيد الغفران **عن التقدم الذى احرزوه »** .

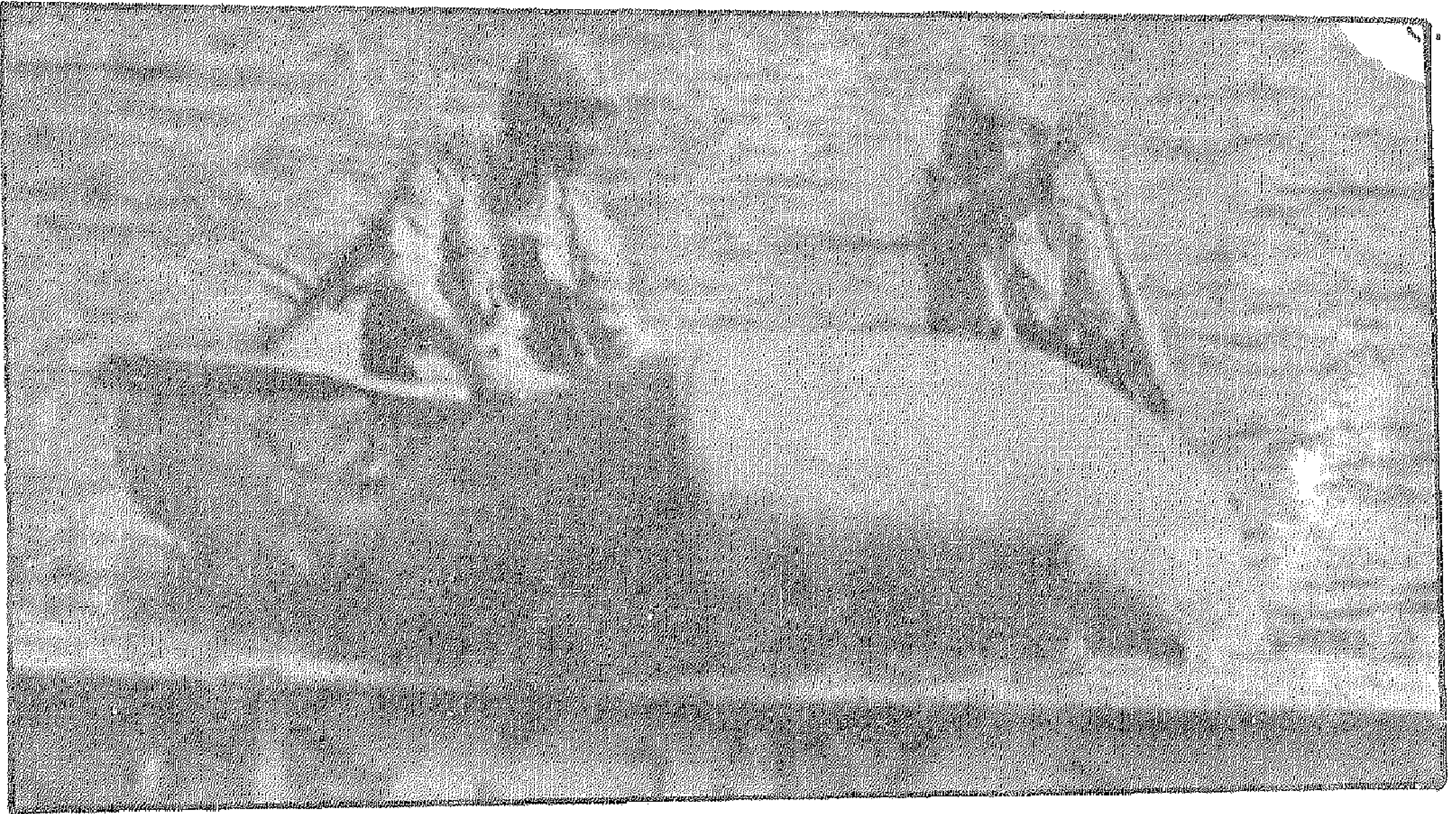
وفى موضع آخر من كتاب التقصى نجد الآتى :

«لقد كان لابد لهذا الخداع التعبوى ان يؤدى ، منذ الايام الاولى من شهر اكتوبر الى التحركات الظاهرية للقوات العربيةالتى تمت تحت سمع وبصر الجيش الاسرائيلى » .

وفى عام ١٩٧١ وجه السادات الى الشعب المصرى خطابا اتهم فيه الاتحاد السوفييتى بأنه حمله على تأجيل الحرب . وشرح انه كان عازما ، حسب وعده ، على مهاجمة اسرائيل ، ولكن موسكو لم تقدم له الدعم الكافى . ووفقا لما قاله الرئيس المصرى فان الاتحاد السوفيتى قد تذرع بالحرب بين الهند وباكستان للاعتراض على خططه الحربية . وذلك ما يفسر ان فترة التوتر الحقيقية التى سادت على طول القناة قبل حرب عيد الغفران انما كانت على وجه التحديد الفترة الواقعة فى شهر ديسمبر ١٩٧١ . وان الواحد والعشرين شهرا التى مرت بعد ذلك فى هدوء قد اساء الاسرائيليون فهمها ، **ذلك انه ابتداء من ديسمبر ١٩٧١ ، كان الرئيس السادات قد أعد الشرك الذى نصبه ، بمناوراته الكبرى التى خدرت تماما كل حذر لدى اسرائيل .**

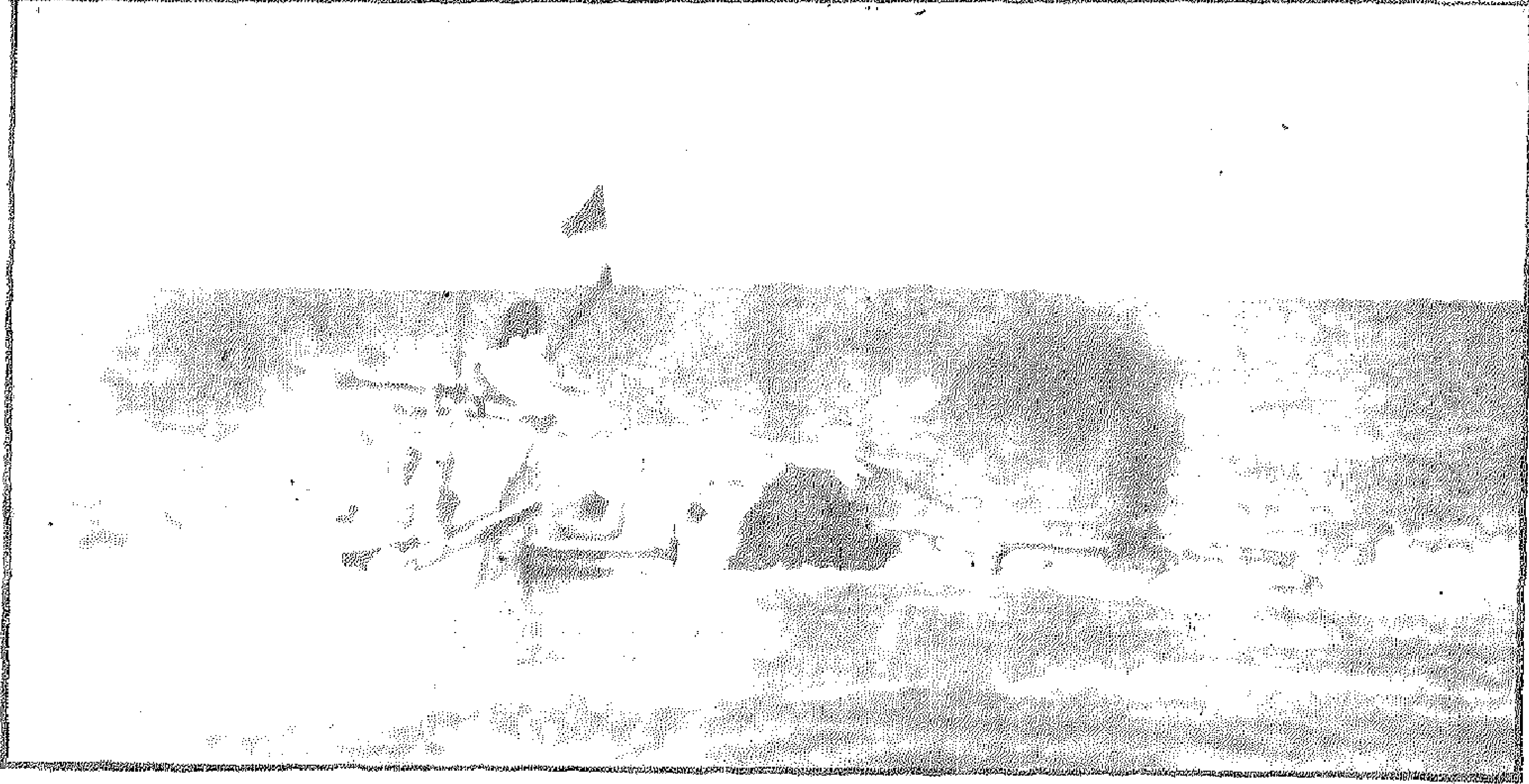
وطول صيف عام ١٩٧٣ كانت القوات المصرية تتدرب على عبور القناة ، تحت سمع الاسرائيليين وبصرهم ففى مواجهة اجهزة ومعدات التصوير الاسرائيلية اعد المصريون شواطىء للنزول عليها ، وبنوا الجسور ، ولقد عرضت الأفلام التى التقطت عن ذلك فى التليفزيون الاسرائيلى وقد قام المصريون مرة واحدة على الاقل فى عام ١٩٧٣ بتمثيل عملية عبور القناة . بادق تفاصيل ممكنة . ونقلت الصحف المصرية بتوسع سير هذه العملية التى شهدها الجنود الاسرائيليون فى خنادقهم على

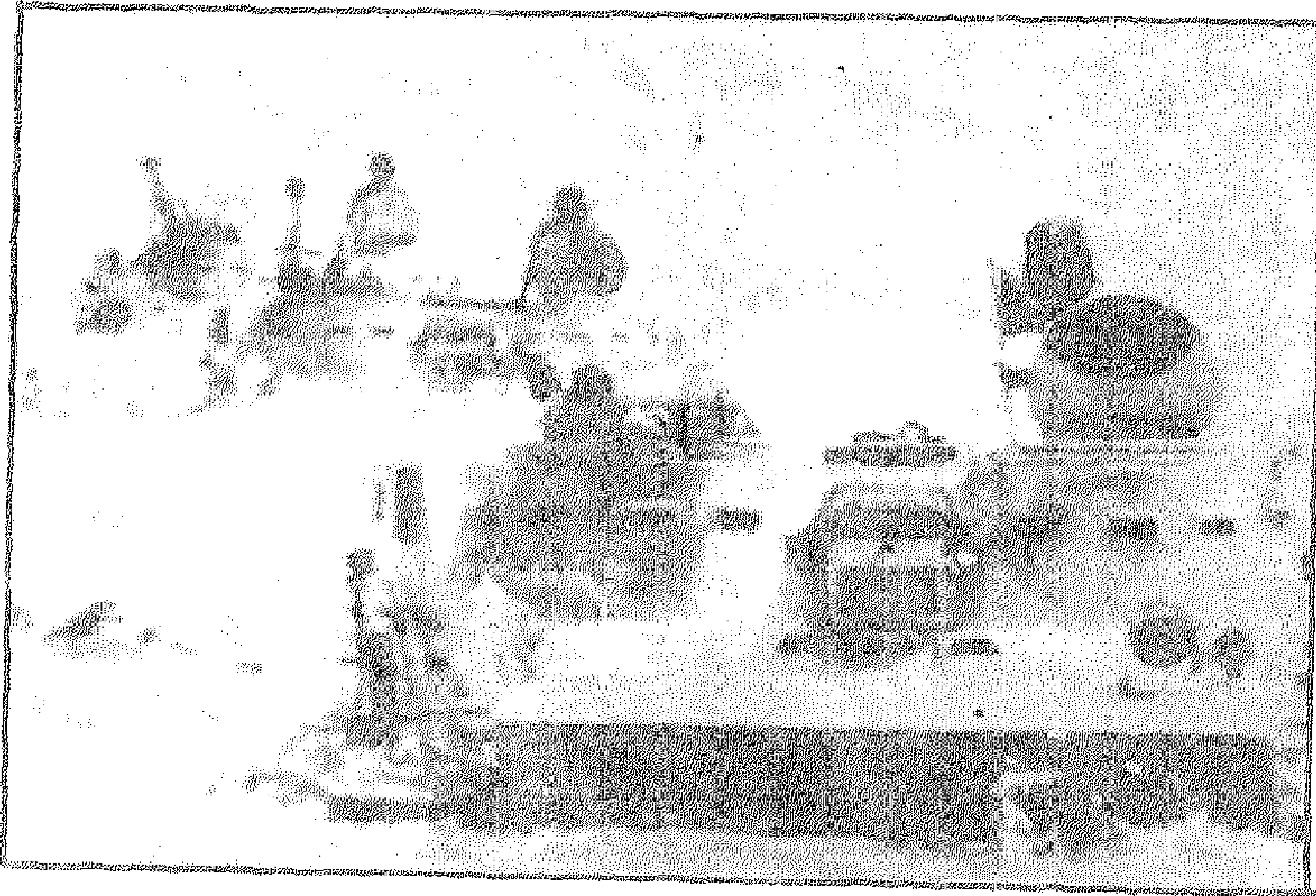




ونقلت الصحف المصرية بتوسع سير هذه العملية التى شهدها

الجنود الاسرائيليون فى خنادقهم على الضفة الشرقية





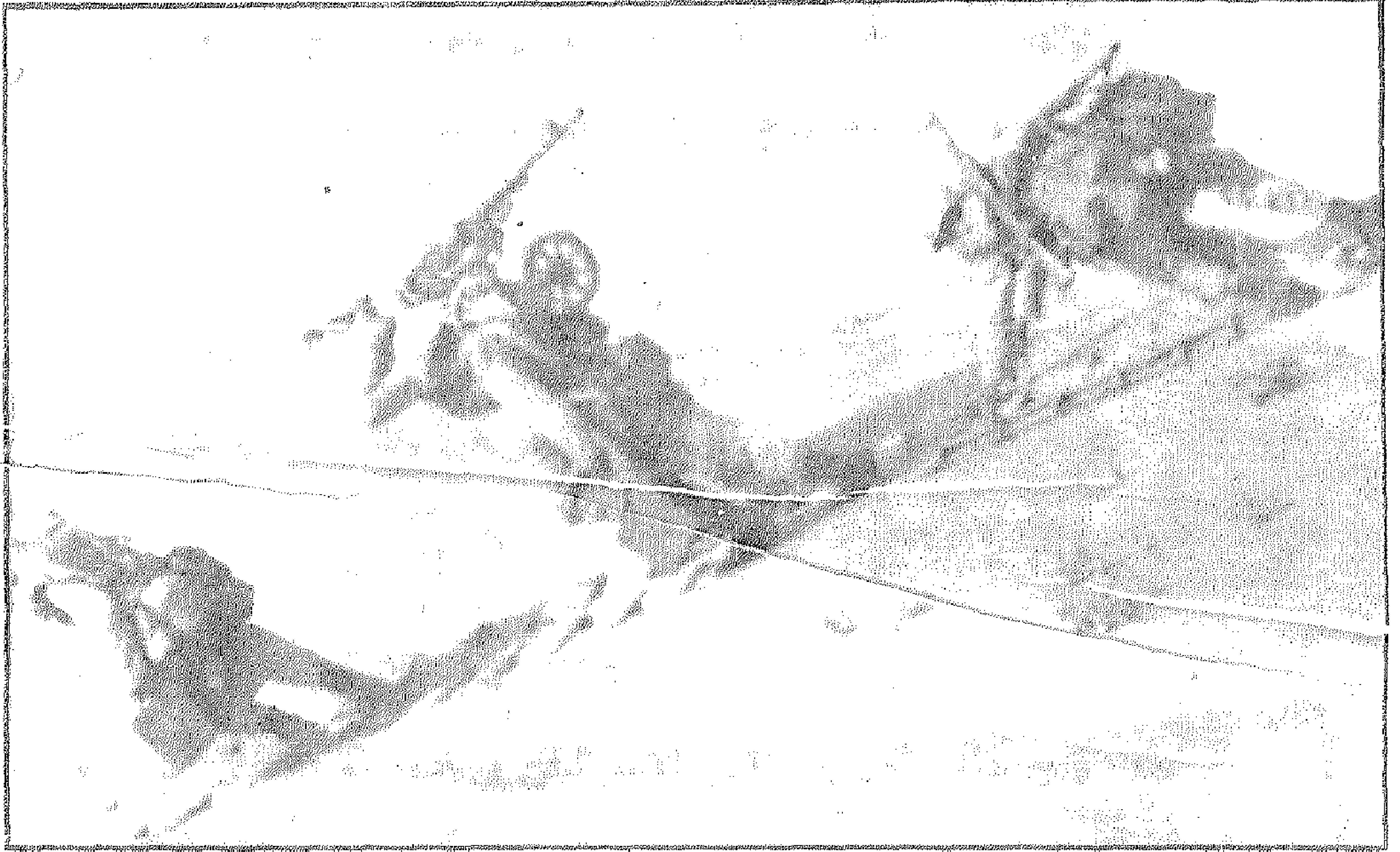
وطوال صيف عام ٧٣ كانت القوات المصرية تتدرب على عبور القناة تحت سمع الاسرائيليين وبصرهم (كتاب التقصير)

الضفة الشرقية للممر المائي . حقا ان اسرائيل قد أعلنت حالة الطوريء ازاء تحركات القوات المصرية ولكن هذا " ـرار لعملية (العبور) لم يثر سوى الضحك من جانب الخبراء العسكريين فى القدس ـتل أبيب .

ان اكبر عمل تضليلى فى العملية ، هو ان عبور قوات السادات يوم ٦ اكتوبر لقناة السويس ، كان باـه ـ نفس ما حدث قبل ذلك بكل تفاصيله الدقيقة ، وما كان يعتقد انه (تدريب) يقع امام عيون الاسرائيليين ، فلقــد كان فى استطاعة كل الدولة اليهودية ان تتابع ـ ـد العمليات المفجعة التى تقع على قناة السويس لو انهم نظروا الى شاشات التليفزيـن عندما عرض فى العام السابق فيلـم ذلك التدريب

وفى أواخر شهر مايو ١٩٧ . أجريت مناورات كبرى اخرى وفجأة اصبح التوتر دراميا على الحدود المصرية والسورية ، الى درجة ان الصحف الاسرائيلية خشيت ان يكون العرب قد اختاروا مو ـ الذكرى الخامسة والعشرين لقيام دولة اسرائيل للقيام بهجوم عليها وقد أعلنت اقصى حالات التأهب فى الجيش وهو اجراء ربما يكون سببا ، حمل العرب على تأجيل مشروعاتهم الحربية .

وبعد المناورات ـكبرى ، التى دارت فى مصر عام ١٩٧٢ ، ثم تلك التى جرت فى مايو ١٩٧٣ عمد السادات فى شهر سبتمبر الى جعل قواته تقوم بالتدريب على تحركات جديدة ، وقد اعتبرت الدوـ" اليهودية ومعها العالم بأسره ان عملية صلاح الدين (هو البطل العربى الذى هزم الصليبيين) بمثابة تدريب جديد ، والواقع ان الفرق المصرية الخمس المرابطة فى الخطو ـ ـولى ــ انما كانت تكرر تدريبها العام .



ان اكبر عمل تضليلي في العملية هو ان عبور قوات السادات يوم ٦ اكتوبر لقناة السويس كـان بالضبط نفس ما حدث قبل ذلك بكل تفاصيله الدقيقة في المنـاورات التدريبيـة للقـوات المسلحـة المصريـة

ومن هنا فان الجيش الاسرائيلى لم يكن مستعدا للحرب ولو انه كان كذلك لامكنه أن يتجنب الكثير من خسائره التى نعود فى الدرجة الاولى الى اثر المفاجأة وفى الدرجة الثانية الى ما بذله من جهود لاستعادة المواقع التى وقعت كالثمرة الناضجة فى أيدى السوريين والمصريين . وفضلا عن ذلك ، فانه يمكن القول انه لو ان الاسرائيليين قد استعدوا لاحتمال حدوث حرب لعطل ذلك بدء الاعمال العسكرية .

وبتكملة صورة المصيدة العربية ، فانه من المناسب الاشارة الى الاحاديث التى ادلى بها للصحافة وزير الحربية المصرى ورئيس اركان حربه . ومنها يتضح كيف اختار العرب يوم ٦ اكتوبر لبداية الحـــرب .

وهكذا . عندما وقع المسئولين عن الأمن الاسرائيلى فى الخدعه الكبرى المصرية ، وفى الشرك الذى انساقوا اليه بأوهامهم فانهم راحوا يفسرونه بأن اقتصاد البلاد لم يكن يسمح باعلان حالة التعبئة العامة فى كل مرة يقوم المصريون فيها بتدريبات من نوع « المناورات » الكبرى وهم يقولون : ما الذى كان يحدث ، لو أن المصريون قد أبقوا قواتهم فى وضع القتال . . ستة أشهر .

ان هذه الذريعة يمكن الاعتراض عليها بسهولة ، بالقول ان شهرا كاملا من التعبئة العامة لوحدات الاحتياط ، كان سيتكلف أقل مما يكلفه الاقتصاد الاسرائيلى فى يوم واحد من الحرب . بصرف النظر عن الدم الأنسانى . الذى لا يقدر بثمن .

ومن مقال (مثال ممتاز) المنشور فى عدد مجلة أسبوع الطيران Aviation Week الذى صدر فى ديسمبر ١٩٧٣ ((عن القوى انجوية)) فى الشرق الاوسط نجد الآتى :

هناك دروس لكل من الولايات المتحدة ودول أوربا الغربية بالنسبة للمفاجأة المذهلة التى احرزها المصريون والسوريون فى هجومهم على الاسرائيليون فى اكتوبر ١٩٧٣ هذه المفاجأة التى تعتبر أهم من صدمتهم بالمفاجأة التكنولوجية خلال هذه الحرب .

لقد كشفت هذه المفاجأة عن اوجه نقص وعجز شديدين فى اجهزة المعلومات السياسية والعسكرية لدى اسرائيل وهذه الدول .

أن الصدمة من هذه المفاجأة مازالت تخيم على جميع انحاء اسرائيل ، والطريقة التى تمت بها ضد شعب كان يتباهى دائما بقوة اجهزة معلوماته ومخابراته تؤدى الى الاقتناع بضرورة أن تجرى الدول الغربية دراسة دقيقة على عدوها ، حيث تواجه هذه الدول نفس التكتيك السوفيتى ولكن على مستوى أكبر مما حدث فى الشرق الاوسط كما أنه يمكن للسوفييت عمل نفس الشىء بأسلوب عسكرى اكثر سرعة وكثافة عما تم بواسطة الجيوش العربية .

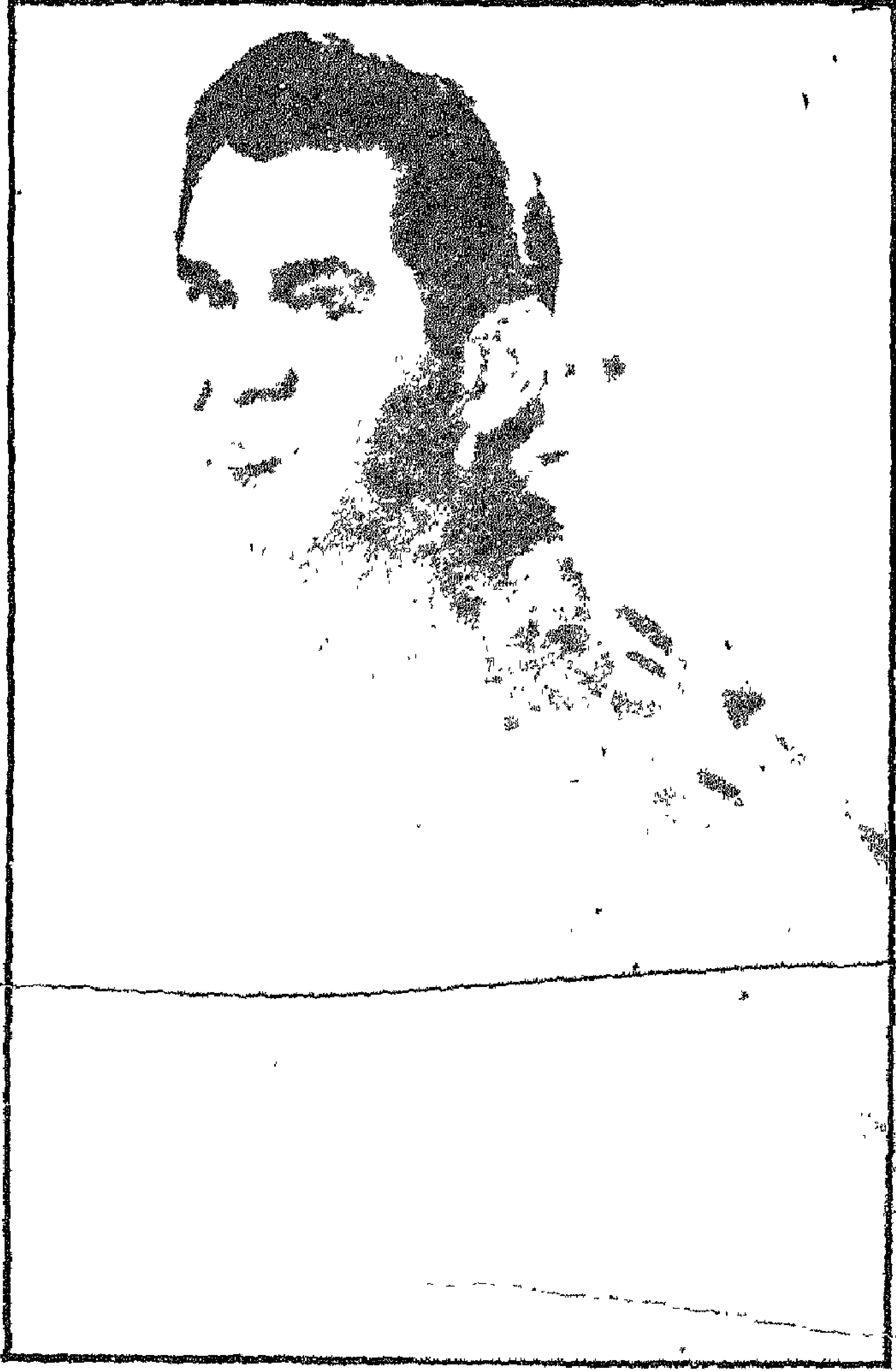
أن أهم نتيجة للمفاجأة التى حققها العرب هى اظهار الفشل التام لجهاز المخابرات العسكرية الاسرائيلية التى فشلت تماما فى معرفة الهجوم العربى لسببين اساسيين اولهما لاقتناعها بأن العرب لابد ان يفكروا عدة مرات قبل التجرؤ بشن هجوم ضد اسرائيل وفى الحقيقة لم يصادف العرب اى نشاط للمخابرات الحربية الاسرائيلية قبل قيامهم بشن هجومهم الشامل والكبير على الجبهتين المصرية والسورية — وثانيهما لان

ادارة البحوث لمخابرات جيش الدفاع الاسرائيلى كانت محتكرة اعـداد التقديرات للمعلومات على المستوى القـومى وكانت كل المعلومات التى تتعارض مع افكارها القائدية تشطب على المستوى الاصفر وكانت القيادة العليا الاسرائيلية تعتمد كلية وفقط على ـ الناتج النهائى لمجموعة المخابرات كأساس للقرارات الخاصة بحياة البلاد .

ولقد أوضحت بعض التقارير أن المخابرات الامريكية احاطت المخابرات الاسرائيلية بوجود شواهد عن نشاط عسكرى عربى للقيام بحرب وكان ذلك قبل بدء القتال بعدة أشهر ولكن المخابرات الاسرائيلية رفضتها بالكامل لانها لاتتمشى مع آرائها .

والنتيجة الاخرى الفاشلة التى قدمتها المخابرات الاسرائيلية هى أنه يمكنها أن تمد رئيس الاركان الاسرائيلى ورئيس الوزراء بأى نوايا هجومية للعدو وقبل حدوثها بفترة ٧٢ ساعة بمـا يسمح بأتمام التعبئة قبل بدء الهجوم ، وقد بينت التقارير ان هذا كان وعدا منها وهى لاتملك الوسائل للوفاء به ، كما وضح ايضا ان المستويات العليا الاسرائيلية لم تكن من الحكمة فى شىء باعتمادها فى بنائها لسياستها على تقديرات شخص واحـد .

اننا نسمع الآن كثيرا من قادتنا السياسيين والعسكريين عن امكانيات وسائل المراقبة والانذار وعن أنواعها المتوفرة لدينا بشأن كشف أى هجوم سوفيتى سريع وساحق ونجد شليزنجر يتكلم عن ٣٠ يوما تحذيرا سياسيا قبل الهجوم السـوفييتى كما أن تخطيط الناتومبنى على فترة انذار أقل من ذلك والقيادة الجوية الاستراتيجية



والنتيجة الاخرى الفاشلة التى قدمتها المخابرات الاسرائيلية هى انه يمكنها أن تمد رئيس الاركان الاسرائيلى .. بأى نوايا هجومية للعدو قبل حدوثها بفترة ٧٢ ساعة .. وكان هذا وعدا منها وهى لا تملك الوسائل للوفاء به

(مجلة اسبوع الطيران عدد ديسمبر ١٩٧٣)

فى حالة استرخاء على أساس هذه الافتراضات فى فترات الانذار المبكر . والسؤال الآن هو عما اذا كانت هذه الافتراضات صحيحة أم ستكون غير سليمة مثلما حدث فى اسرائيل عام ١٩٧٣ ؟

كذلك أجرى العرب نشاطات سياسية كبيرة لصرف أنظار القادة الاسرائيليون عن اعدادهم العسكرى الكثيف المطلوب لبدء المعارك ، كما ان منظمة التحرير الفلسطينية نشطت وشغلت جزءا من الاهتمام العسكرى والسياسى الاسرائيلى .

لقد قام العرب أيضا بعمل يحتذى به وذلك باخفاء نواياهم الحقيقية بينما كانوا يقومون بالواجب الشاق نحو تجميع واعداد وتدريب قواتهم الضاربة الكبيرة . وبقيام المصريون بالعديد من المناورات التدريبية التى لاتنتهى فقد خدعوا بذلك المراقبين الاسرائيليين والمحللين فى جهاز المخابرات الاسرائيلية بنوعية مناوراتهم الاخيرة والهدف منها . ولقد اقاموا التلال والسدود الرملية لاخفاء قواتهم المدرعة ومعدات المهندسين وقواربهم عن أعين المراقبين الاسرائيليين على طول شاطىء القناة كما أوقفت قواعد صواريخ الدفاع الجوى التى اقاموها فى منطقة القناة نشاط طائرات الاستطلاع الاسرائيلية وابعدتها عن المنطقة حتى آخر يوم .

وحتى ذلك فقد رفضت المخابرات الاسرائيلية تصديق الحقائق الواردة فى صورة القوات الجوية الاسرائيلية .

وامعانا فى التمويه كانت تقوم الفرقة المدرعة المصرية ووحدات الكبارى كل يوم بالتدريبات تحت أعين المراقبين الاسرائيليين على طول القناة . ثم العودة الى مواقعهم

فى المساء على ضوء كشافاتهم القوية ، ولكن فى الحقيقة كان يعود فى كل يوم ثلثى القوة ويبقى الثلث الباقى مختبئا خلف السد الرملى .

وكان الجنود المصريون يجلسون ويتمشون على ضفة القناة حتى ساعات قليلة قبل بدء التمهيد بنيران المدفعية . وقد استكملت الاستعدادات السورية بتجميع واعداد اساطيلهم من الدبابات بمواقعهم اندفاعية بمرتفعات الجولان فى الليلة قبل يوم بدء الهجوم .

ان قوات حلف وارسو تقوم بمناورات كثيفة وعديدة بالاشتراك مع القوات الجوية والبرية للاتحاد السوفيتى . وكان الغزو الساحق والسريع لتشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ينظر له على انه مجرد مناورة حتى تبين الهدف الاساسى منه — والآن الى أى مدى يمكن للناتو أن يتفاعل اذا لم يمكن ايقاف مناورة لحلف وارسو اخترقت حدودنا وتقدمت مثلما حدث بالقوات المدرعة العربية فى حرب ١٩٧٣ .

أن العرب قد اختاروا بمهارة الساعة المناسبة فى اليوم المناسب لبدء عملياتهم للحصول على اكبر مفاجاة واقل رد فعل ، لقد كان اليوم هو يوم عيد الغفران الدينى الاسرائيلى الذى لا يعمل فيه الاسرائيليون . وكانت الساعة الثانية بعد الظهر أى عندما تكون الشمس فى أعين المراقبين الاسرائيليين ولايتبقى هناك سوى ساعات قليله من ضوء النهار لا تمكن القوات الجوية الاسرائيلية من ضرب المعابر التى اقامها المصريون عبر القناة .

لقـــد حانت الســـاعة

نداء رقـــم ١

من القائد العام للقوات المسلحة

الى الضباط وضباط الصف والجنود

ابنائى ضباط وجنود مصر وسوريا البواسل :

باسم الله ..وباسم الوطن .. وباسم العزة والكرامة .. اتوجه اليكم بهذه الكلمة وقد حانت ساعة البذل والفــداء

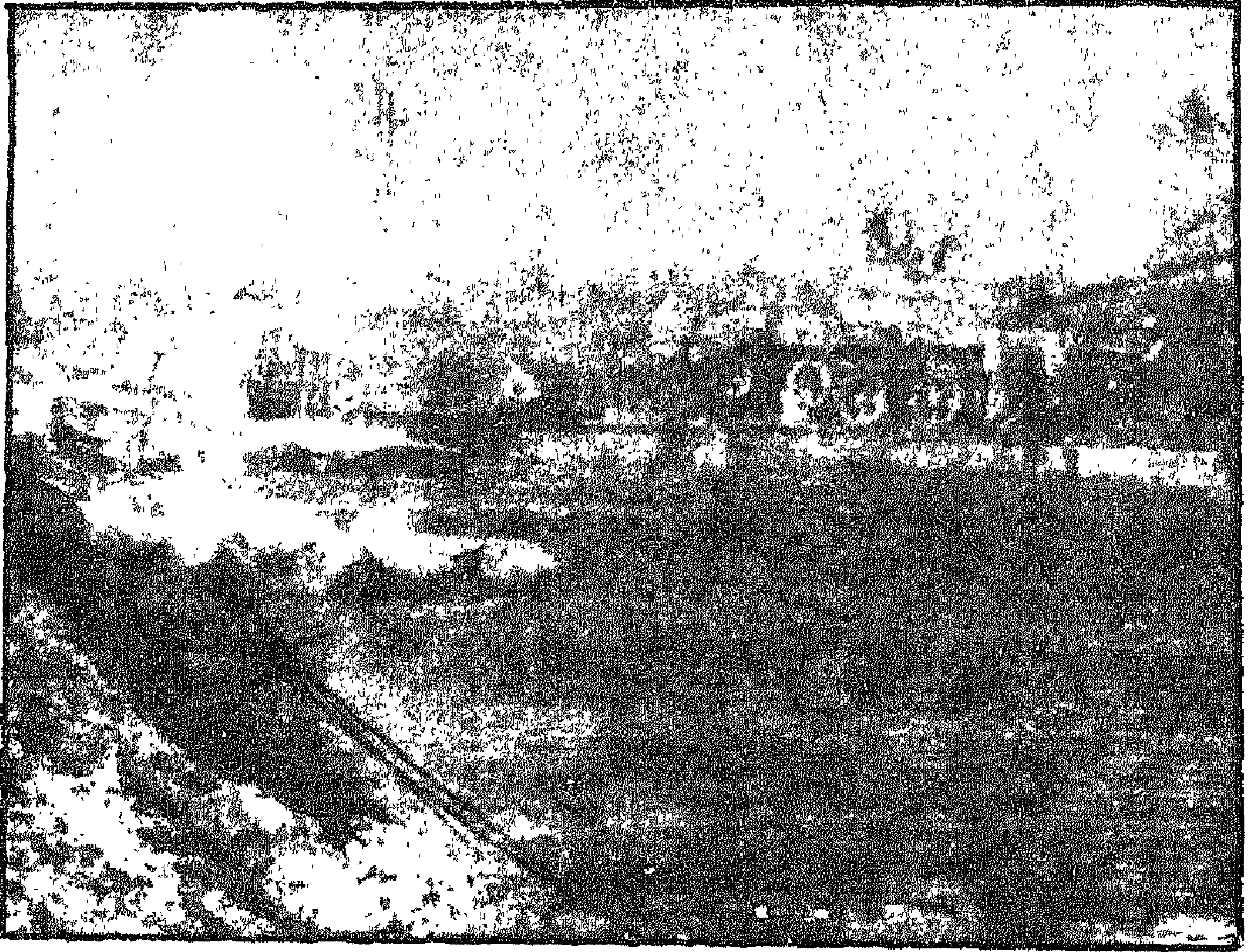
لقد حانت الساعة التى ننتظرها جميعا حانت ساعة اختبار انفسنا وصمودنا .. وتضحياتنا .. آن الآوان ياجند الله .. لكى تثبتوا العالم انكم خير امة اخرجت الناس .. آن الأوان ايها الابطال لكى تنطلقوا لتحرير ارضكم .. وتغسلوا العار .. وتثأروا لانفسكم ولشهدائكم . انتصروا على عدوكم الاسرائيلى . اقضوا على أسطورة ان اسرائيل دولة لاتقهر .

ايها الابطال :

ان شرف الوطن امانة فى رقابكم .. وامال الامة كلها بين أيديكم .. فسيروا على بركه الله .. ثقوا فى الله ايها الابطال وفى نصرة لكم لانكم جنوده ثقوا فى انفسكم لانكم خير الرجال .. ثقوا فى قادتكم .. ثقوا فى سلاحكم .. ثقوا فى شعبكم فهو صامد خلفكم ..

فليبارك الله زحفكم .. وليكلل بالنصر مسعاكم .. وان جندنا لهم المنتصرون .

« صدق الله العظيم »   العاشر من رمضان/٦ اكتوبر ١٩٧٣



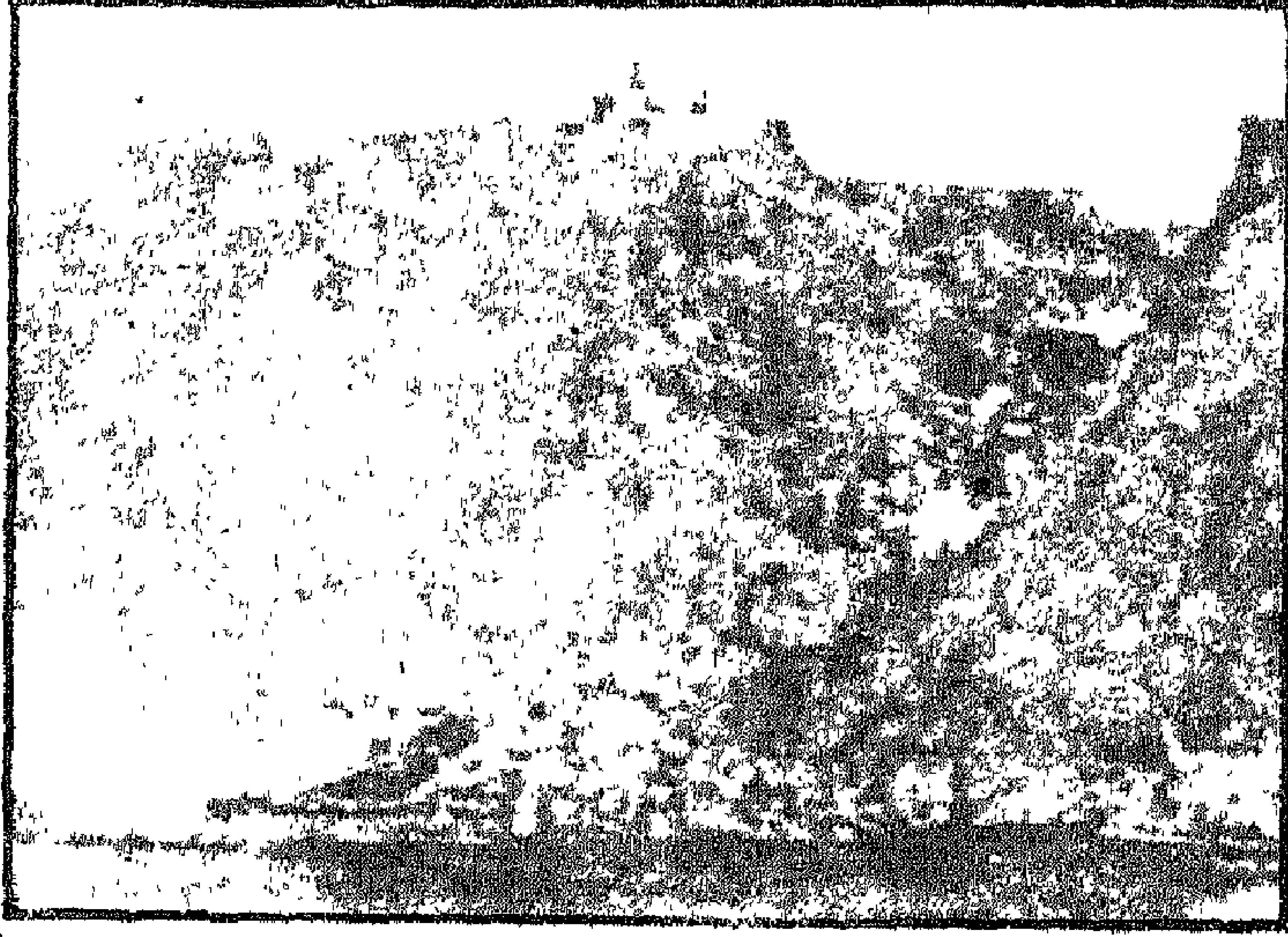
بذلت القيادة المصرية فى الاعداد لهــذه الحرب كل الجهــد
لدراســة جميــع متطلباتهــا خــلال المراحــل المختلفــة

لقد استطاعت مصر ان تفاجيء اسرائيل والعالم بهذا الهجوم الساحق والعبور الكبير لاعتى مانع مائى عرفه التاريخ ومن خلفه اقوى مانع برى عرفته القوى العسكرية فى الحروب وهو خط بارليف الحصين وماخلفه منخطوط دفاعية محصنة متتالية على مسافات منه . وكان التنظيم والتنسيق بين الضربة الجوية وبين التمهيد بنيران المدفعية وعبور افراد المشاة واقامة الكبارى والمعابر عبر القناة وتدفق القوات الميكانيكيـــة والمدرعة من خلالها الى ارض سيناء أشبه بسيموفونية يعرف كل عازف فيها دوره ويضبط ايقاعها مايسترو متمكن فى القيادة العامة المصرية يصنع احداثها .

ان النجاح الذى احرزته القوات المصرية يدل على مدى الجهد الذى بذلته القيادة المصرية فى الاعداد لهذه الحرب ودراستها لجميع متطلباتها خلال مراحلها المختلفة .

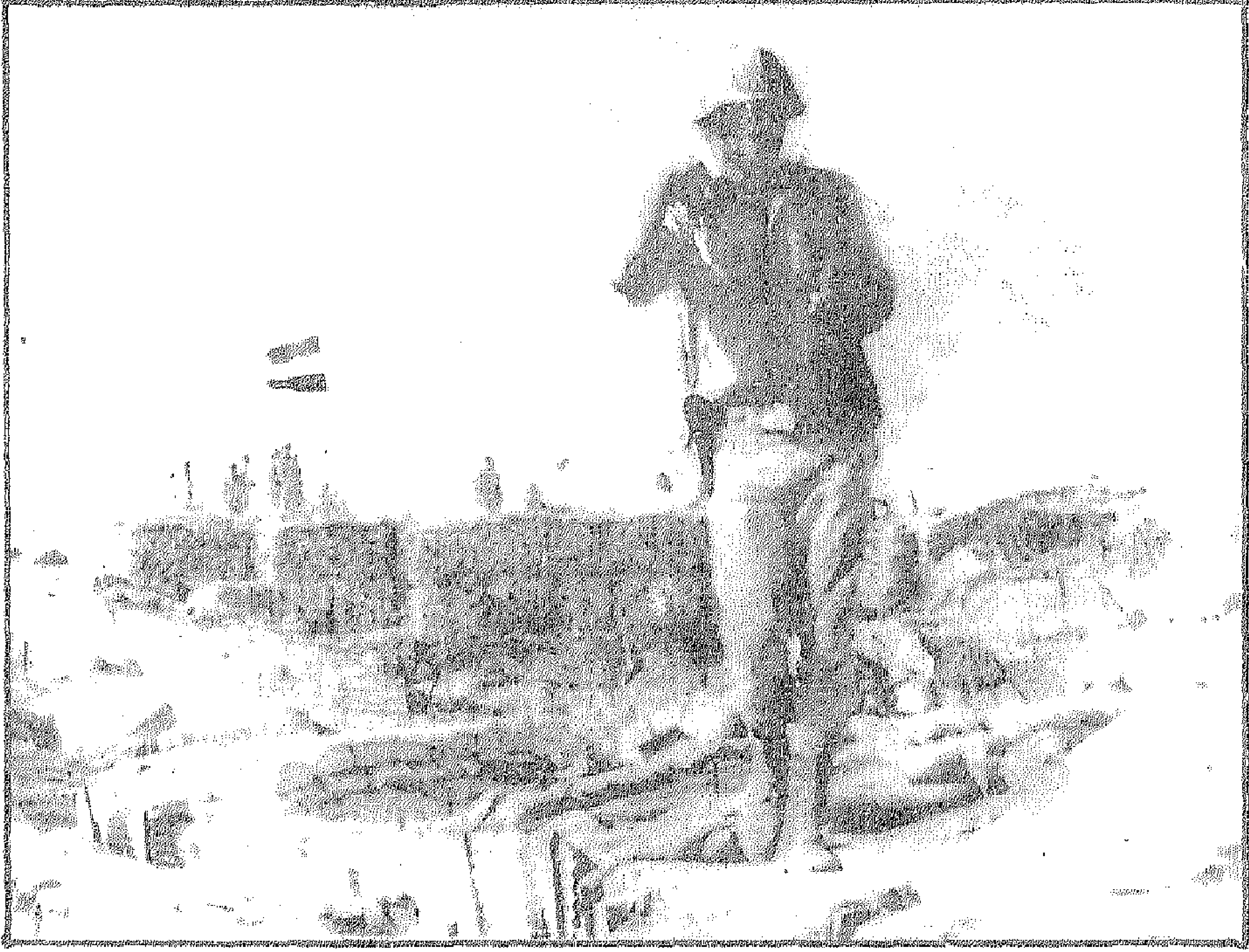
قتال المشاة ودور المدرعات :

وكما كان الدرس العسكرى الاول من هذه الحرب هو المفاجاة فان الدرس الثانى الذى استخلصته القوات المصرية المسلحة هو ابراز دور الجندى المشاة فى المعركة الحديثة وكيف تمكن هذا الجندى البسيط بمفرده وبسلاحه المضاد للدبابات الخفيف والموجه من ايقاف وتدمير دبابات خصمه وكان هذا الجندى هو سبب حدوث أكبر مذبحة عرفها التاريخ فى معارك الدبابات ، اذ فقدت اسرائيل خلال فترة أسبوعين فقط نصف قوتها المدرعة فى سيناء .





لقد استطاعت مصر ان تفاجىء اسرائيل والعالم بهذا الهجوم الساحق والاقتحام الكبير لأعتى مانع مائى عـرفه التاريخ



ومن خلف هذا المانع كان يقف مانع آخر ـ ى هو خط بارليف الحصين

لقد اثار الجندى بعمله هذا الكثير من الاسئلة والدراسات عن دور كل من الدبابة والاسلحة المضادة للدبابات وخاصة الحقيقية منها كما اثار الانتباه فى كل من حلف الاطلنطى ووارسو الذين بنيا تخطيطهما العسكرى على أساس تملك قوة ضاربة هائلة من المدرعات .. ولكن جاء جندى المشاه المصرى البطل فى حرب اكتوبر واثبت عمليا ان الفرد المشاة بسلاحة المضاد للدبابات البسيط قادر على تدميرها وسحقها .

وقد ذكر زئيف شيف فى كتاب زلزال فى اكتوبر الآتى :

ومن رجال المدرعات لم تكن هناك اخبار طيبة . فأصابات الدبابات كانت كثيرة وفى ازدياد من ساعة لاخرى . ويبعث قادة المدرعات العاملين عند القناة بما يفيد عن تضاؤل متزايد فى دباباتهم وازداد الذهول بمفاجأة أخرى لم تكن متوقعة .. ففى البداية اعتقد القادة الاسرائيليون أن دبابات جيش الدفاع الاسرائيلى سوف تكنس المشاة المصريين بسهولة وكان الجميع مقتنعين بأن ضربة المدرعات سوف تخيف الجنود المصريين . وها هى الانباء تقول بأن أولئك المصريين يواجهون بنجاح دبابات جيش الدفاع الاسرائيلى .

انهم يطلقون علينا الاف الصواريخ والبازوكات ، كانت هذه الجملة هى التى تتكرر دائما فى اجهزة الاتصال وكذلك فوجىء قادة الدبابات أيضا . لقد انقضوا على المشاة المصريين بثقة ، وكانوا يحصدونهم برشاشاتهم ولكن الصواريخ التى تنطلق من كل ناحية تصيب الدبابات اكثر واكثر . انهم يطلقون على الدبابات من مسافات قصيرة



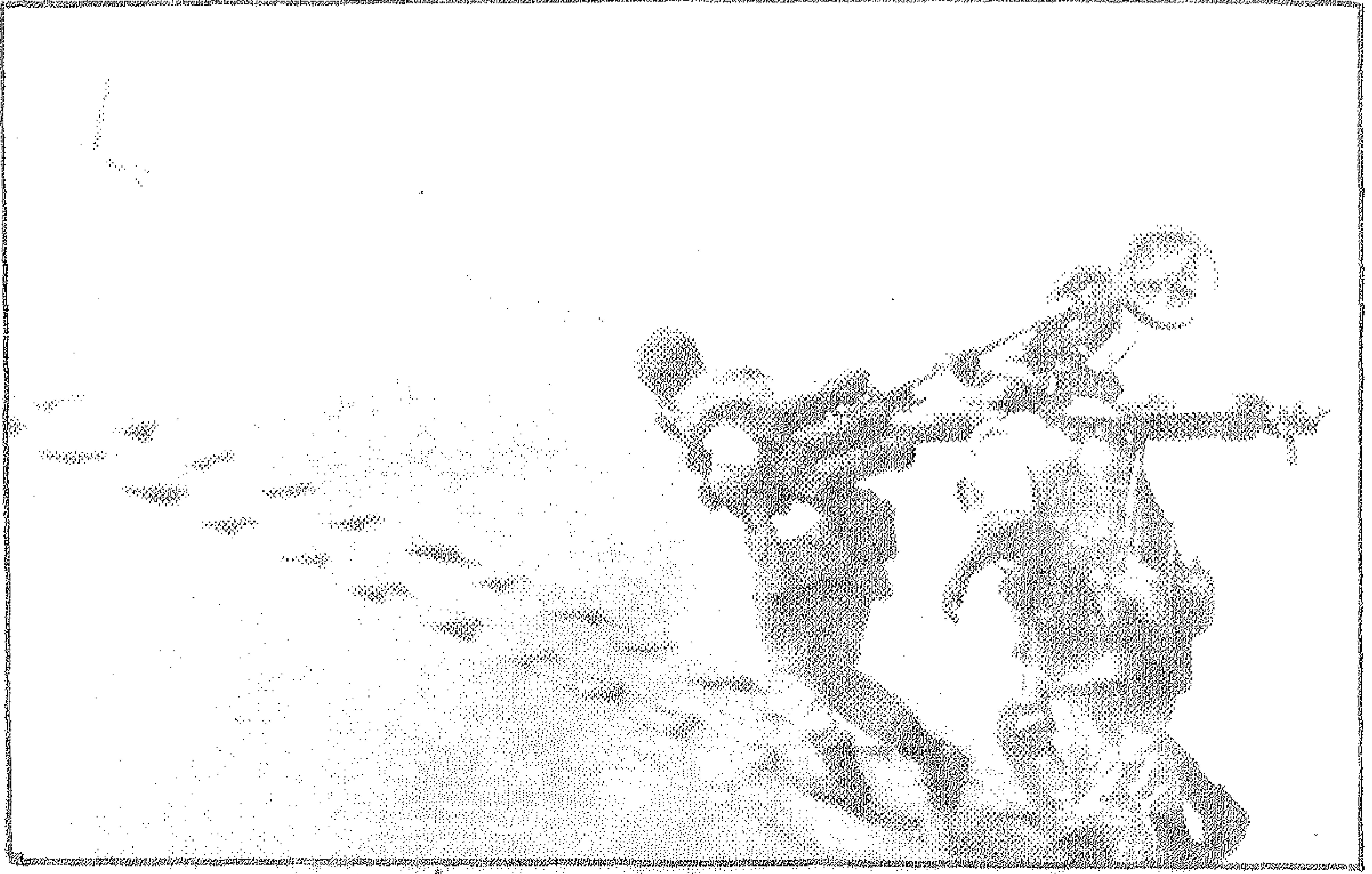
معجزة العبور



تمكن الجندى المشاة بسلاحه البسيط من الصمود امام دبابات العدو

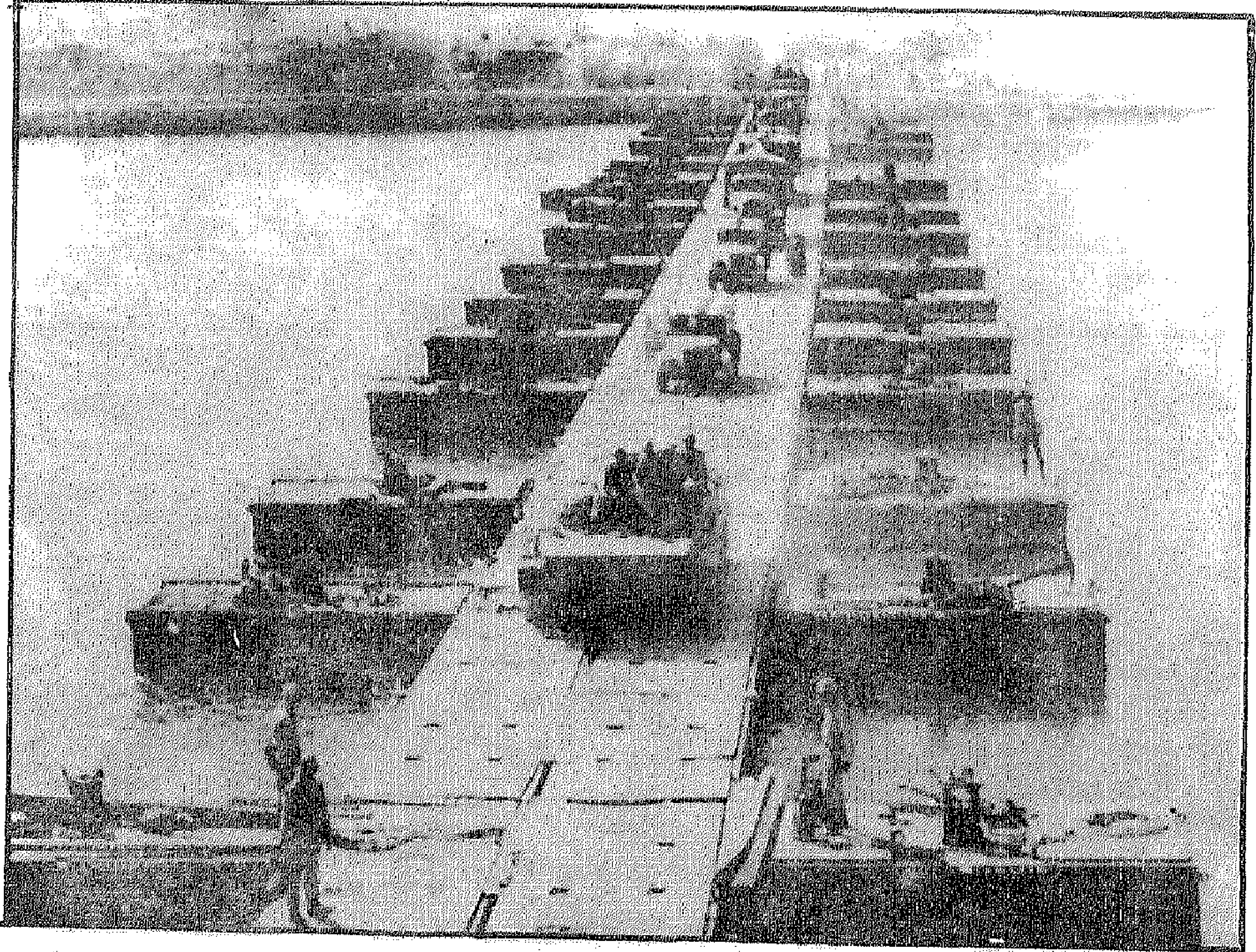


الموجات الأولى للعبور باستخدام القوارب والوسائل المبتكرة





واستخدمت الوســائل المبتكره لتمكين جنـدى المشـاة مــن عبـور الســاتر الترابـى بكامـل اسلحـة ومعـداته



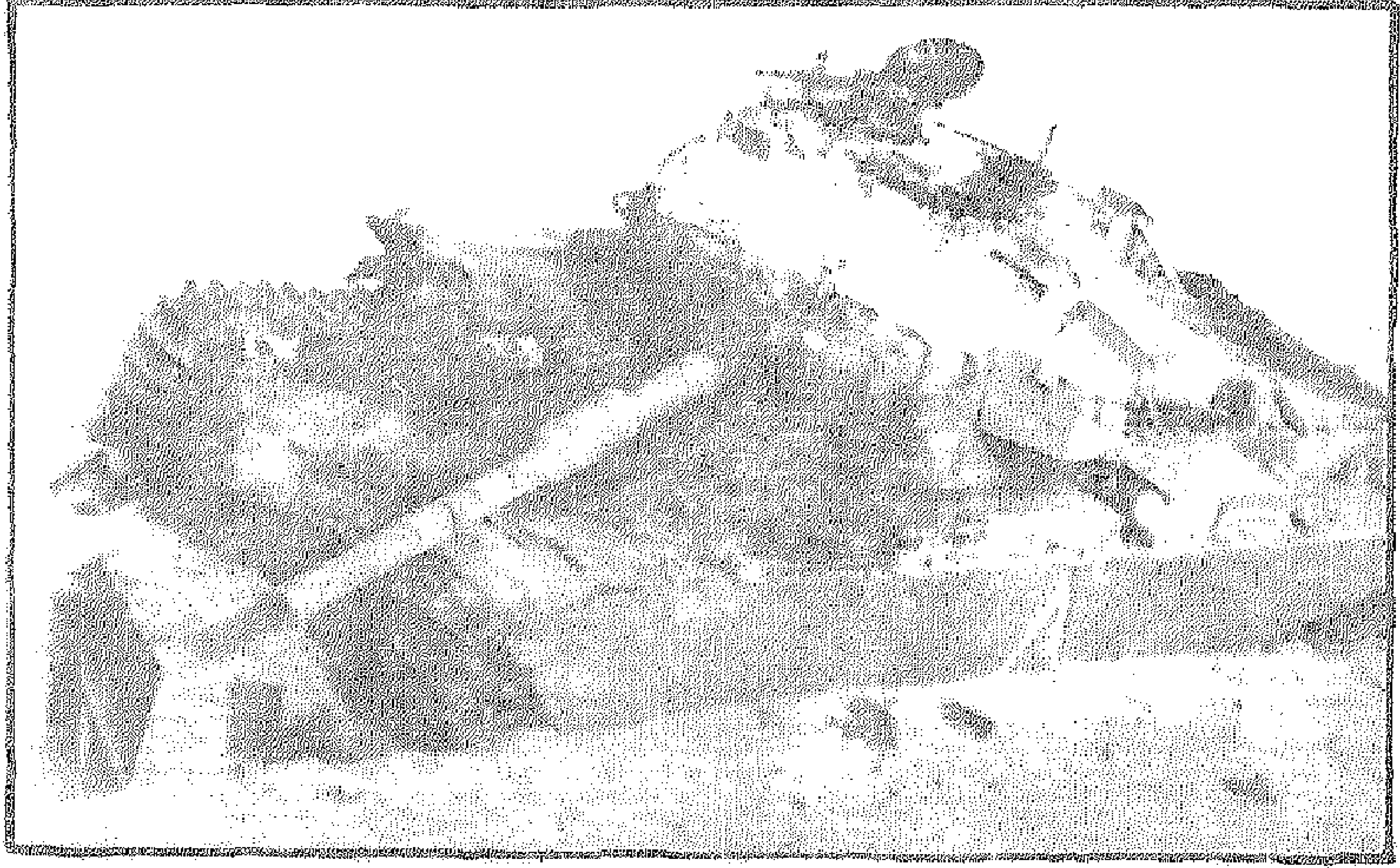
الجسور المصرية على القنـاة فى السـاعات الاولى للقتال

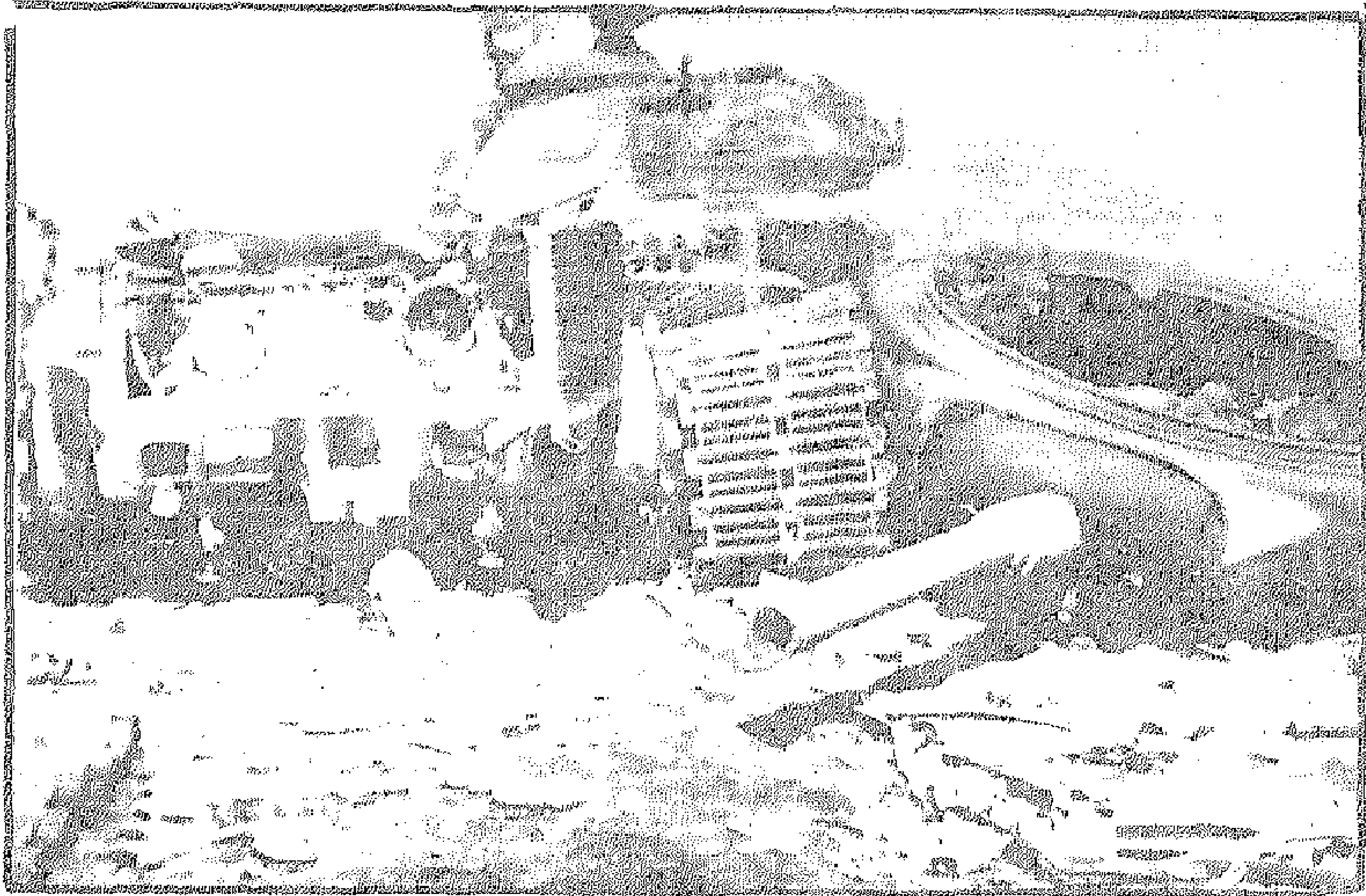


عبور الوحدات الميكانيكية بعد اعداد الكبارى وفتح الثغرات فى الساتر الترابى

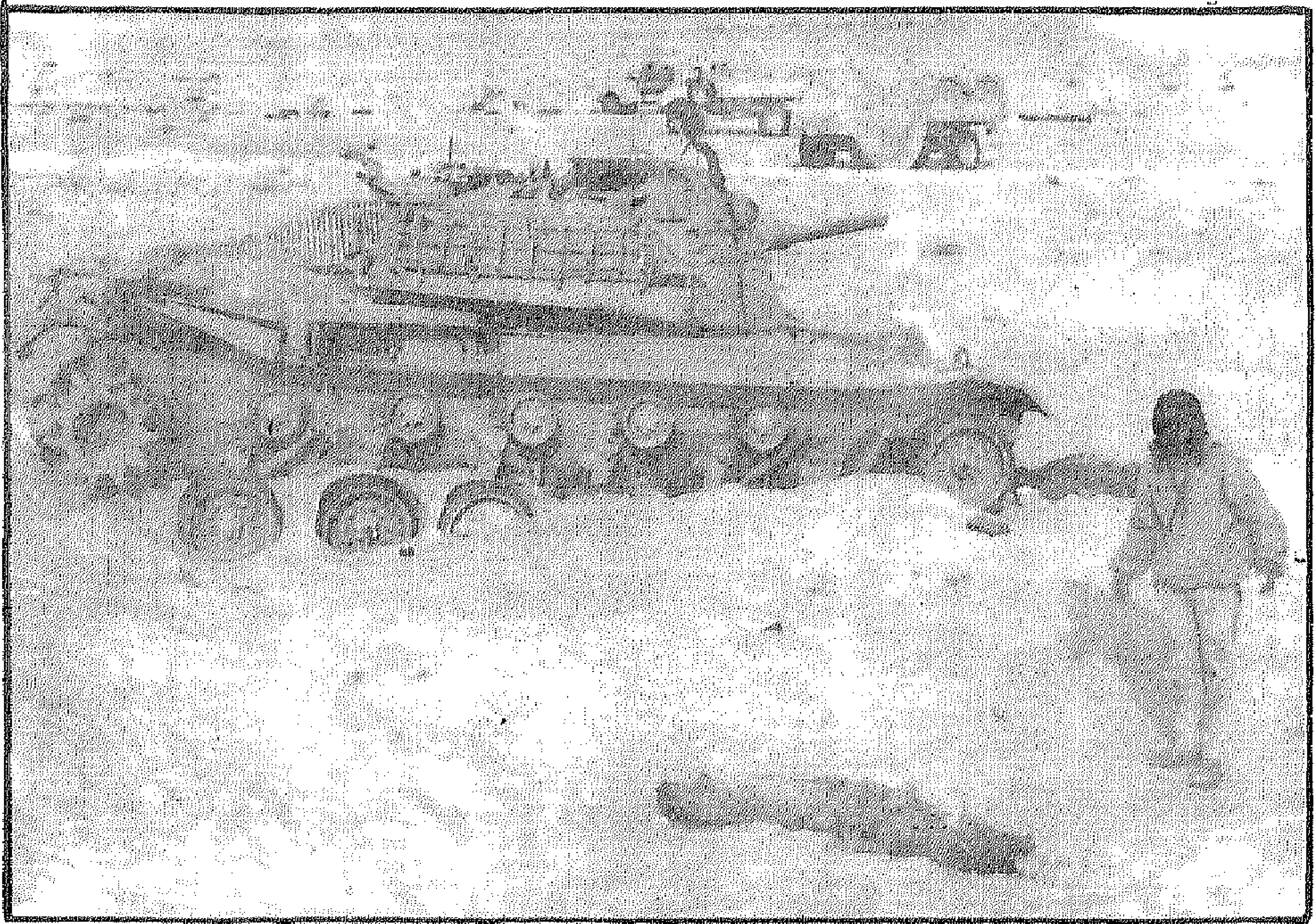


لقد اصدمت الدبابات الاسرائيلية بجنود مشاه مسلحين بأسلحة مضادة للدبابات





ومن رجال المدرعات لم تكن هناك اخبار طيبة فاصابات الدبابات كانت كثيرة وفي ازدياد من ساعة الى اخرى



لقد كانت صواريخ ساجر تعطيهم ذراعا طويلة ضد مدرعاتنا

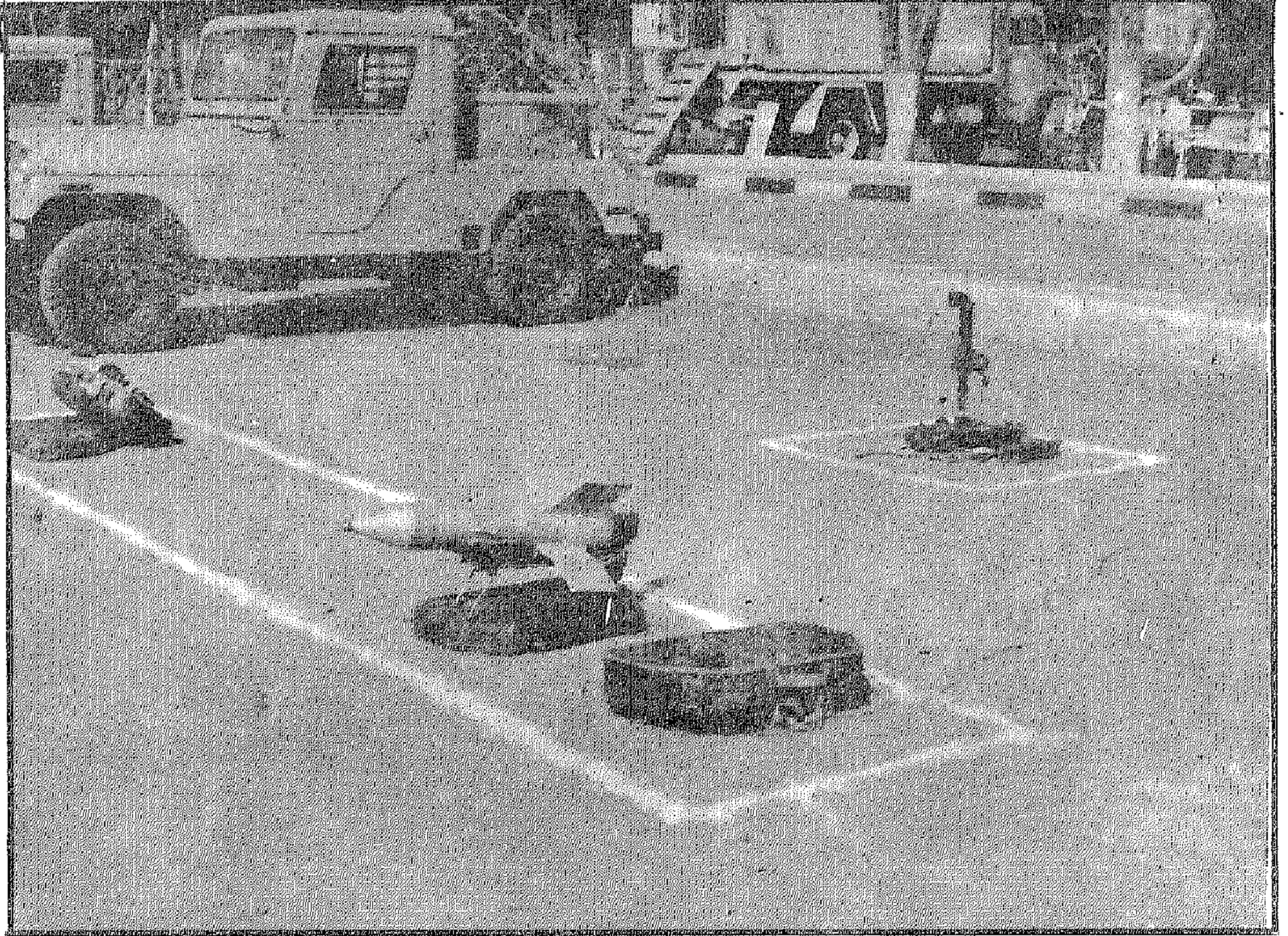
بازوكات اربى جى ــ ٧ ، ومن مسافات اكبر ، يطلقون صواريخ ساجر ، وقنابل البازوكا ، ذات الحشوة الجوفاء التى تخترق درع الدبابات وكان يوجد لكل ستة جنود مصريين بازوكا واحدة وعندما كان يجرى القتال من بعيد فان الجنود المصريين لم يكونوا عاجزين لان صواريخ ساجر كانت تعطيهم ، ذراعا طويلة اكثر من رشاشات الدبابات ، وكان اطلاق دانات المدفع على مجموعات الجنود المشاة يعتبر اسرافا وليس مجديا دائما .

وبعد الظهر اصدر الجنرال جونين أوامره للدبابات بعدم الاقتراب ، وان يطلقو نيرانهم على المشاة من بعد عدة كيلو مترات ــ ويقول جونين للواقفين بجواره ، لوكانت لدى مدفعية اكثر .

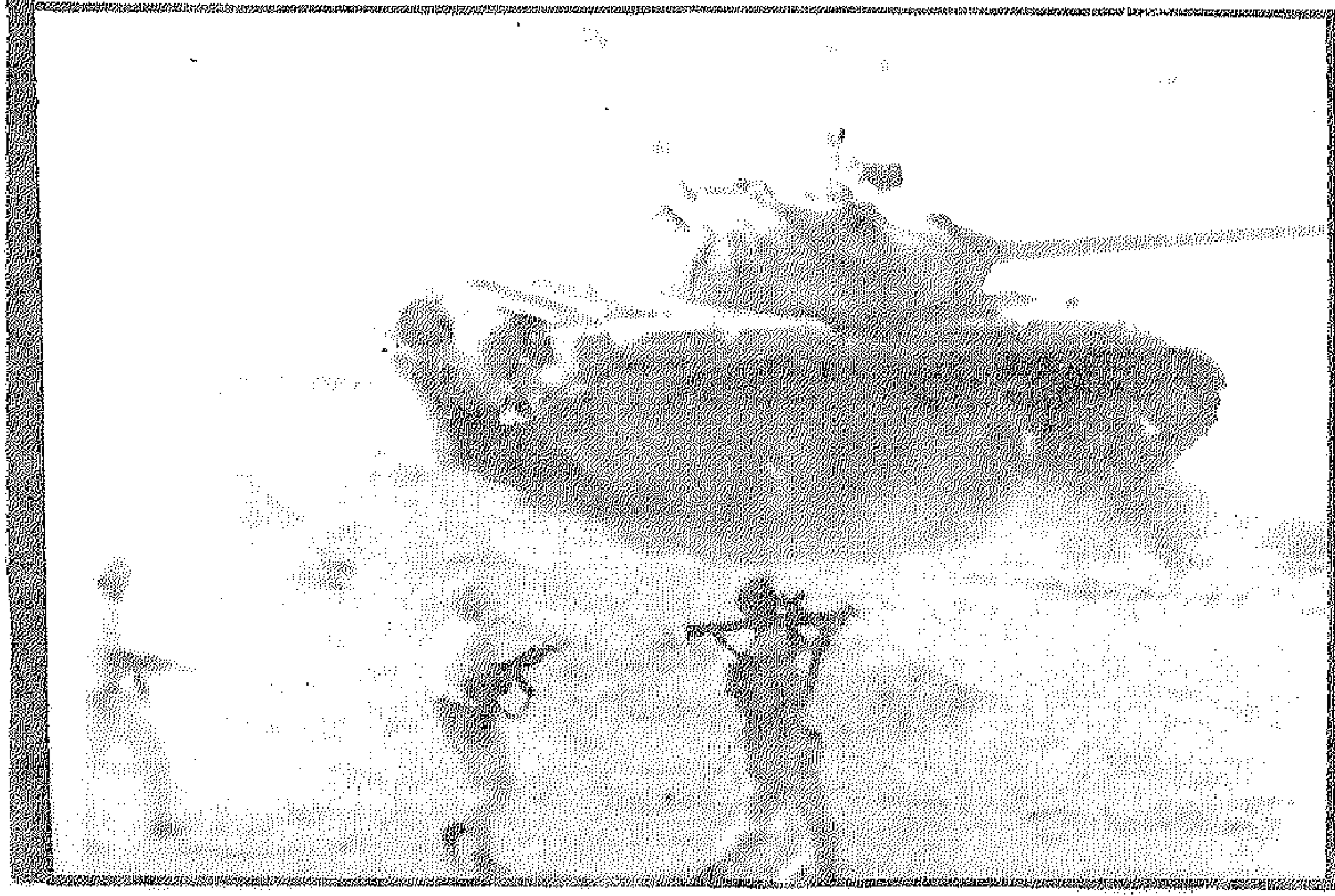
كما ورد فى كتاب التقصير الاتى :

لقد كان اليومان الاولان من الحرب فى منتهى القسوة على الاسرائيليين وتكبدوا خسائر عالية ، ويبدوا أن ذلك لايكفى لجعلهم يدركون أن كل شىء قد اختلف هذه المرة ، اذ أصدمت الدبابات الاسرائيلية بمشاة مزودين بقاذفات صواريخ تحميهم مجموعات من المدرعات ويستند الكل الى ستار من المدفعية له كثافة لم يسبق لها مثيل .

ولقد وجدت المدرعات الاسرائيلية امامها كتلا بشرية هائلة مزودة بقوة نيران تبعث على الرهبة . لقد كان المصريون يلقون بأنفسهم على الدبابات الاسرائيلية ويتعلقون بها ثم يموتون وهكذا بغير نهاية .



المقذوفات الموجهـة م د





من كتاب الزلزال : المشــاة المصريين يواجهون بنجاح الدبابات الاسرائيلية (انهم يطلقون علينــا آلاف الصواريخ والبازوكات)



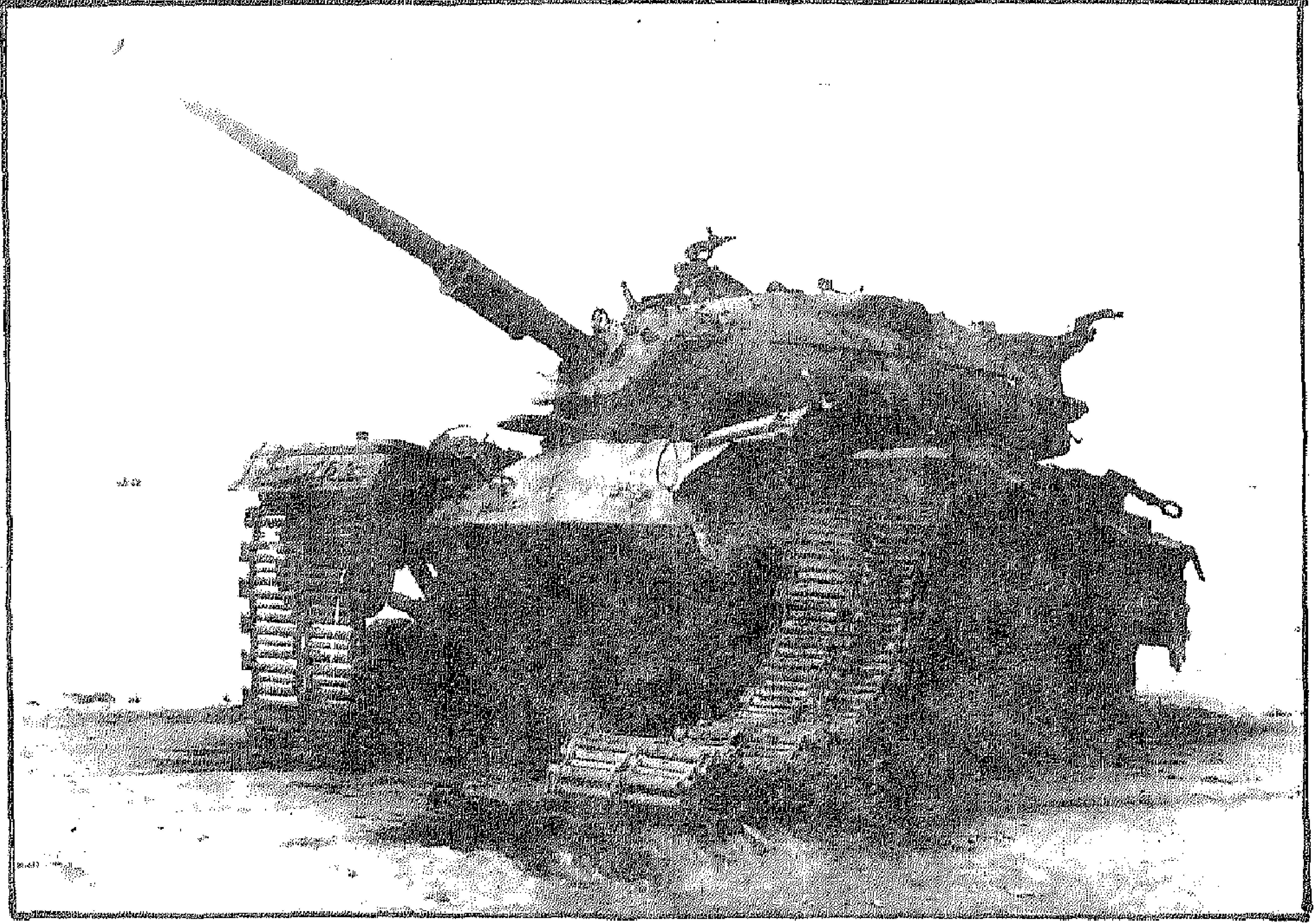
كانت السيارات المعبأة بالمشاة تصل الى ساحة المعركة فيقفز منها الجنود المصريين ويتقدمون الى خطوطنا ثم يبدأون فى مهاجمتها .. انهم يتقدمون دائما غير عابئين بالخسائر (من كتاب التقصير)

وقد وصف ضابط اسرائيلى هذه الهجمات المتلاحقة ، فقال :

كانت سيارات النقل المعبأة بالمشاة تصل الى الساحة فيقفز منها الجنود ، ثم ينتشرون بأقصى سرعة وتعود السيارات من حيث اتت ، بينما يحتمى المصريون فى الحفر التي يحفرونها فى الرمال وبين الحين والحين ، وبعد بضع دقائق من التوقف ينهضون ويقفزون بضع قفزات الى الامام ثم يعودون الى الأرض مرة اخرى وبعد ساعتين تجىء الدبابات لتختلط بالمشاة ، الذين يعتمدون على حمايتها ، فيتقدمون الى خطوطنا ، ثم يبداون فى مهاجمتها . انهم يتقدمون دائما ، بغير ان يعباوا بالخسائر كما تفعل البكرة الضاغطة .

كما ذكر الليفتنانت جنرال ستيج لونجرن فى الندوة الدولية بالقاهرة الآتى :

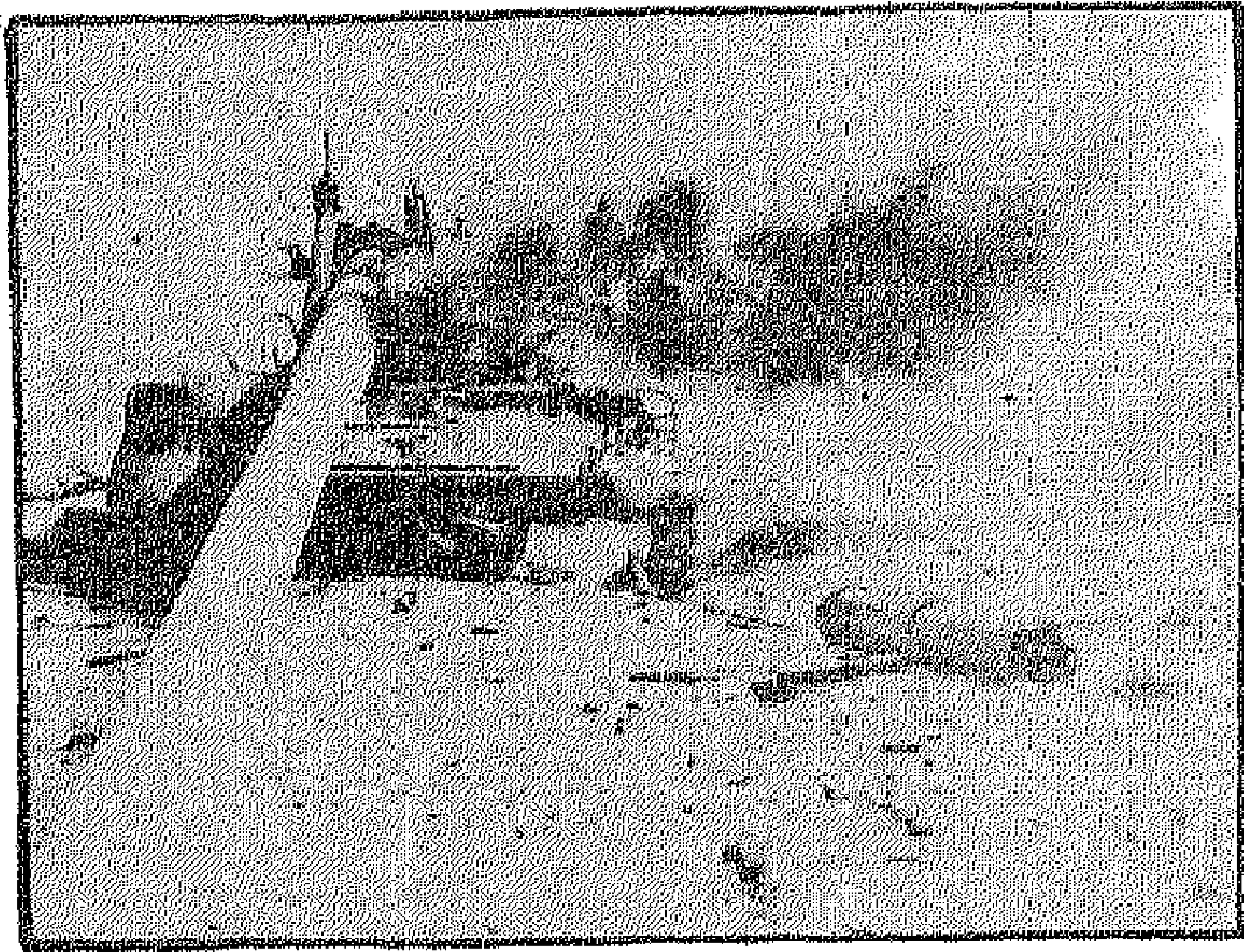
فوجىء الاسرائيليون مفاجأة تامة على جبهة القناة بتلك الكمية الهائلة من الأسلحة المصرية الخفيفة المضادة للدبابات ، والقواذف ، اربى جى ـ ٧ ، وتقدم لنا التقارير الواردة من الجانبين صورة لوحدات الدبابات الاسرائيلية على انها تقاتل بشجاعة ولكن بلا هدف اذا انها لما كانت مفتقرة الى المعلومات والى الاستطلاع فقد اندفعت داخل فكى الدفاع المضاد للدبابات عند العدو الذى كان يتميز بالصحراء المكشوفة الواضحة ، والمواقع الممتازة فى اطلاق النيران من على الكثبان والتلال . وكانت الظروف معاكسة للدبابات لأنها تعمل دون مساندة من الطيران أو المدفعية او مساعدة من المشـاة .



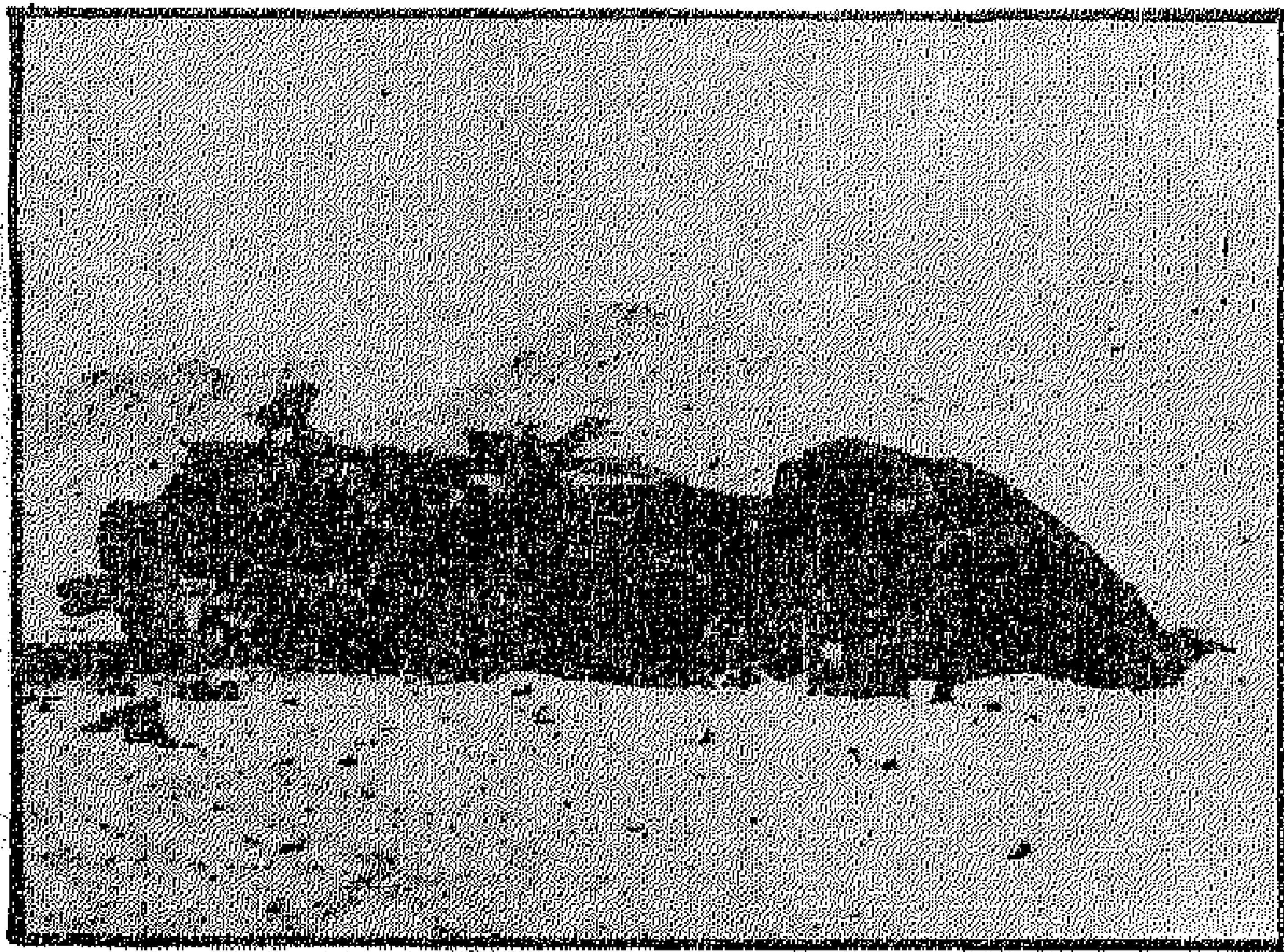
ولقد تمكن قناصة الدبابات من أفراد المشــاة المصريين من تدمير حــوالى ٢٠٠ دبابة اسرائيلية على طــول جبهة قنــاة الســويس

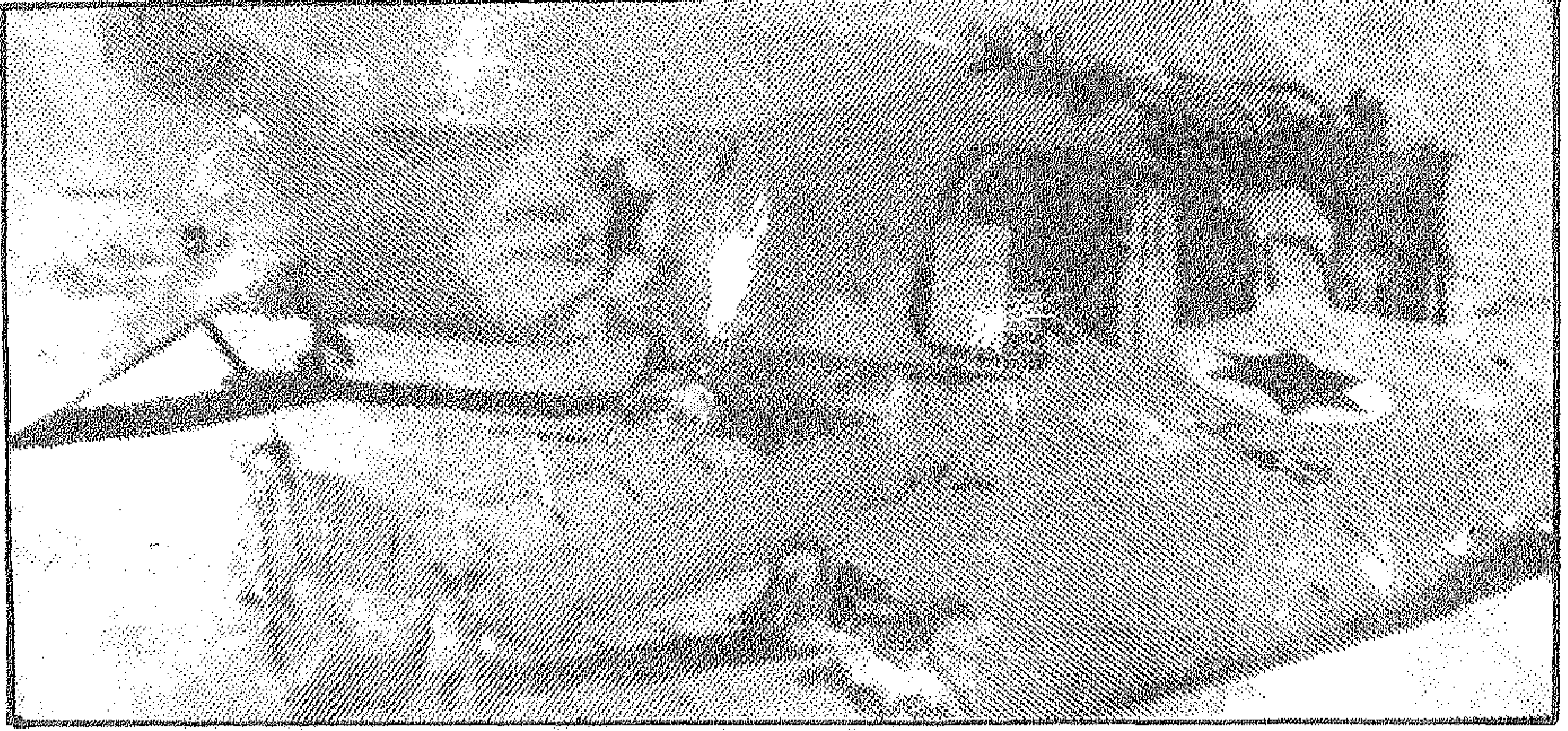


وكانت الظروف معاكسة للدبابات لانها تعمل بدون طيران

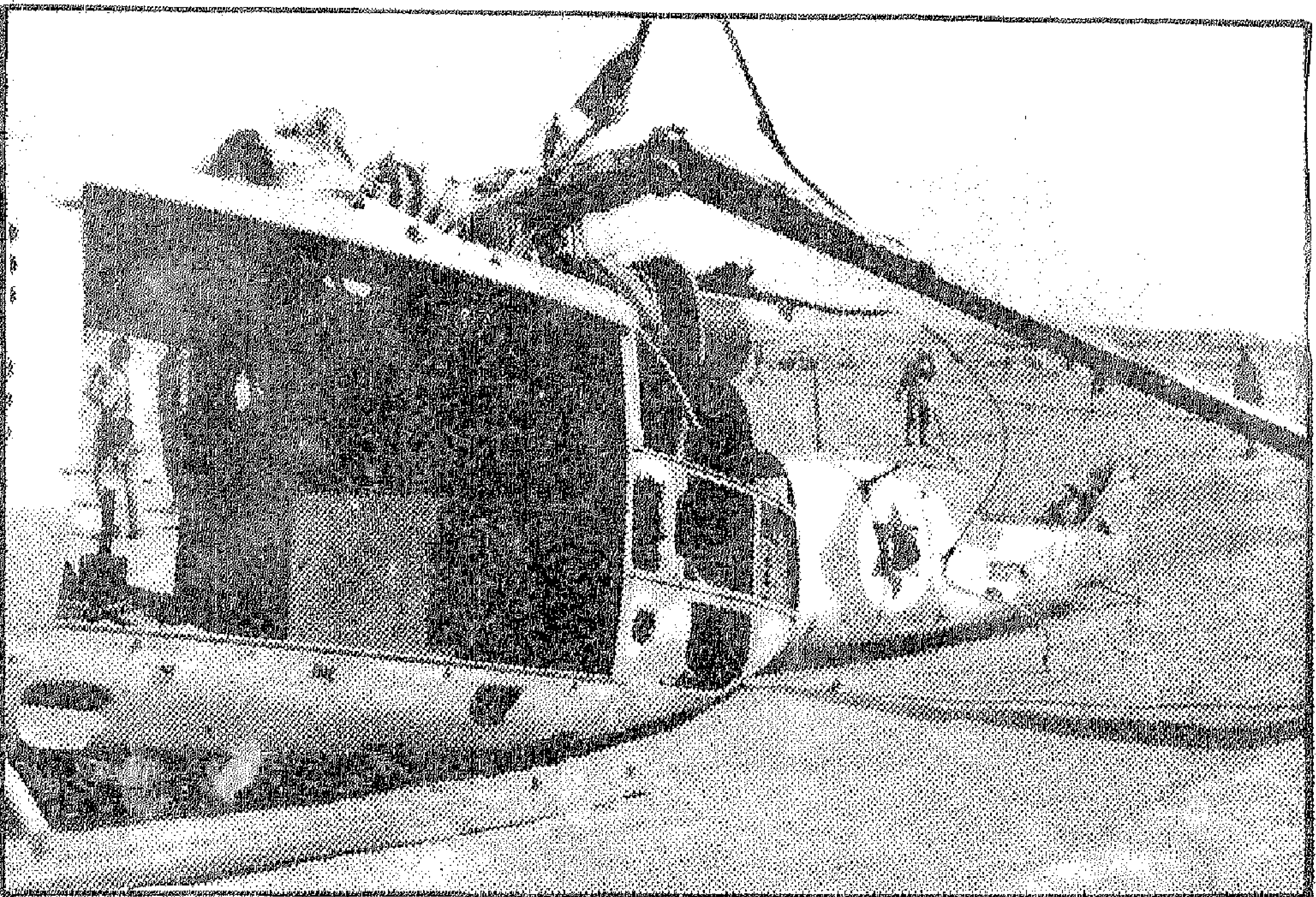


وفي ظرف اسبوعين فقدت اسرائيل نصف مدراعاتها



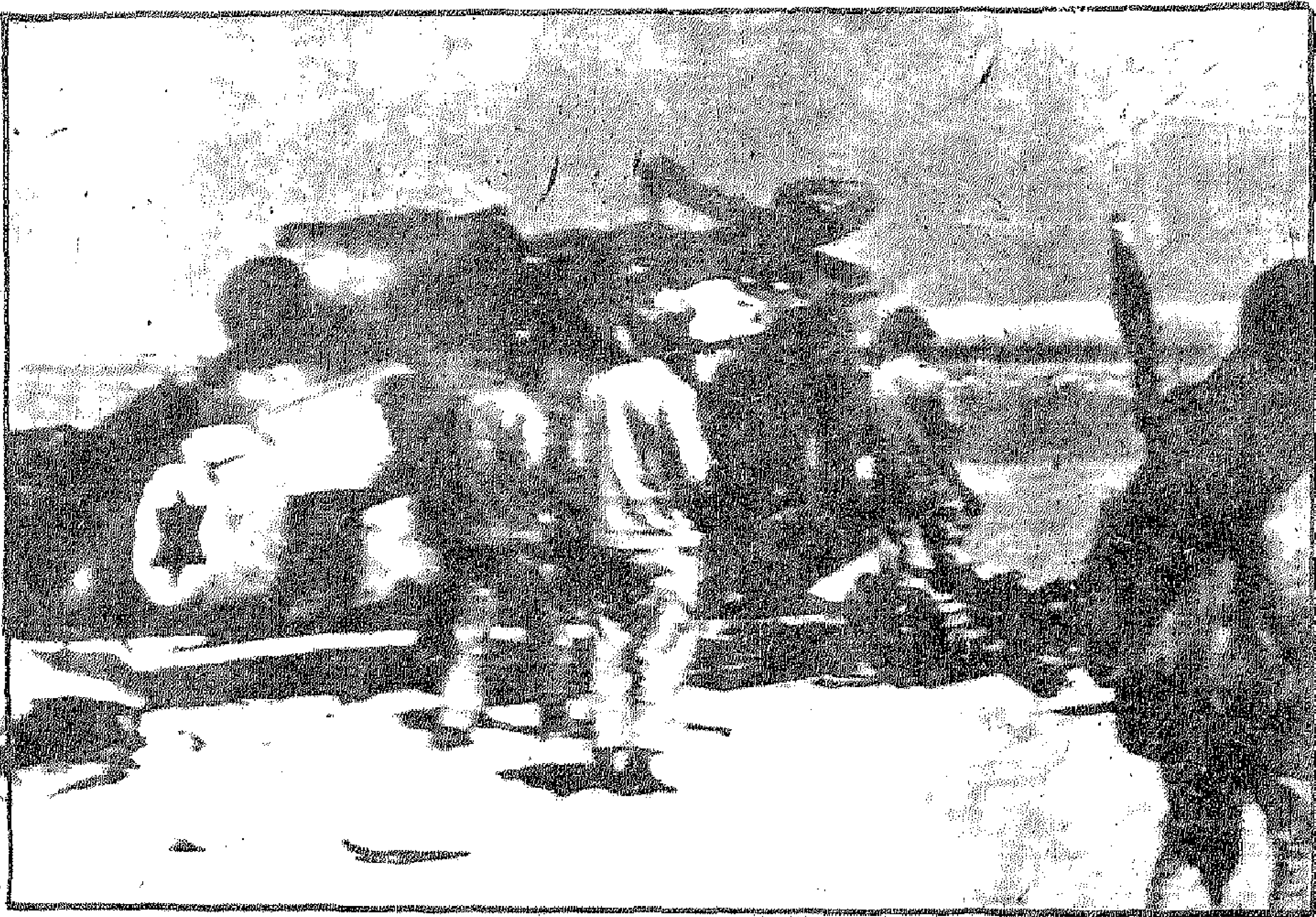


كانت طلعات اسرائيل الجوية الى القنـاة تسمى برحلة اللاعــودة





والدرس الثالث من هذه الحرب كان حرب الصواريخ والطيران وأصبحت القوات الجوية الاسرائيلية عاجزة تماما عن اداء مهمتها



وذكر فى مقالة حرب الشرق الاوسط من مجلة الـ Military Review **عـام ١٩٧٤ الآتى :**

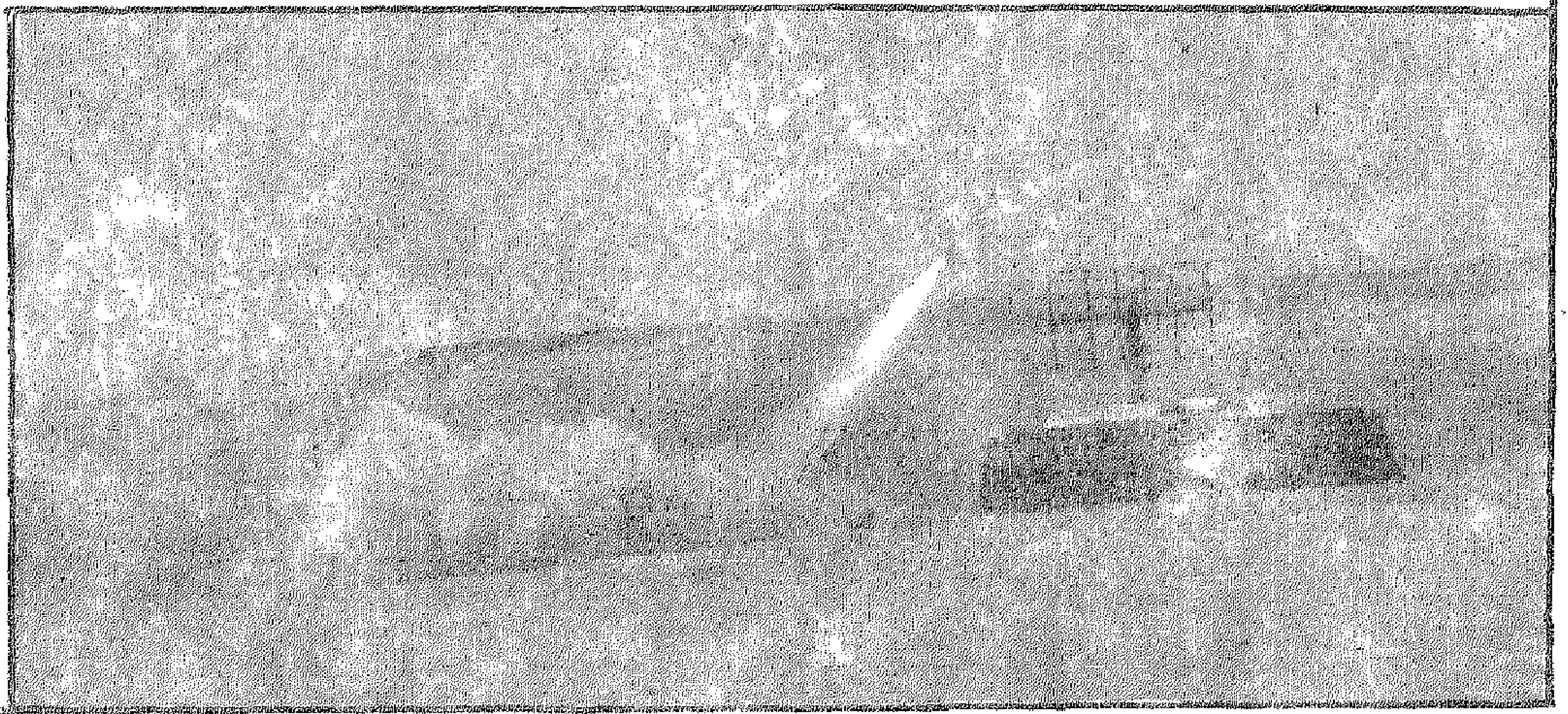
ولقد تمكن قناصة الدبابات من افراد المشاة المصريين من تدمير حوالى ٢٠٠ دبابة اسرائيلية على طول جبهة قناة السويس وكان للصاروخ الروسى المضاد للـدبابات والموجه بالسلك وكذلك السلاح الفردى الخفيف المضاد للدبابات طراز (ار.بى.جى٧) تأثير مدمر والفعال على القوات المدرعة الإسرائيلية كما استخدم الاسرائيليون أسلحة حديثة مضـادة للدبابات ضد القوات العربية وكان لها نفس التأثير تقريبا .

كما ورد فى البحث الخاص بالاثـار العسكرية لحـرب اكتوبر ١٩٧٣ علـى الوضـع الاستراتيجى فى اوروبا الندوة الدولية لحرب اكتوبر عام ١٩٧٥ الآتى :

والشيء الغريب هو ان القذائف الخفيفة المضـــادة للدبابات قد اثبتت فاعليتها البالغة منذ الساعات الاولى للمعركة .. وفى ظروف اسبوعين فقدت اسرائيل نصف مدرعاتها وكان غالبيتها من القذائف .

الدفاع الجوى حائط الصواريخ المصرى :

والدرس الثالث من هذه الحرب كان حرب الصواريخ والطيران اذ كانت هذه هي اول حرب من نوعها في تاريخ الحروب في العالم وقد مارسها وادارها بكفاءة القائد



الدفاع الجوى



الحائط المصرى للصواريخ

المصرى وجنوده الابطال ، ولقد استطاع هذا القائد وضباطه وجنوده من تخطيط وبناء اقوى حائط للصواريخ الموجهة المضادة للطائرات وبذلك اصبحت القوة الضاربة الرئيسية لاسرائيل وهى قواتها الجوية عاجزة تماما عن اداء مهمتها وكانت طلعاتها تسمى برحلة اللاعودة لكل من الطائرة والطيار وضمن هذا الدرس نجد ايضا حرب الفرد المشاة بسلاحه الخفيف الموجه المضاد للطائرات وكيف استطاع اقتناص العديد من طائرات العدو أو ارغامها على الطيران العالى لتدمرها صواريخ الدفاع الجوى الاخرى .

لقد استخدمت الصواريخ المضادة للطائرات فى حرب فيتنام ولكن فاعليه هذه الصواريخ لم تكن قد اختبرت فى المعارك الحربية وقد اتيح لها ذلك فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ بما حققته فى هذه الحرب من نتائج مذهلة بمعرفة القوات المصرية .

وفى محاضرة الليفتنانت جنرال شيج لونجرن السويد عن الصواريخ المضادة للدبابات والطائرات فى الندوة الدولية بالقاهرة لحرب اكتوبر ١٩٧٣ اوضح الاتى بالنسبة للدفاع الجوى :

قامت تكتيكات القوات المسلحة الاسرائيلية واستراتيجيتها على التفوق الجوى وكانت تهدف فى الحروب السابقة تحقيق السيطرة على الجو . واصابة وسائل العدو للتحكم بالشلل . تحقق هذا عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ بما يتجاوز كل التوقعات .

وكانت الفكرة المصرية المضادة بعد ١٩٦٧ ، هى ان تبنى اولا حاجزا قويا للدفاع الجوى غربى قناة السويس يكون قائما على نظم الصواريخ الثابتة سام ٢ ، وسام ٣

(الحق بها سيا بعد نظام سام ٦ المتحرك) وقد بلغت قوة حاجز الدفاع الجوى عام ١٩٧٣ اكثر من ٨٠٠ منصه للاطلاق وعدد عظيم من بطاريات المدافع المضادة للطائرات وقد دعمت على الجانبين بوحدات مقاتلة من الطائرات من طراز ميج ٢١ . وكانت العناصر جميعا متكاملة من خلال شبكة انذار وقيادة .

وثانيا انشاء نظام جديد لامطارات الجوية . فحتى عام ١٩٧٣ شيدت مصر أكثر من ٢٠ قاعدة زودت كل قاعدة منها بممرين على الاقل . وبمخابىء للطائرات والعاملين الخ كمازودت بوحدات للاصلاح . وبدفاع جوى محلى .

وثالثا عزز الدفاع الجوى المحلى عن القوات البرية بواسطة صواريخ سام ٧ الفردية .

وقبل ان تنتهى اعادة البناء للقوات المسلحة المصرية بوقت طويل جاء اختبار حرب الاستنزاف فى١٩٦٩ـــ١٩٧٠ وكانت الخسائر فادحة فى كلا الجانبين . يبدو أن الحرب تمخضت عن دروس قيمة . كان من الواضح ان المصريين احسنوا الاستفادة منها .

وفى حرب ١٩٧٣ وعند عبور القوات المصرية للقناة ــ رد الطيران الاسرائيلى على الهجوم بضربة مضادة سريعة ، ثم ركز على الجسور وعلى القواعد الجوية ، وكانت النتيجة خسائر فادحة فى الطيران الاسرائيلى وضررا ضئيلا فى الاهداف . ولم يلبث المجهود الاسرائيلى الرئيسى فى الجو أن اتجه صوب الشمال ، وبعد خمسة أيام لم يحاول الاسرائيليون القيام بأية هجمات ضد القواعد الجوية المصرية .

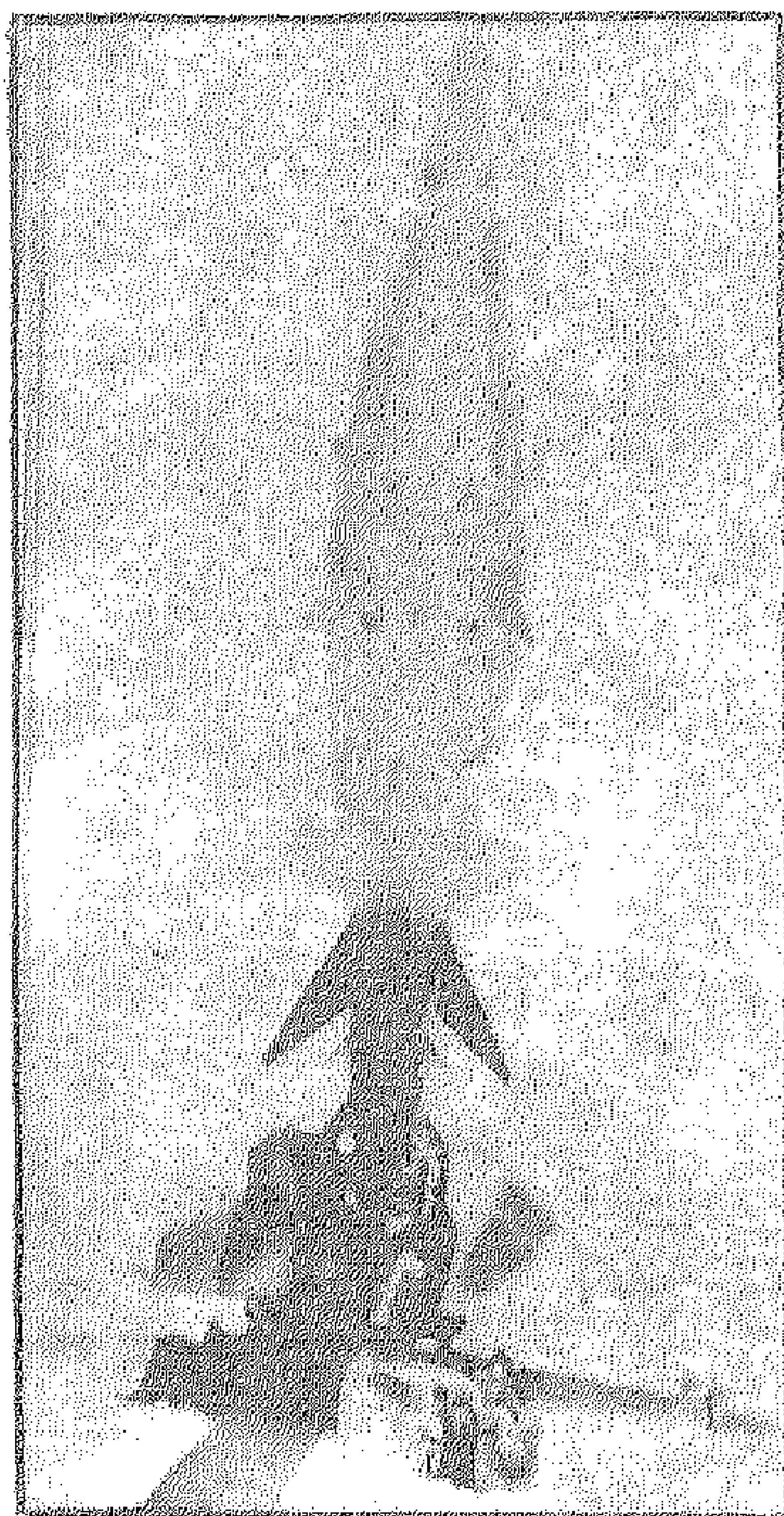
وفى كتاب زلزال فى اكتوبر لزئيف فيل الاتى :

ان هذه العمليات من السلاح الجوى كانت باهظة الثمن ، لقد كان الطيار يهاجم الكبارى دون إن يتعامل قبل ذلك مع بطاريات صواريخ الدفاع الجوى المجاورة للقناة وحتى من شرق القناة اذ كانت تطلق على الطائرات عشرات من صواريخ الكتف من طراز ستريلا . وكانت الصواريخ تطير مثل السجائر المشتعلة فى اتجاه مواسير عادم الطائرات وكان جنود الجيش الاسرائيلى من المواقع ، يرون كيف أصيب طائرتا سكاى هوك احداهما انفجرت على ارتفاع كبير والاخرى هبط منها الطيار بمظلته ببطء غربى القناة وفى الشمال بجانب بورسعيد ، أصيبت طائرة فانتوم ، وهبط أحد الطيارين بالقرب من قرية مصرية .

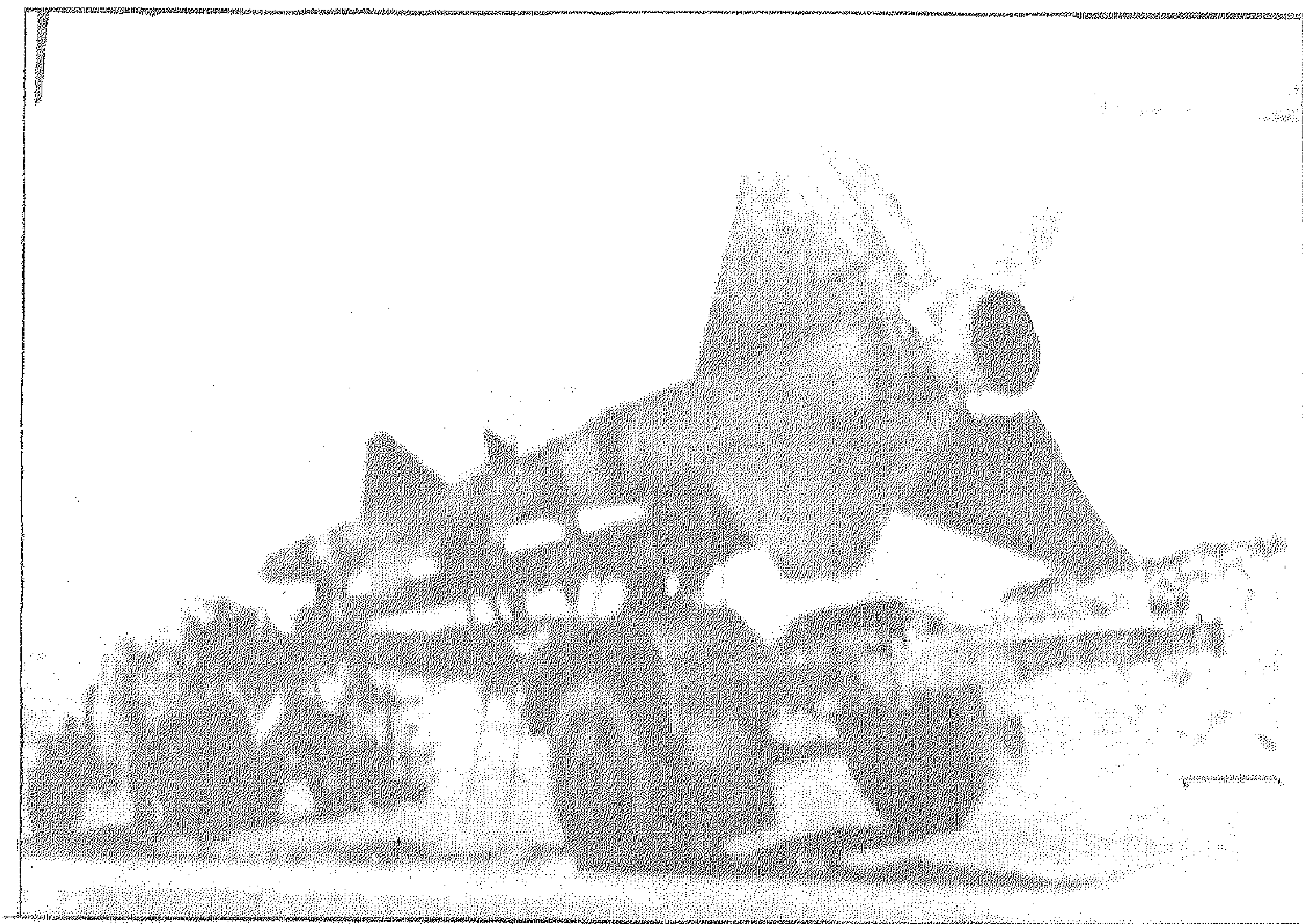
هذا وقد جاء فى مقالة حرب يوم الغفران الواردة فى مجلة المشاة Iniantry **عدد يونيو ويوليو ١٩٧٤ الآتى :**

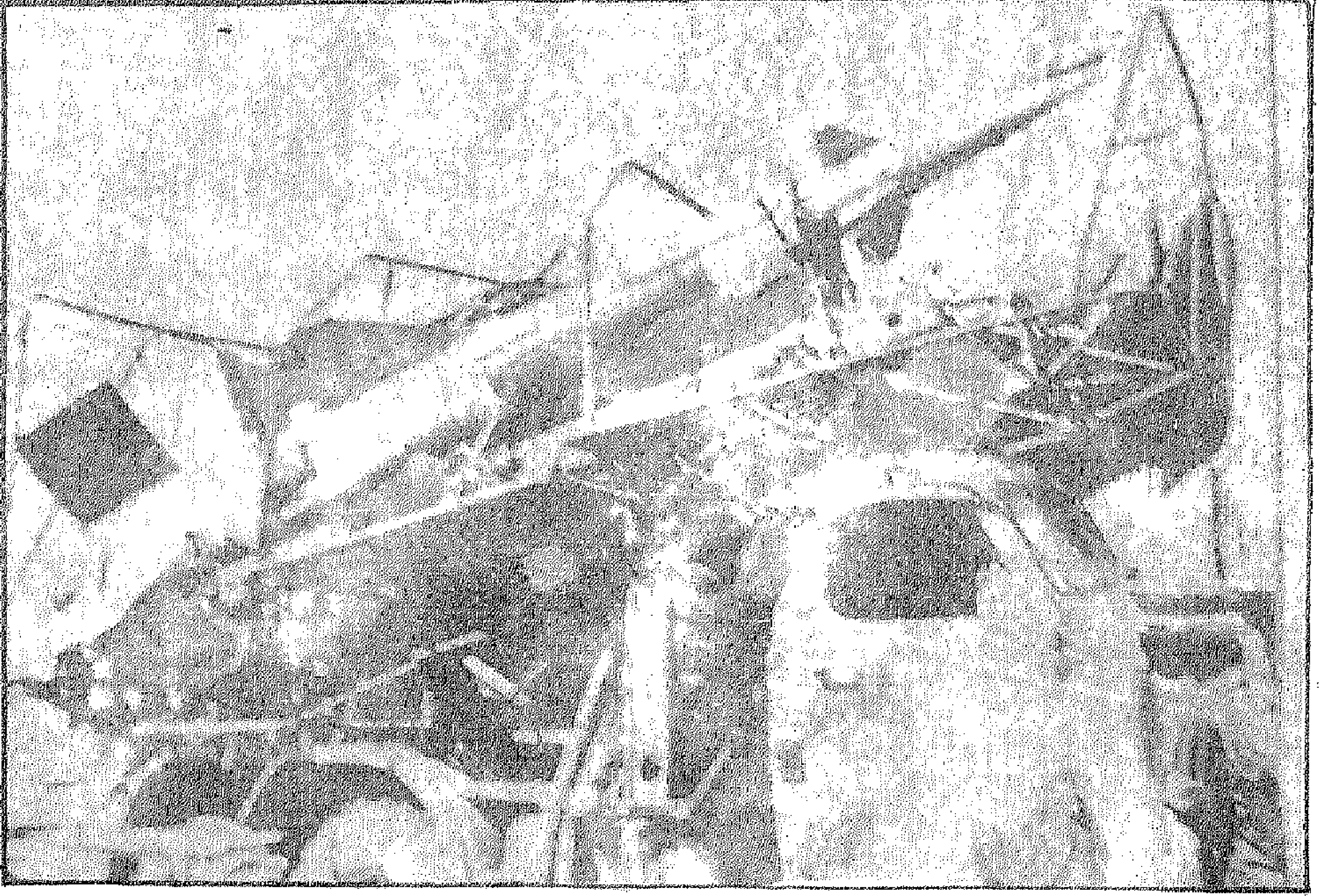
وقد عانت القوات الجوية الاسرائيلية من الخسائر الجسيمة من الدفاع الجوى السورى والمصرى عندما كلفت بحماية القوات البرية . ويقال أنه تم اسقاط حوالى ١٠٠ طائرة اسرائيلية عندما حاول طياروها ضرب المعابر المصرية التى كانت تتدفق عليها بغزارة الجنود والمعدات .

وفى العدد الخاص لمجلة اسبوع الطيران عن القوى الجوية بالشرق الاوسط (القوات الجوية الاسرائيلية) نجد الاتى :

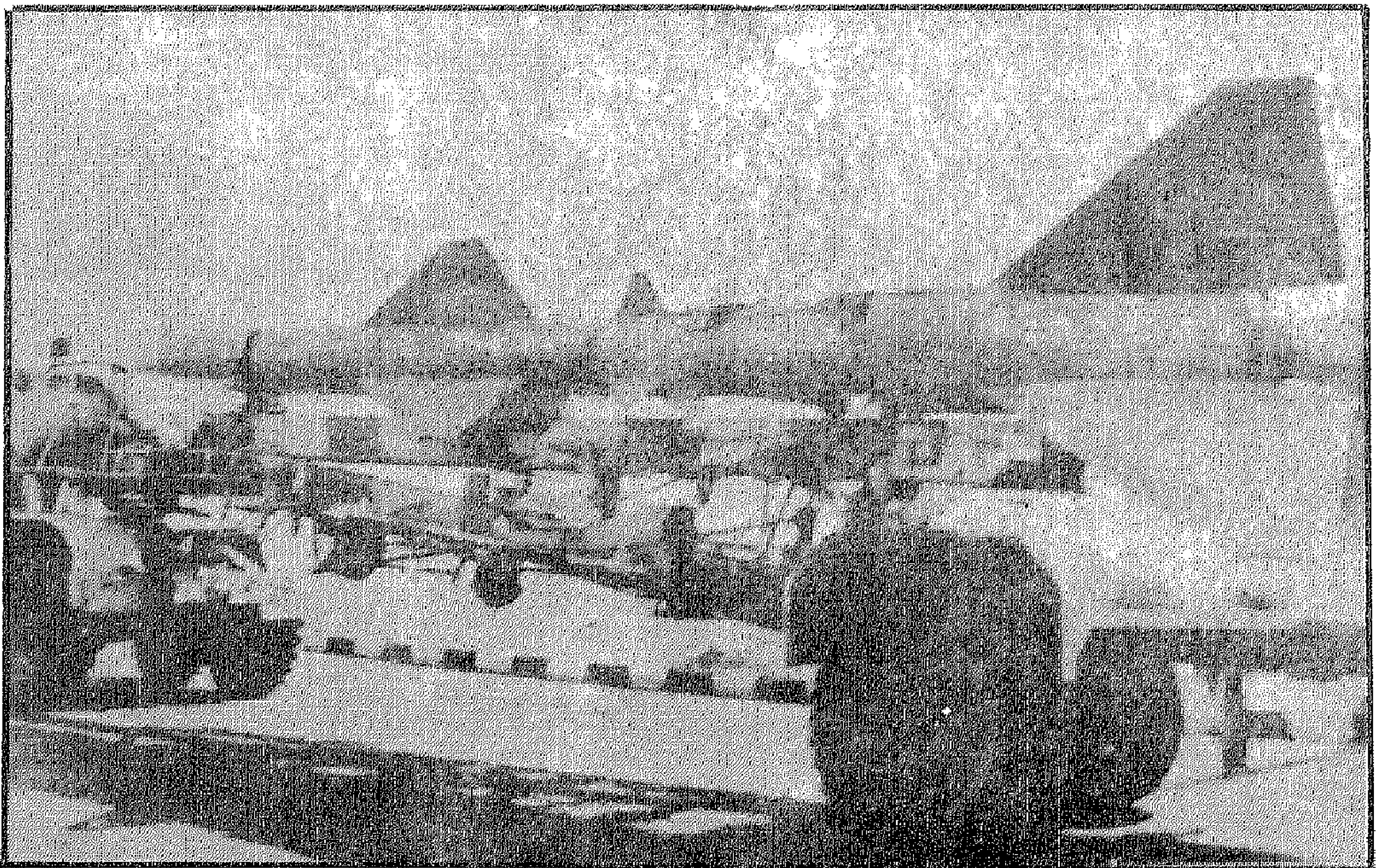


وفى خلال اسبوعين خسرت اسرايــل ربع سلاحها الجــوى وكان
الجزء الاكبر منه بصواريخ الدفاع الجوى (جنرال ا . ميرجلين)





عانت القوات الجوية الاسرائيلية من خسائر
كبيرة بسبب صواريخ الدفاع الجوى المصرية



« لقد كانت القوات الجوية الاسرائيلية تعطى دائما اسبقية فى التدعيم والتطوير لتحافظ على هذا التفوق . ولكن نظرا لفاعلية الصواريخ سام وشبكة الدفاع الجوى المصرية فى الحرب الاخيرة (والتى حدت من حرية عمل القوات الجوية الاسرائيلية وقدرتها على تقديم المعاونة الجوية والغربية فى مناطق المعارك) فقد جعلت المسئولين العسكريين الاسرائيليين يفكرون فى الطرق التى يمكن بها تطوير القوات البرية حتى يمكنها العمل بنجاح دون وجود تفوق جوى يعاونها ، وبالتالى توجيه الاعتمادات المالية لتزويد القوات البرية بمعدات حديثة وليس صرف اعتمادات كبيرة لتطوير القوات الجـــوية .

ان القيادة الجوية الاسرائيلية أصبحت مقتنعة تماما أن تفوقها الجوى فى المستقبل لن يستمر دون احداث تطويرات نوعية كبيرة فى نوعية طائراتها والاسلحة جو/جو » .

وفى مقالة « سلاح الجو الاسرائيلى أثبت انه سلاح حاسم فى الحرب » بمجلـة اسبوع الطيران وتكنولوجيا الفضاء عدد ديسمبر ١٩٧٣ نجد الآتى :

« هذا وقد قام السلاح الجوى الاسرائيلى بمهاجمة عدة مطارات مصرية ، ولكن قصف ممرات الطائرات كان أثره وقتيا ، وتم اسقاط الكثير من الطائرات الاسرائيلية المغيرة بنيران اسلحة الدفاع الجوى المصرية .

وقد بلغ أجمالى خسائر القوات الجوية الاسرائيلية حوالى ١١٧ طائرة اسقطت بمختلف الوسائل وهى تشمل ١٢ طائرة ميراج — ٣ وحوالى ٣٥ طائرة فانتون F-4 ، ٥٥ طائرة سكاى هوك A-4 ، ٦ طائرات سوبر مستير ، و ٦ طائرات هليوكبتر ، وفى مساء أول يوم من الحرب تم اسقاط عدد ٣٠ طائرة سكاى هوك A-4 . وعدة طائرات فانتوم وقد بدت صواريخ سام ٧ « الاستريللا أكثر خطورة مما كان معتقدا » .

ومن المحاضـرة الخـاصة بالدروس العسكرية المستفادة من حرب اكتوبر للجنرال أ . ميرجلين من معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانى يشير الى الآتى :

« وفى خلال أسبوعين خسرت اسرائيل ربع سلاحها الجوى وكان الجزء الأكبر منها بصواريخ الدفاع الجوى » .

هذا وقد جاء فى مقالة حرب الشرق الاوسط التى نشرت فى مجلة ال Military Review الآتى :

« أما بالنسبة للقوات الجوية الاسرائيلية وهى التى كانت مسيطرة تماما فى حرب عام ١٩٦٧ فقد عانت من الخسائر الشديدة فى هذه الحرب من شبكات الدفاع الجوى المتقدمة للعرب . ومع أن الطيارين الاسرائيليون كان لديهم القدرة على التعامل وابطال مفعول صواريخ الدفاع الجوى طراز سام ٢ وسام ٣ الا انهم واجهوا فى هذه الحرب ثلاث أسلحة جديدة مضادة للطائرات شديدة الفاعلية وهى الصواريخ سام ٦ ، سام٧ والمدافع الرباعية عيار ٢٣ مم الموجهة بالرادار المحملة على مركبة جنزير » .

وتتويجا لمقاتل الدفاع الجوى المصرى صدرت تعليمات القيادة العسكرية الاسرائيلية لطياريها بعدم الاقتراب من القناة .

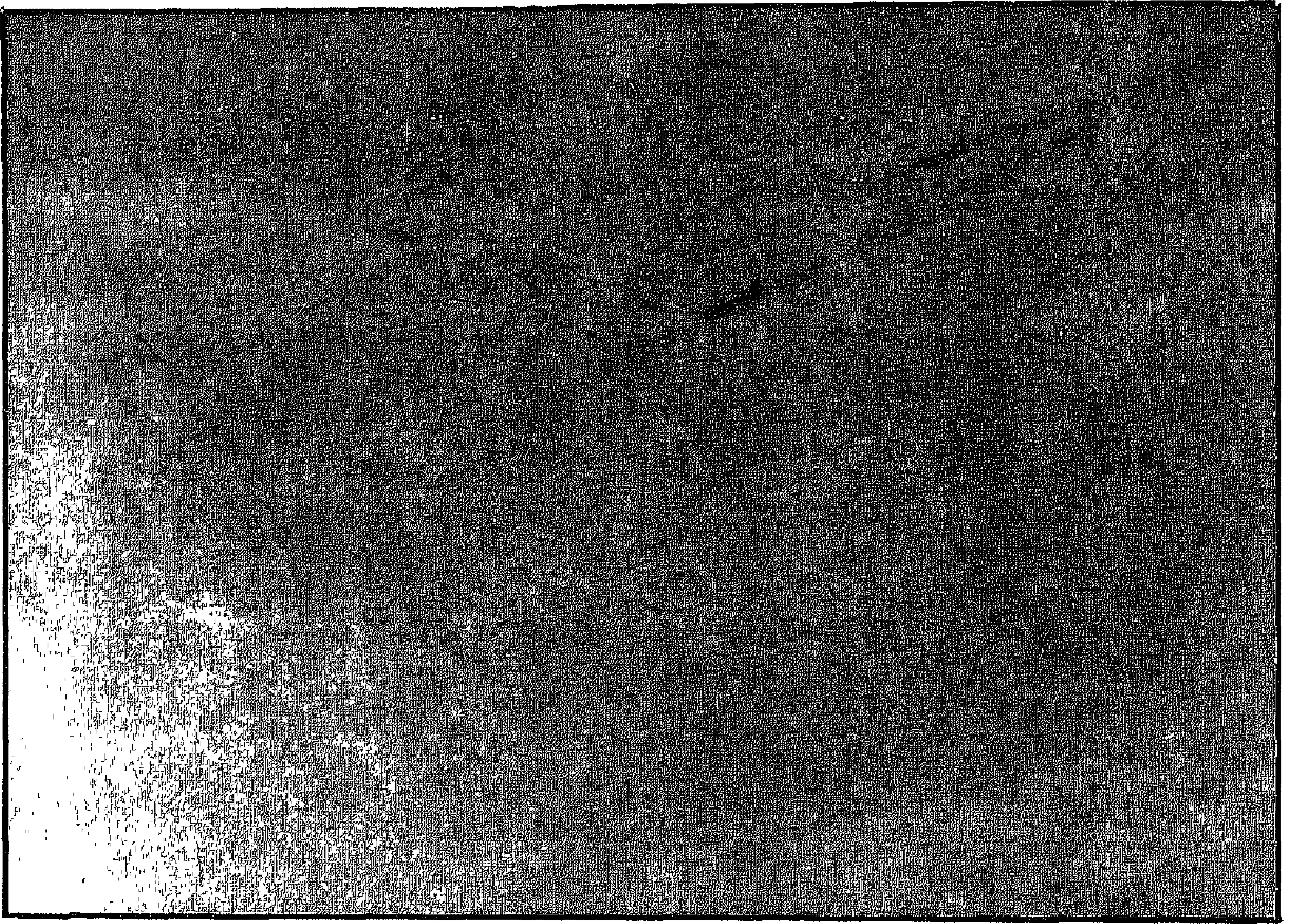
كما كان التركيز الامريكى على امداد القوات الجوية الاسرائيلية فى الجسر الجوى الامريكى أثناء الحرب « بالاسلحة جو / ارض التى تستخدم من على بعد مثل الصاروخ جو / ارض طراز مافريك والقنابل المنزلقة طراز «هوبس» وطراز ووك اى .. الخ بالاضافة الى تركيزهم فى الولايات المتحدة على تطوير هذه النظم لمواجهة شبكات الدفاع الجوى (**مقالة حرب الشرق الاوسط تجدد الاهتمام المتزايد بالاسلحة التى تستخدم من بعد بمجلة أسبوع الطيران عدد ديسمبر ١٩٧٣) .**

القتال الجـــوى :

والدرس العسكرى الرابع كان قتال الطائرات الاسرع من الصوت Supersonic ونقصد هنا القتال القريب Dog Fight والتى اثبت فيها الطيار المصرى أنه مهما كانت قدرات الطائرة وتسليحها فان الشجاعة والاقدام هما أمضى سلاح فى هذا القتال بهذا النوع من الطائرات .

ان قدرة القائد المصرى فى التخطيط للضربة الجوية الاولى وفى حماية طائراته ظهرت بصورة واضحة فى هذه الحرب كما ظهرت قدرة الطيار المصرى على قيادة مختلف انواع الطائرات وفى جميع الظروف . وكان ندا للطيار الاسرائيلى فى جميع

والدرس الرابع للحرب كان قتال الطائرات الاسرع من الصوت



ان المصريين قد هاجموا فى الموجة الاولى بحوالى عدد ١٥٠ طائرة (من كتاب زلزال فى اكتوبر)

الاشتباكات التى تمت بينهما . لقد طور القائد المصرى اسلحته وذخيرته لتناسب الخطة التى وضعها والتى كللت بالنجاح وتم فيها شل قدرة خصمه على السيطرة على قواته .

وقد ذكر فى كتاب ((زلزال فى اكتوبر)) بالنسبة للنشاط الجوى المصرى الآتى :

« ان المصريون قد هاجموا فى الموجة الاولى بحوالى ١٥٠ طائرة ، وفى شرم الشيخ أغارت عليها ١٢ طائرة مصرية » .

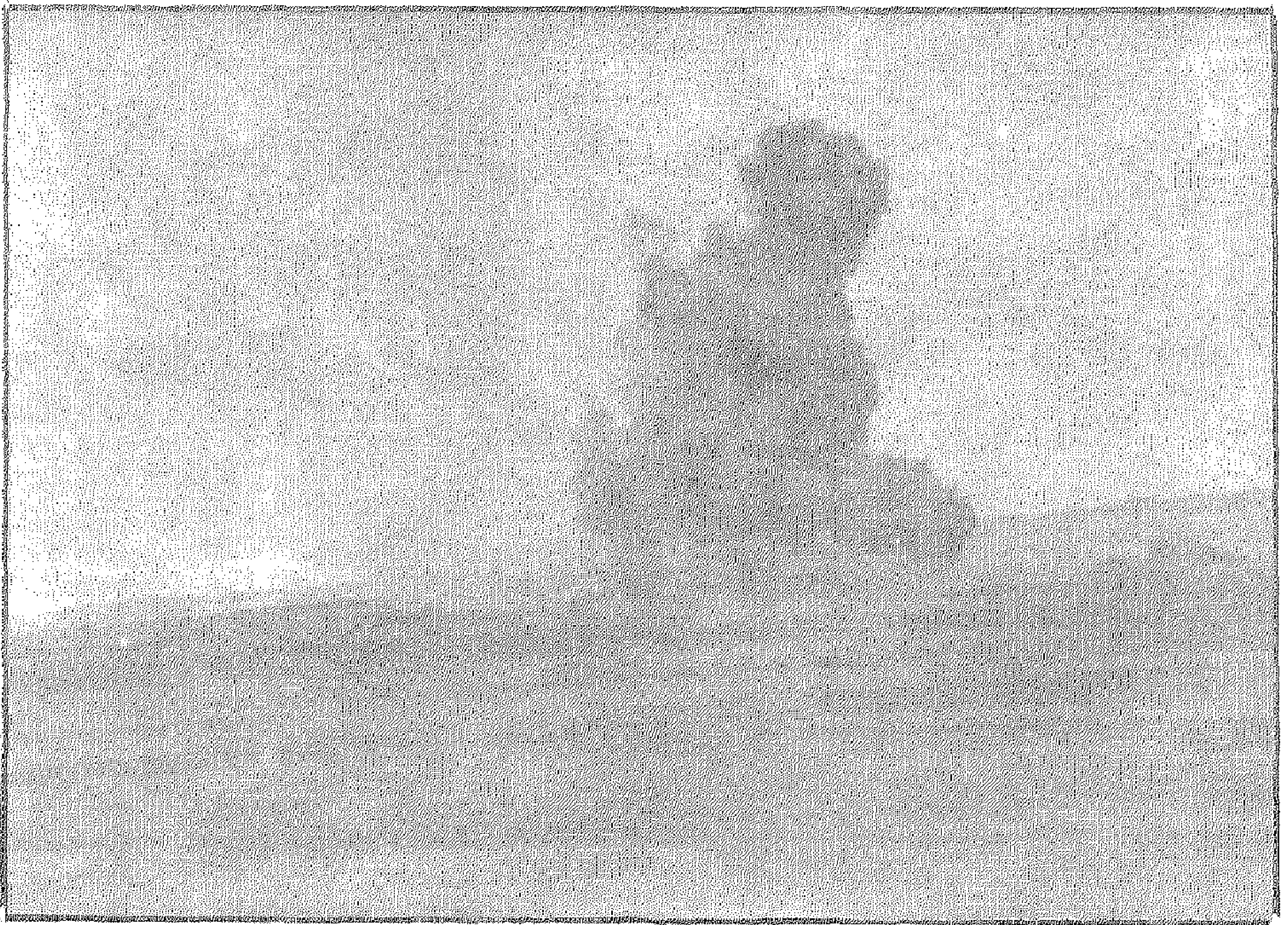
ويشار الى ذلك ايضا فى كتاب ((التقصير بالآتى)) :

« وبعد الهجوم الانقضاضى الاول ، وفور أن اخذ التشكيل الذى يتكون من الطائرات المصرية يستأنف ارتفاعه ، اندفعت نحو السماء اعمدة النيران والدخان . وسارع جنود شرم الشيخ الذين فوجئوا بهذا الهجوم الى مواقعهم ، كان بعضهم يوشك أن يستحم فى مياه الخليج الصافية ، وكانوا لايزالون بأردية الاستحمام » .

ومن البحث الذى قدمه ادجار أوبالانس فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ اشار الى الآتى :

« ونشط السلاح الجوى المصرى وقام بعدد من الغارات الناجحة ضد الكوبريين الاسرائيليين ، واصاب الكوبرى الاول يوم ١٧ ولكن الاسرائيليون اصلحوه أثناء



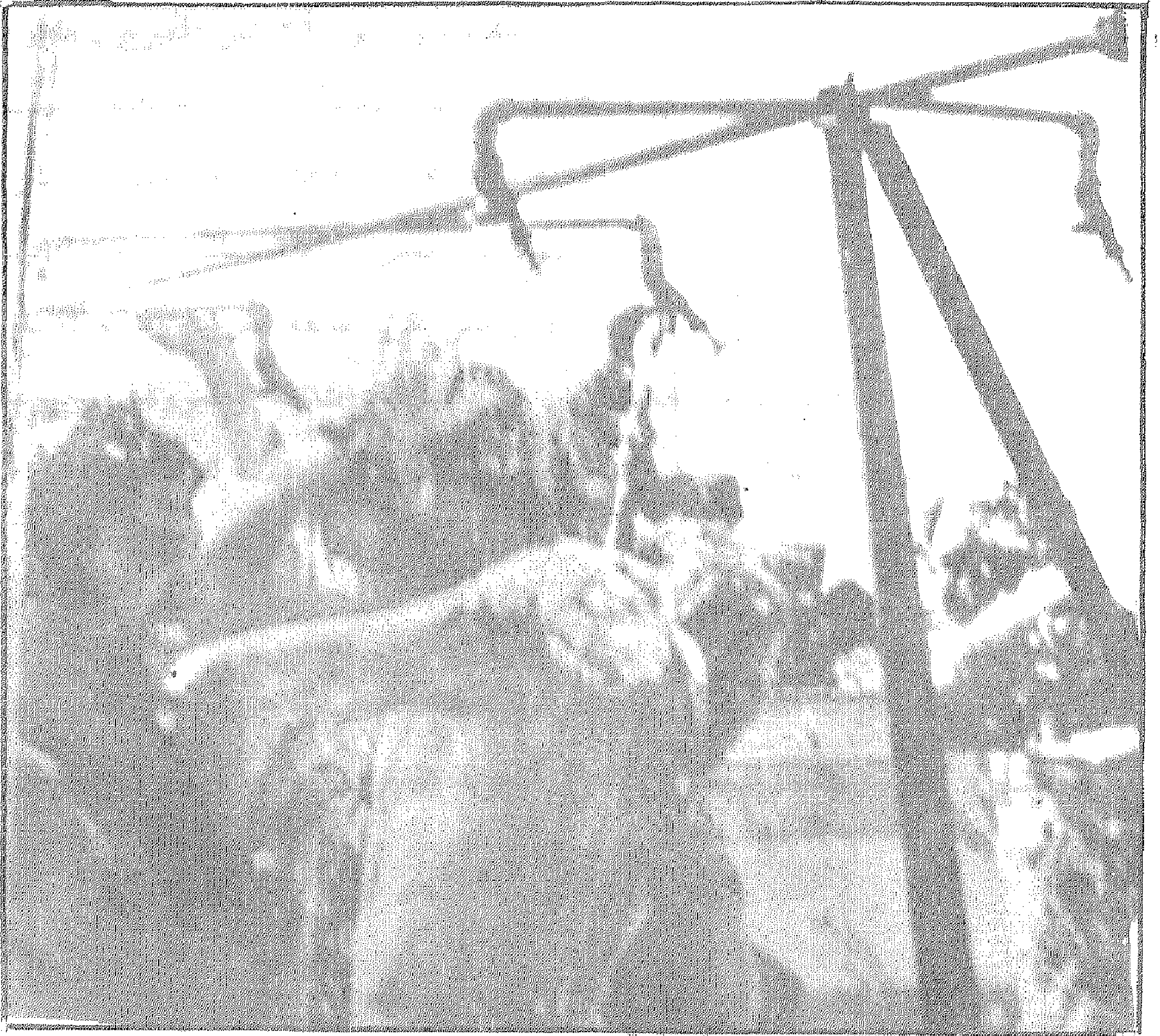


وبعد الهجوم المصرى الانقضاضى الأول اندفعت نحو السماء أعمدة النيران والدخان (كتاب التقصير)





وهكذا ادت الغارات الجوية الى تعطيل أعمال الحشـــد



وكان بعضهم يوشك ان يستحم فى مياه الخليج (من كتاب التقصير)

الليل ، فأصابه ثانية يوم ١٨ . ولكن الاسرائيليون اصلحوه مرة اخرى اثناء الليل ايضا ، وكذلك فان الطائرات المصرية أصابت الكوبريين المتقاربين يوم ١٩ . ولكن الاسرائيليون سارعوا باصلاحهما تحت جنح الظلام ، وفى يوم ٢١ شن المصريون هجوما جويا أدى الى اغراق احد الكوبريين لحظة عبور ست دبابات اسرائيلية عليه ، مما ادى الى ان هوت جميع هذه الدبابات الى قاع القناة . وكذلك اغارت عشرون طائرة مصرية يوم ٢١ اكتوبر على الكوبريين فعطلتهما عن العمل بضع ساعات . وهكذا ادت الغارات الجوية الى تعطيل عملية الحشد الاسرائيلى على الضفة الغربية وبثت القلق لدى الاركان العامة الاسرائيلية وحالت دون عبور الفرقة الثالثة (المعروفة بمجموعة العمليات ٢٥٢) بقيادة جنرال ماجين والمؤلفةمن لواءين مدرعين وثلاثة الوية ميكانيكية .

ومن مقالة القوات الجوية الاسرائيلية تواجه أسلحة عربية جديدة التى نشرت فى مجلة اسبوع الطيران (عدد خاص عن القوى الجوية بالشرق الاوسط) عام ٧٣ نجد الآتى :

لقد اتصفت معارك الطيران فى هذه الحرب بكثرة عدد الطائرات التى كانت تشتبك فى المعركة الواحدة ، لذلك كان على الطيار الاسرائيلى ان يركز فقط على هدف معين فى وضع قتل ويطلق سلاحه بسرعة ثم يهرب قبل ان تركب احدى طائرات العدو ذيله وهذا هو الذى أدى الى أن تكون اشتباكات الطائرات فى مدى الصواريخ وان قليلا جدا منها كان بالمدافع ٣٠ مم .

لقد كان الصاروخ الاسرائيلى هو اكثر الثلاث صواريخ التى استعملت فى الاشتباكات فاعلية ، لقد كانت مشكلة الطيار العربى هو عدم فاعلية الصواريخ جو/جو السوفيتية المزودة بها طائراتهم وخاصة عندما يضبطها على الهدف . أن هذه الصواريخ تماثل الموديلات الاولى للصاروخ سايدويندر فى ادائها وتعطى أزيزا معينا عندما يكون ذيل الطائرة المعادية فى نطاق الراس الباحثة عن مصدر الحرارة المزود بها الصاروخ .

وكان الطيارون المصريون الذين طاروا وقاتلوا احسن من اية حرب ماضية لا يسمعون اى ازيز عندما تكون الطائرة الهدف ممسوكة بالرأس الباحثة عن الحرارة لصواريخهم .

لقد ذكر مقاتلوا الميراج الاسرائيليين أن الطيارين المصريين قد اظهروا مهارة اكثر فى الطيران والقتال عما كانوا عليه من قبل .

الحرب البحرية :

اما الدرس العسكرى الخامس الذى قدمته العسكرية المصرية للعالم فهو خاص بالحرب البحرية . لقد غير المصريون مفاهيم التكتيكات التقليدية للمعارك البحرية . ويجب ان لاننسى ان اول صاروخ بحرى أطلق فى العالم اطلقته يد مصرية اغرقت به المدمرة ايلات . وقد غيرت حرب اللنشات والصواريخ السريعة المزودة بالصواريخ الموجهة مفهوم العالم بالنسبة لاهمية القطع البحرية الكبيرة الحجم والبطيئة السرعة .

وكان التكتيك البحرى ينقل المركة البحرية بعيدا وحتى مضيق باب المنـــدب فى جنوب البحر الاحمر والذى قفلته المدمرات المصرية فى وجه الملاحة الاسرائيليـــة بعدا آخر للمعارك البحرية مع اسرائيل .

اخضاع الصحراء وتحريك الرمال :

وقد اتسمت حرب أكتوبر من الطرفين بانها حرب الصحراء وتحريك الرمال ، وقد استطاع المصريون تحريك كميات هائلة من الرمال فى أوقات وجيزة واقامة مصاطب النيران وشق الطرق والمدقات بسرعة مذهلة ودقة متناهية على الضفة الغربية للقناة .

ان تحريك الرمال هو احد الدروس المستفادة وهو الدرس السادس من هــذه الحرب التى ستأخذ اهمية خاصة فى تكتيكات حرب الصحراء .

ومن المقالة بعنوان « معدات حربية جديدة » التى نشرت فى مجلة المشــــاة INFANTRY عدد يونيو / يوليو ١٩٧٤ نجد الآتى :

« لقد خاض العرب واسرائيل العديد من الحروب . وفى كـــل حـــرب كانوا يستخدمون أسلحة حديثة فى وقتها كما كانوا يتعلمون من اخطائهم ومن أخطــــاء عدوهم وبلاشك فان تحريك الارض EARTH MOVNIG يكون أحد الدروس الهامة المستفادة من هذه الحرب التى ستاخذ أهمية خاصة فى التكتيكات وقد اصبحت هذه من السهولة بحيث يمكن انشاء العديد من القنوات والخنادق والسواتر فى فترة قليلة فور بدء الاشتباك أو حتي فى أيام .



لقد غير المصريون التقاليد المتوارثة للحرب البحرية فى العالم

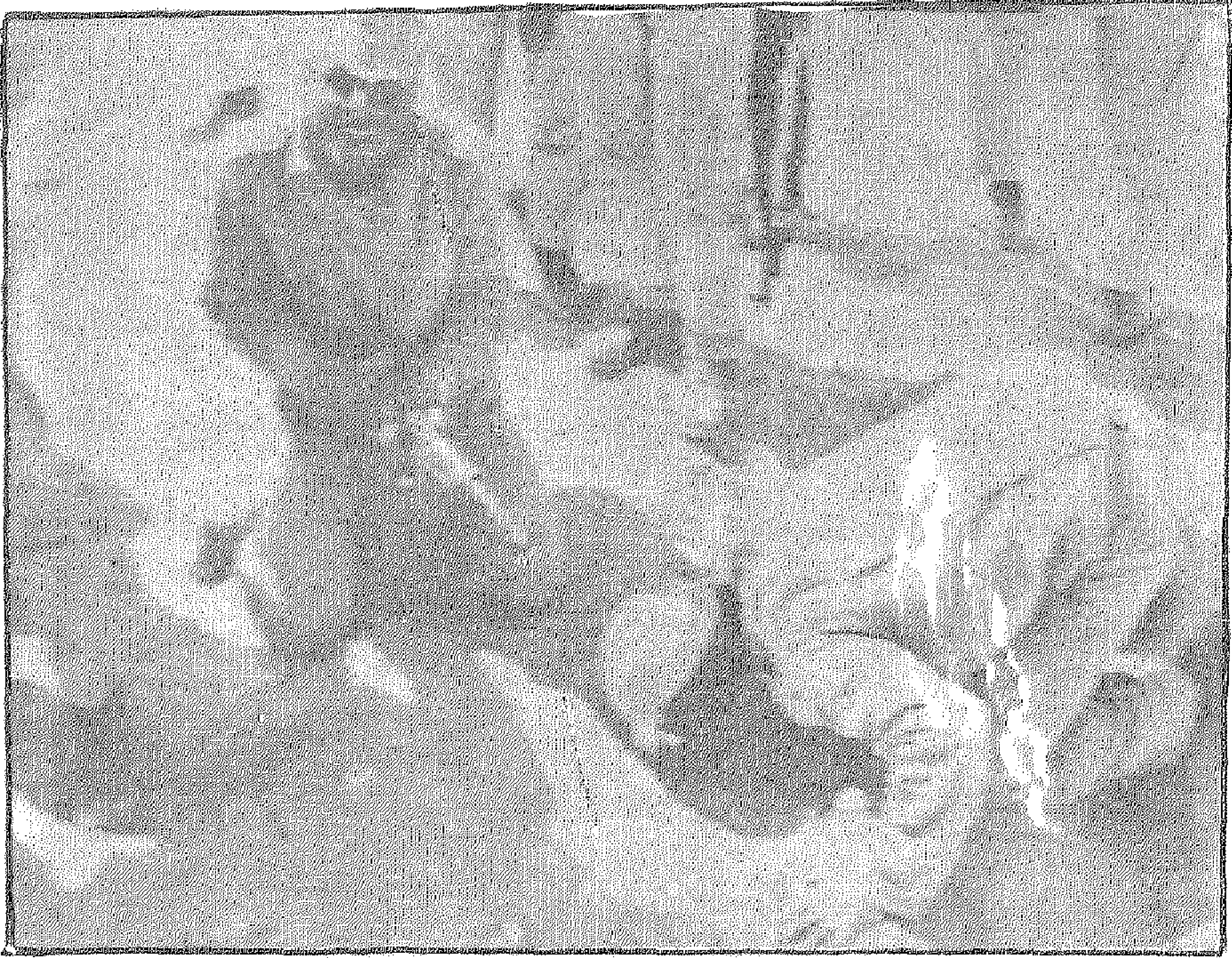


كذلك ستكون مركبات القتال أكثر صلاحية لحرب الصحراء كما فى الجولان ، كما ستتقدم (تطور) طرق زراعة الالغام بسرعة وكفاءة .

وفى حرب ١٩٧٣ تحركت المركبات العربية عبر الرمال التى كانت توقف الدبابات القديمة والعربات نصف جنزير . وعليه فانه يتوقع أن تكون هناك تطورات اكثر فى كل انواع المركبات وخاصة لملاءمة ظروف الشرق الاوسط كما سيشمل التطوير الكثير من المعدات الاخرى مثل معدات عبور الدبابات والكبارى ... الخ .

ومنذ ١٨ عاما كان يوجد هناك اسلوبين للسير عبر الاراضى الصحراوية اولهما التحرك على عجل والاخرى التحرك على جنزير . وفى الفترة الاخيرة كان التحرك على جنزير فى حرب الصحراء هو الاتجاه الغالب وخاصة فى العربات المدرعه ولكن تطورحرب أكتوبر ١٩٧٣ اظهرت اهمية الاحتفاظ بالتحرك على عجل على الاقل فى بعض الاغراض . وقد تبين أن توليفه (تركيبه) من الاطارات وعجل البالون تمكن من نقل حمولات ثقيله عبر الرمال الناعمة وجميع العربات المدرعة السوفيتية ذات العجل مزودة بنظام لضبط ضغط الهواء فى الاطارات لتمكنها من السير عبر الاراضى المختلفة .

وبديل آخر لطريقة تغيير ضغط الهواء فى الاطارات هى باستخدام عدد اكبر من الاطارات (ملحوظة .. كان هذا كله تطويرات مصرية استخدمتها فى حرب عام ٧٣ الامر الذى ادى الى حدوث مفاجأة تكنولوجية للاسرائيليون علاوة على المفاجأة التعبوية والاستراتيجية) .





ان حرب المستقبل ستكون مثل حروب الماضي يكسبها او يخسرها الرجال

الروح القتاليـــة :

والدرس التالى بعد ذلك لهذه الحرب الذى قدم لدول العالم عامة ولاسرائيل خاصة هو ان مساحات الارض ونطاقات وأحزمة الامن لن تكون عائقا ابدا امام حق مطالب جســـور مهما عمت هذه المساحات والنطاقات بالخطوط المحصنة وبنظم الاسلحة الحديثة وبوسائل المراقبة والانذار الدقيقة . وكما قال نابليون بونابارت ان النسبة بين الروح المعنوية والعتاد الحربى تبلغ/٣ : ١ .

ونتيجة الدروس المستفادة من هذه الحرب فانه مما لاشك فيه فأن حــرب المستقبل ستكون مثل حروب المــاضي يكسبها او يخسرها الرجال وليست المعدات مهمــا بلغت درجة تطويرها .

لقد كان تاثير حرب اكتوبر على الروح المعنوية العربية سواء لدى المدنيين او العسكريين اشبه بتاثير موجة من الكهرباء سرت فى ابدانهم جميعا وبددت الكثير من الشكوك التى كانت تحيط بهم . ولم يكن فى مقدور احد حتى اكثر النــاس تفاؤلا ان يجرؤ على التنبؤ بهذا الارتفاع الاسطورى فى الروح المعنوية .

وقــد ذكر ادجار اوبالنس فى محاضرته عن تاثيرات حرب اكتوبر ١٩٧٣ التى القــاها فىندوة اكتوبر عــام ١٩٧٥ الاتى :

لقــد فوجىء الاسرائيليون فى اكتوبر ١٩٧٣ بالجنود العرب يحطمون القيــود ويقهرون ويأسرون المئات منهم ويسقطون المئات من طائراتهم ويدمرون المئات من



لقد فوجىء الاسرائيليون بالجنود العرب يأسرون المئات منهم (ادجار أو بالنس)

دباباتهم وخلاصة القول ان الجنود العرب قضوا على اسطورة السوبرمان الاسرائيلى الذى لا يقهر .

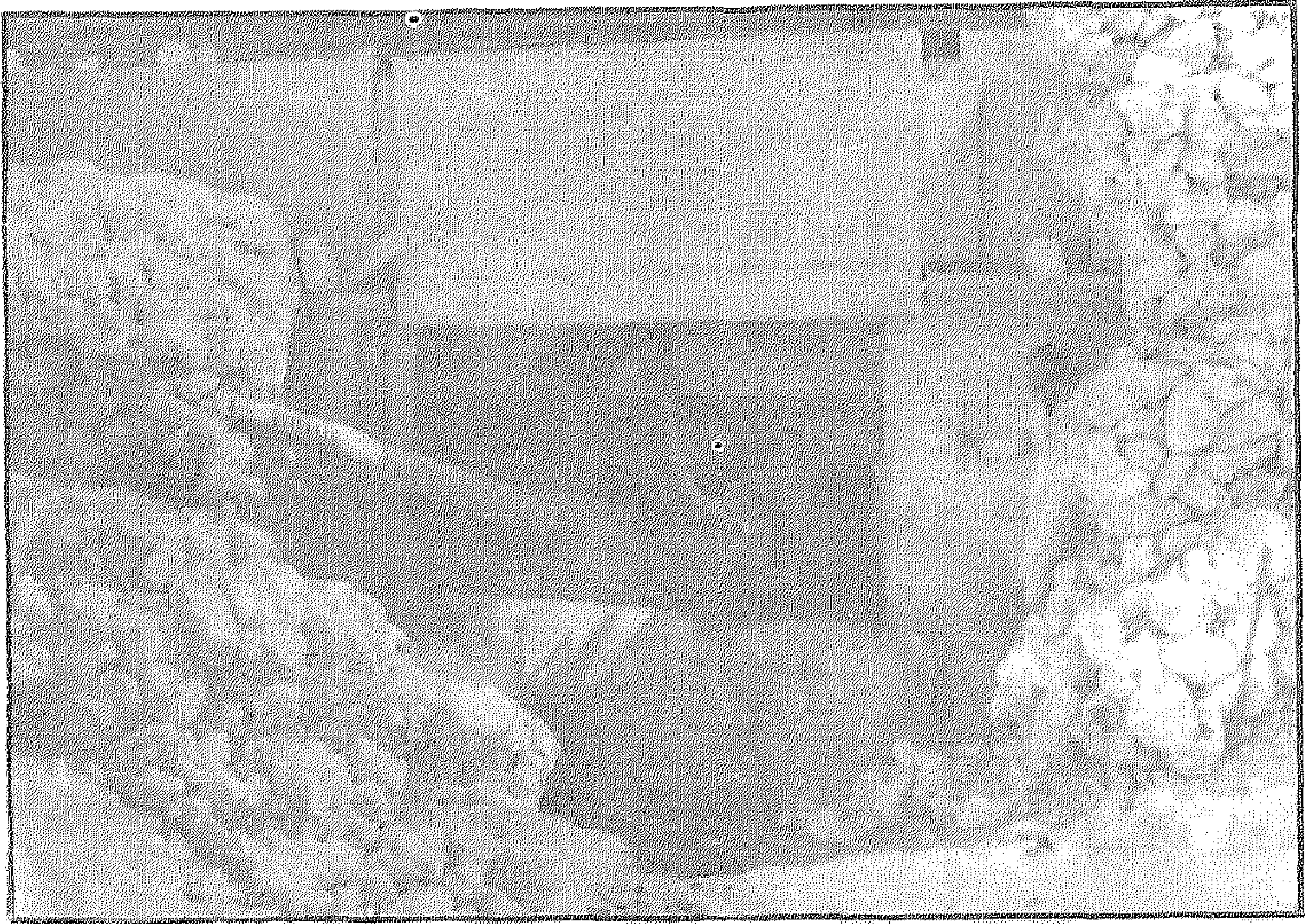
ومن الامثلة العديدة على ارتفاع الروح المعنوية للجندى المصرى نجـد الاتى :

١ ــ من محاضرة ادجار اوبالنس عن تاثيرات حرب اكتوبر ٧٣ (ندوة اكتوبر ١٩٧٥)

لقـد ابرزت هذه العمليات شجاعة وصلابة صغار الضباط وصف الضباط والجنود المصريين الذين صمد كثيرون منهم فى جيوب مقاومة صغيرة فى المناطق التى ادعى الاسرائيليون انهم احتلوها . واصيب الاسرائيليون بخيبة امل عندما فشلوا فى اقتحام مدينة السويس ، ولكنهم اصيبوا بخيبة امل اكبر عندما رفض الجيش الثالث المصرى ان يلقى سلاحه ويستسلم رغم انه كان يعانى نقصـا فى الذخيرة والمـاء والمؤونة ورغم ماتعرض له من المشاق والهجمات والقصف ومنشورات الدعاية الاسرائيلية وغير ذلك من اساليب الحرب النفسية .

٢ ــ ومن كتـاب الزلزال :

ا ــ وفى السـاعة ١٤٠٠ صدر امر تحويل قسم كبير من الطائرات الى الجنوب الى الكبارى المصرية التى اقيمت على قناة السويس . ولم تكن هـذه من الاهـداف التى يسـهل ضربها .



وقد وجه المصريون قصفاتهم النيرانية الى مواقع المدفعية الاسرائيلية الثقيلة .

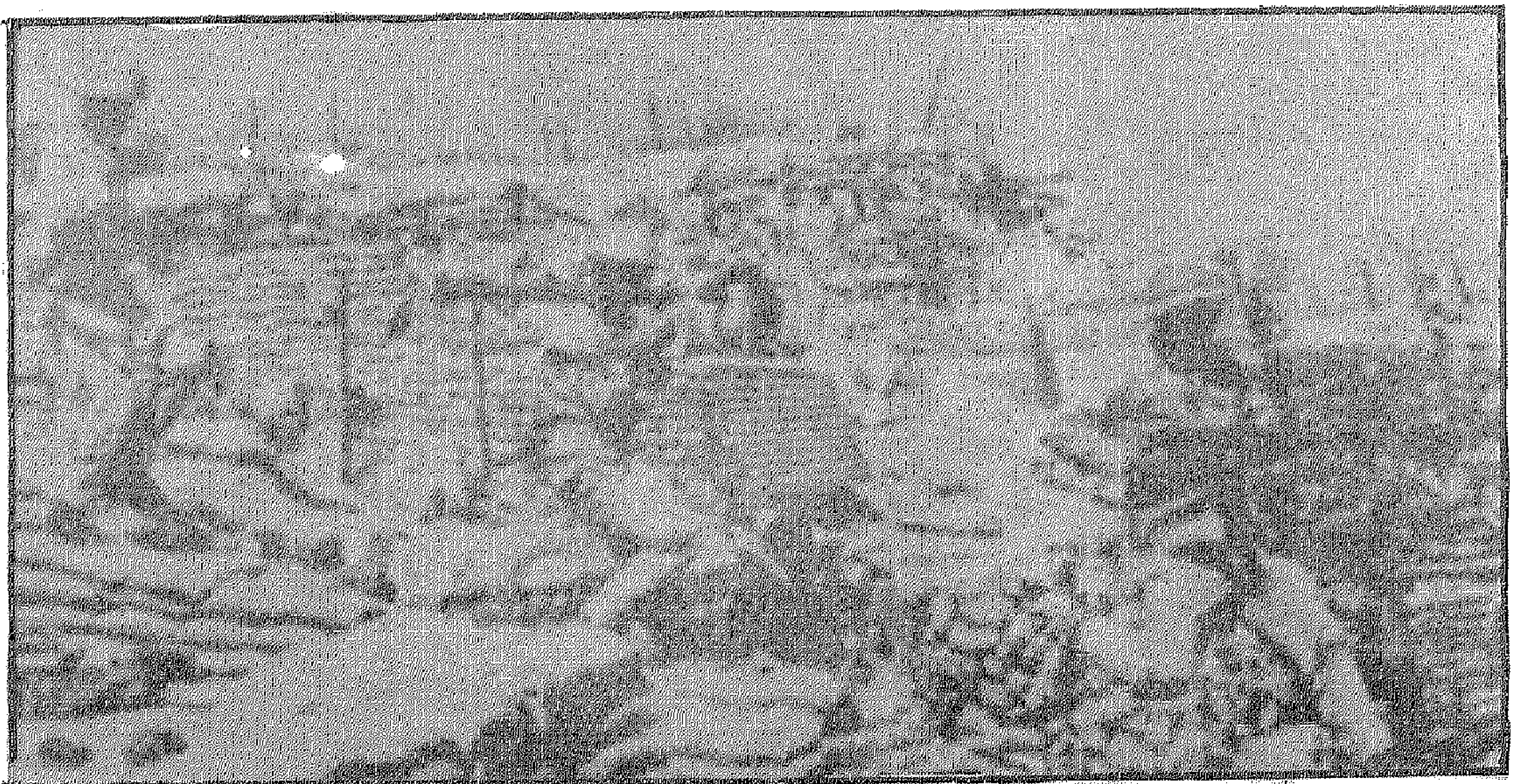
لقـد كان المصريين يصعبون على الطيارين الاسرائيليين المهمة بسواتر من الدخان يطلقونها بجانب الكبارى كما كانوا يقيمون بعض الكبارى الوهمية . ويستغل افراد المهندسين المصريين فترات التوقف بين القصف ويلقون الى المـاء بمعديات جديدة ويستبدلون بسرعة فائقة الاجزاء التى اصيبت . وكلما ازدادت الاصابات فى الكبارى ، يتبع المصريون حيلة اخرى. ففى فترات التوقف بين عبور القوات يقومون بقطع جزء من الكبارى من ناحية ويربطونها الى الجانب الشرقى من القناة . وهكذا يصبح من الصعب على الطيارين الاسرائيليين تحديد مكان الكبارى وضربها . ولكى تستطيع الطائرات ان تضرب كوبريا مربوطا الى الســاتر الشرقى ، يصبح عليها ان تنقض من ناحية الغرب ، أى من ناحية الجانب المصرى ، المكدس بالصواريخ والمدافع م/ط وبعد أن تمضى الطائرات الاسرائيلية يقــوم المصريون باعـادة تعويم الكبارى وربطها من جديد .

ب ـ وفى مكان آخر من الزلزال ذكر الاتى عن الروح القتالية واسلوب القتال الجنـدى المصرى :

اما الانقضـاض فى قناة السويس ، فقد كان يحمل طابعا آخر . فعلى العكس من مذهب القتال السوفييتى فان المصريين بداوا بقصف تليين مستمر . وجاء الانقضاض سريعا،بعد قصف حوالى ربع ساعة . وقد وجه المصريون الى المواقع الاسرائيلية المدفعية الثقيلة أيضا ذات عيار ٢٤٠مم . وكانت الموجات الاولى من المهاجمين من رجال المشاة . وكان على هؤلاء



لقـــد كان انقضاضا جماعيا فى المرحلة الاولى بحوالى
عشرة آلاف جنـــدى سبقتهم نيران كثيفة للمدفعيـــة



ان يسيطروا على الناحية الاخرى من القناة ويبدأوا فى اقامة رؤوس جسور ، لقد كان انقضاضا جماعيا فى المرحلة الاولى بحوالى عشرة آلاف. ومن اجل تقويض السواتر الترابية على حافة القناة فى الجانب الاسرئيلى استخدم المصريون طلمبات مياه بضغط جبار ، وتسبب تيار المياه فى احداث شقوق فى الساتر الترابى ، واخذ المصريون يعبرون القناة بمئات من الزوارق من انواع مختلفة من المطاط والخشب وبعد أن بدأ القصف بعشرين دقيقة ظهرت الدبابات البرمائية فى مياه البحيرة المرة عند كبريت . وكانت هذه الدبابات الخفيفة وكذلك حاملات الجنود المدرعة وهى برمائية هى الاخرى كانت اول من دخل سيناء .

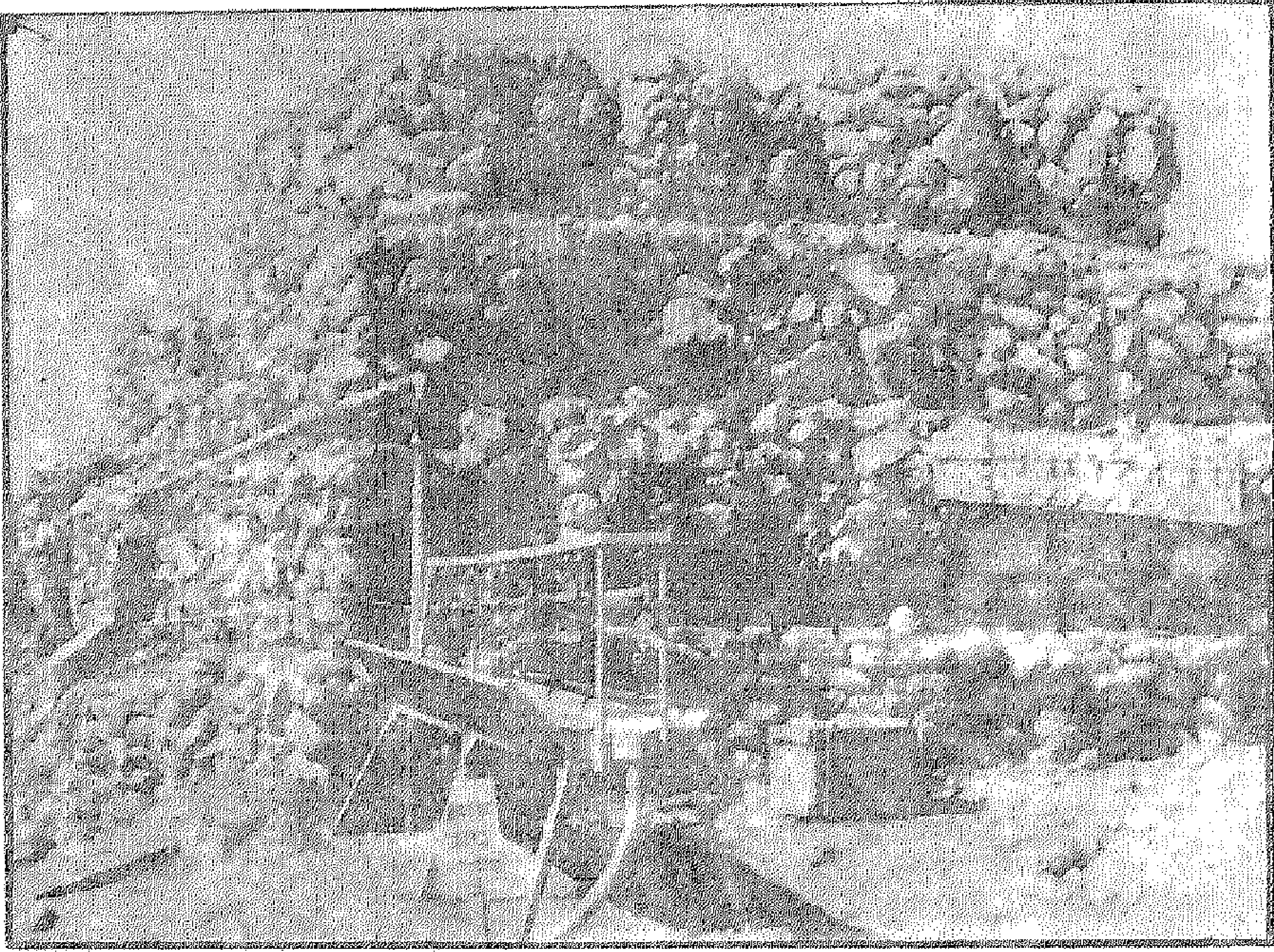
وهدفت الموجة الاولى من المهاجمين الى احتلال الساتر الذى اقامه جيش الدفاع الاسرائيلى . وكان عليها ان تسيطر اولا على الاماكن التى يريد سلاح المهندسين المصرى ان يقيم جسرا عليها ، ويقوم جزء من المهاجمين باشمال المواقع الحصينة ، انهم يتسلقون الساتر الترابى بالسلالم ويبدون كالجراد وعندما تصل موجة اخرى من العابرين تنزل الموجة الاولى وتتقدم حوالى ٢٠٠ متر . والنيران تعرقل افراد المراقبة الى مسافة كبيرة . ويعمل المصريون كما فى تدريبات القتال بعد مراجعات كثيرة وتستعين الموجة الاولى برجال الضفادع وتبدو اللوريات المصرية وهى تقترب من القناة وتسير بظهرها ثم تلقى الى الماء ببراطيم المعديات والكبارى . ويرتبط كل جزء بالآخر وفى خلال حوالى نصف ساعة يقام جسر لقوات المشاة . وعلى هذه الكبارى تتدفق فى الموجة الثانية ثلاث فرق مشاة ، وفى غضون ساعات قليلة ينجح المصريون ايضا فى ان ينقلوا

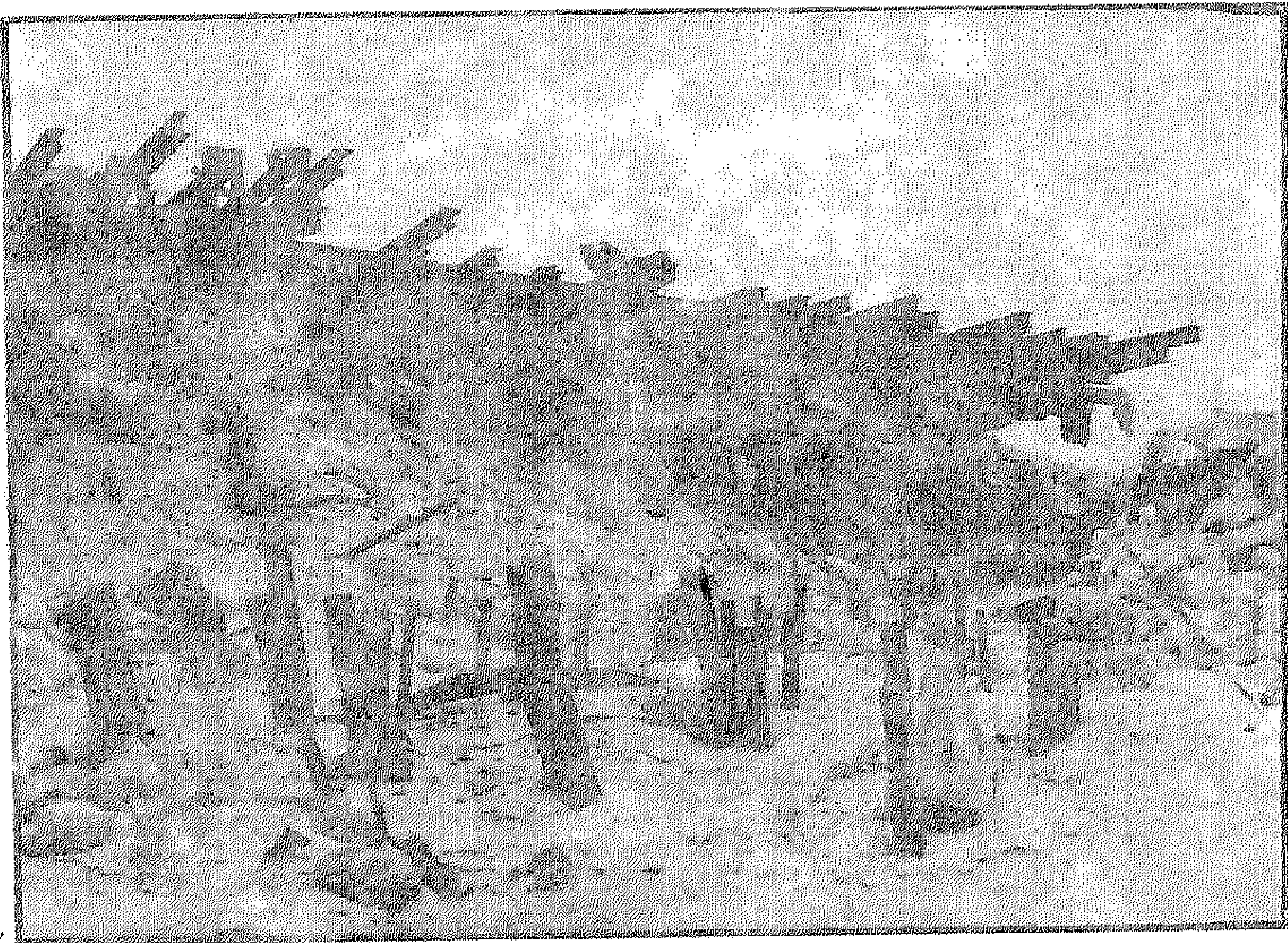
الى سيناء اكثر من ٤٠ الف جندى مشاة . وفى نفس الوقت يبدا افراد سلاح المهندسين فى اقامة كبارى لعبور المدرعات فهذه كبارى ثقيلة اكبر . ووفقا لنمط التدريبات تستمر اقامتها حوالى اربع ساعات .

ويتبع المهاجمون تكتيكا سليما ، اذ كانت قلة منهم فقط تعمل فى مهاجمة الحصون وكانوا يلتفون حول الحصون ويدخلون بينها ويتدفقون الى الداخل . ويترك المصريون الاهتمام بالحصول عليها الى المرحلة الثانية من القتال وكان هدف المصريين هو الوصول فى المرحلة الاولى الى ١٠ — ١٢ كيلومترا شرقى القنــــاة .

لقــد كان المشهد البادى امام نظر افراد المواقع الاسرائيلية مثل الكابوس فان كميات النيران المصرية وعدد المهاجمين قــد أذهل الكثير منهم . وكــانت الحصون التى لا تهاجم توجه عنايتها على الفور الى العابرين الموجودين فى مدى السلاح الخفيف والهاونات ولكن لم يكن هذا سوى قطرة فى بحر .

ومن منطقة القلاع التى تبعد حوالى عشرة كيلومترات من القناة ، تاتى فى خلال نصف ساعة حوالى عشرين دبابة اسرائيلية الى مقربة من البطارية الواقعة عند القناة ، ولكن أكثر من ثلث هــذه الدبابات يصاب بالقنابل وبصواريخ ار . بى . جى وكان الذى يطلقها هم الجنود المصريون الموجودين على البطارية .





ومن منطقة القــلاع التى تبعد حوالى عشرة كيلو مترات من القناة تاتى حوالى عشرين دبابة اسرائيلية ولكن اكثر من ثلث هــده الدبابات يصاب بالصواريخ .

وفى انقضاض الموجة الاولى لم يقتل من المصريين اكثر من ١٩٠ جنديا .
ومع المساء يبعث وزير الحربية المصرى بتقرير الى السادات عن نجاح المرحلة الاولى من العملية وهى مرحلة العبور . فيرد **السادات قائلا لقد عبرت الامة العربية حاجـز الخـوف .**

٣ ـ ومن كتاب التقصير نجد الاتى بعد قد ذكر موضحا الروح القتالية المصرية اثناء حـرب اكتوبر ١٩٧٣ :

ولم تمض سوى بضع ثوان الا كانت مياه قناة السويس قد غطيت فجأة بعشرات من القوارب وبداخلها رجال راحوا يجدفون بكل قوتهم ويعبرون بها الطريق المائى من الغرب الى الشرق

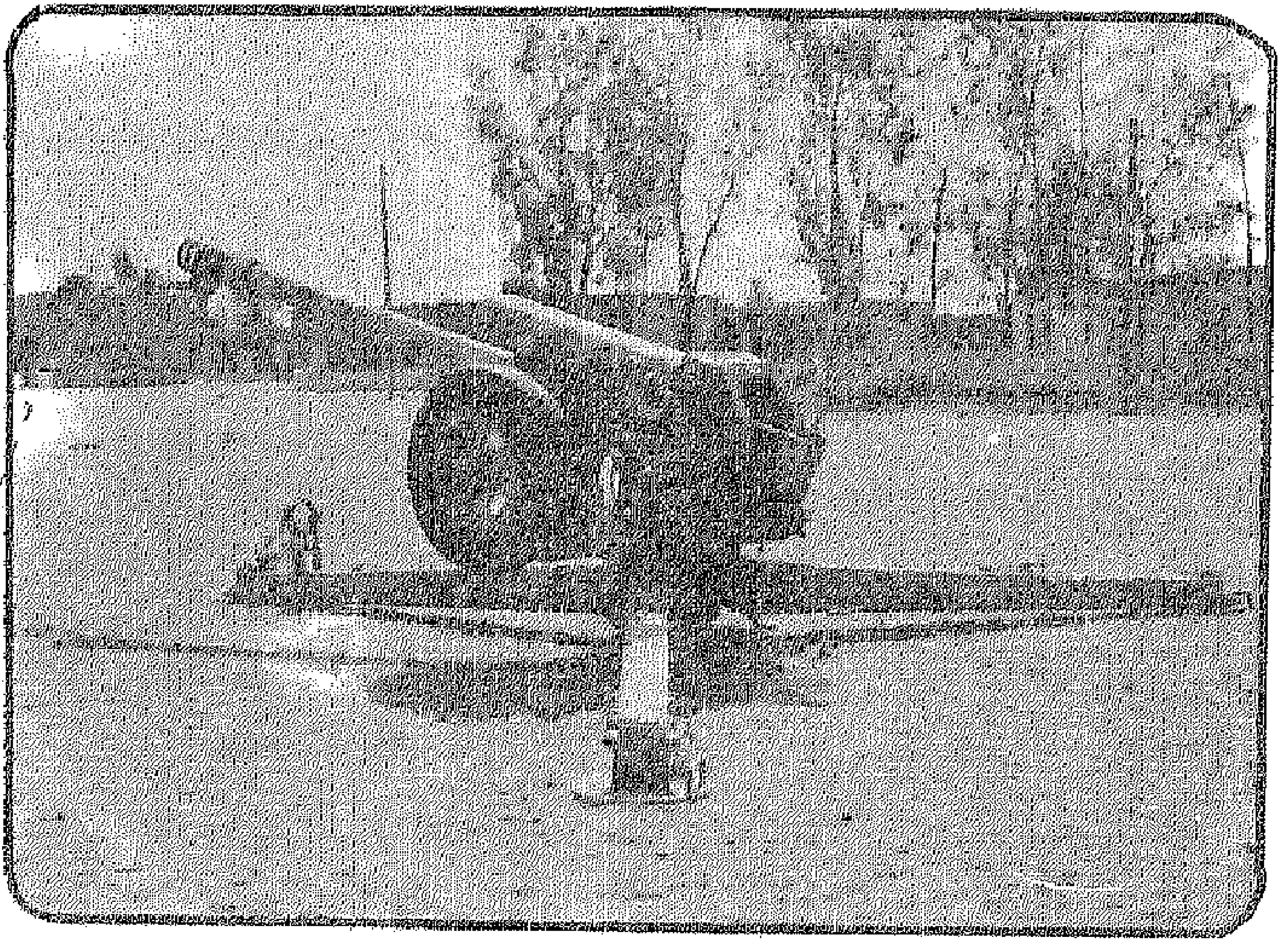
ولقد عبر اكثر من ثمانية آلاف رجل قناة السويس فى الساعات الاولى . وبعد اربع وعشرون ساعة كانت خمس فرق مشـاة ومدرعة مصرية تحتل المواقع بعمق خمسـة كيلو مترات شرقى القناة فقطعت بذلك نقاط الارتكاز الحصينة فى خط بارليف عن مؤخرتها .

لقـد تبين انه فى الوقت نفسه الذى تنهمر فيه نيران كثيفة من المدفعيـة على نقاط الدفـاع الاسرائيلية كان المصريون يعبرون القناة ويدفعون بقوات مجموعة كوماندوز بطائرات الهليوكبتر نحو قلب سيناء عند ذلك ارسلت الدبابات الاسرائيلية بمثابة تعزيزات الى الخطوط الاولى . لكن كانت هناك مفاجأة فى

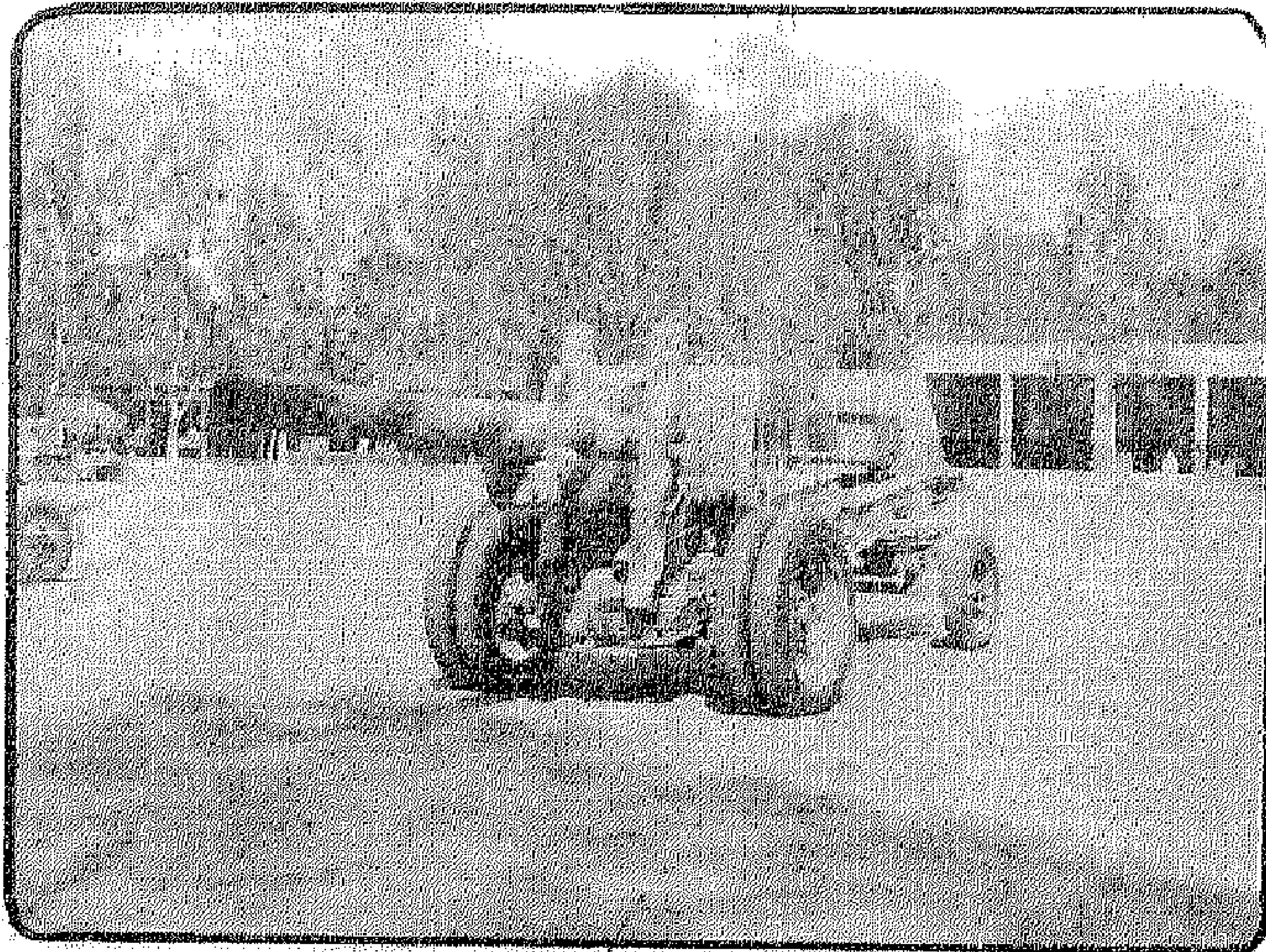


ولم يفهم قادة الدبابات ذلك الذى يحدث لهم





بعض قطع المدفعيـة التى
اشتركت فى حرب اكتوبر ٧٣
(كانت نيران المدفعية الكثيفة
تنهمر على نقاط الدفاع
الاسرائيلية)



انتظارها **لاتقتربوا من خط القناة** .. ولم يفهم قادة الدبابات ذلك الذى يحدث لهم . ولا ما اصابهم غير ان الامر كان فى غاية الوضوح فعلى بعد بضع مئات من الامتار من الساتر الترابى . كان عددا كبيرا من الدبابات الاسرائيلية يرقد معطوبا غير صالح للقتال بعد ان وقع ضحية لمئات من الصواريخ المضادة للدبابات من طراز (ساجر) المعدل اطلقت من قواعد اقامها المصريون على الضفة الغربية . وبعد ذلك ببضع لحظات ، هوجمت الدبابات الاسرائيلية من جديد بنفس هذه الصواريخ التى اطلقت هذه المرة من الضفة الشرقية ، بأيدى الجنود المصريين الذين بداوا يضعون على هذه الضفة اقدامهم ، **ولسوف تظل اطقم الدبابات الاسرائيلية تذكر جيدا ولزمن طويل هذا الاستقبال .**

ولتغطية المشاة الذين عبروا القناة ، بدات المدفعية المصرية عملها ، فراح الفان من المدافع من كل طراز وكل عيار تدمر الدشم الاسرائيلية والخنادق والهوائيات والمنشآت التى اقامتها اسرائيل .

وكان المصريون الذين يقتحمون الساتر الترابى شرقى القناة مجهزين بعتاد ثقيل ومتنوع فمنه المعاول والاقنعة الواقية من الغازات والانية الخاصة بجمع ماء المطر ، والسواطير والجراية الشخصية والقنابل اليدوية والمواد الناسفة والذخيرة . وقد حملوا ايضا حقيبة صغيرة غريبة .. انها تلك الصواريخ الشهيرة من طراز (ساجر) .

هكذا انقضت اللحظات الاولى من حرب عيد الغفران على خط بارليف . ولقد كان ماحدث شيئا غير معقول ، مما جعل الدهشة التى استولت على جميع وحـدات حامية الخط كاملة شاملة . وبالرغم من الاوامر التى صدرت للاحتفاظ بحالة التأهب الدفاعى على الخطوط فأن المفاجأة كانت كاملة .

وفى يوم ٦ اكتوبر ، فيما بين الساعة الثانية وخمس دقائق والثالثة والربع بعد الظهر . كان هناك عدد من القتلى على طول الضفة الشرقية للقناة وهم قتلى لم يسمح لهم الوقت لكى يفهموا أو يعرفوا ان الحرب قد بدأت .

٤ — وفى مكان آخر من نفس الكتاب ذكر ايضـــا :

وفى نفس ذلك اليوم . وصل الملازم ايجـــال وموطنه (ريشون صهيون) بعد عدة مغامرات على رأس وحدته الى المحـــور الذى يعبر المنطقة الواقعـــة بين الطاسة وبالوظة وهو يقــول فى ذلك :

وعند ذلك سمعت اصوات انفجارات . كانت هذه هى المدفعية المصريـــة وفى نفس الوقت شاهدت كتلا سوداء فى الافق : كانت هذه هى الدبابات المعادية وعلى يسـارنا بعض الدبابات من طراز سنتوريون التى حطمتها الدبابات المصرية ولكى لانظل على غير معرفة بالمكان الذى نحن فيه ، اخذنا نطلق النـــار على المدى البعيد وعند ذلك ادركنا ان تصويبنا لا يصل الى نقطة الصفر ، وكانت قذائفنا تســـقط على مقربة منا .

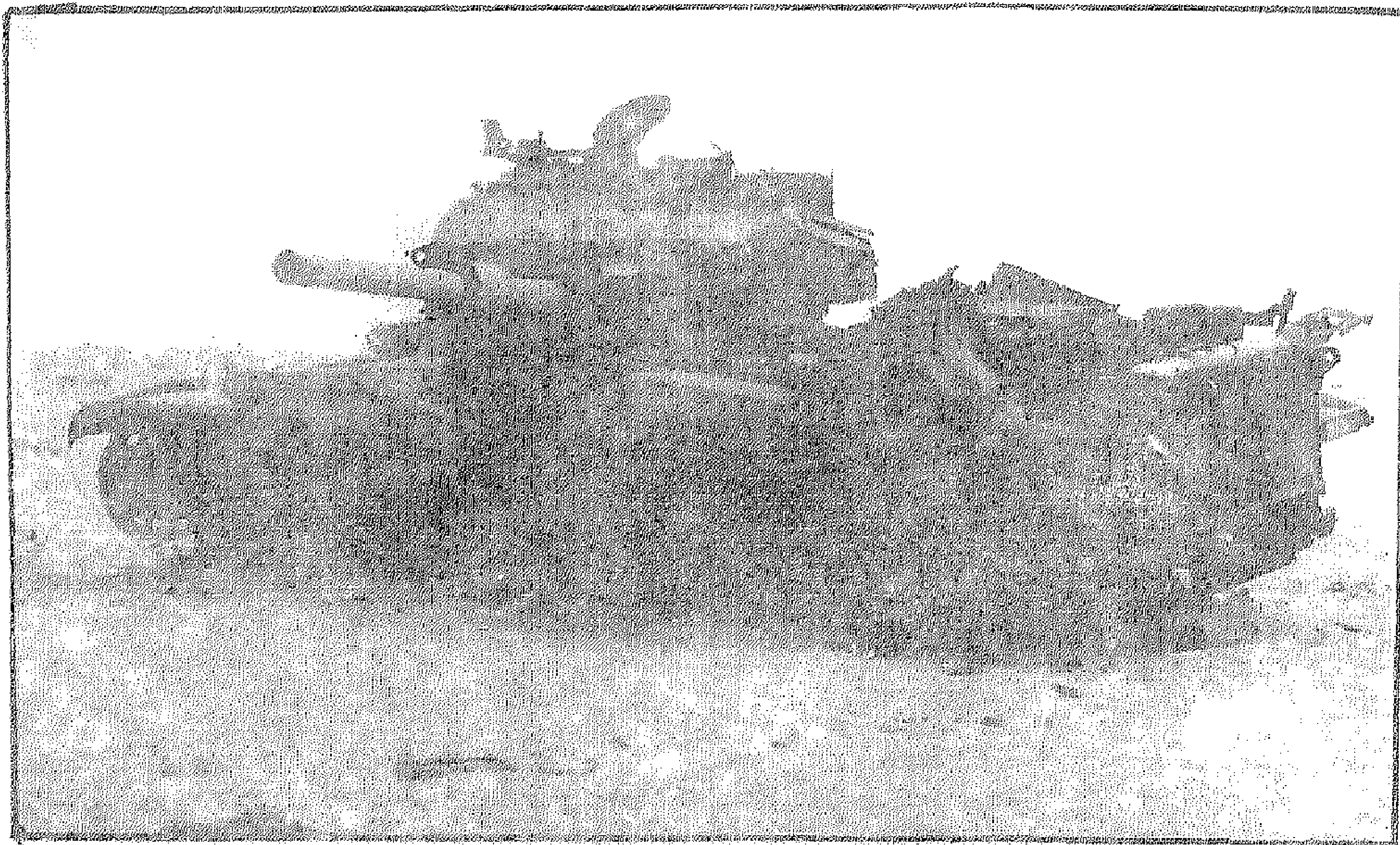


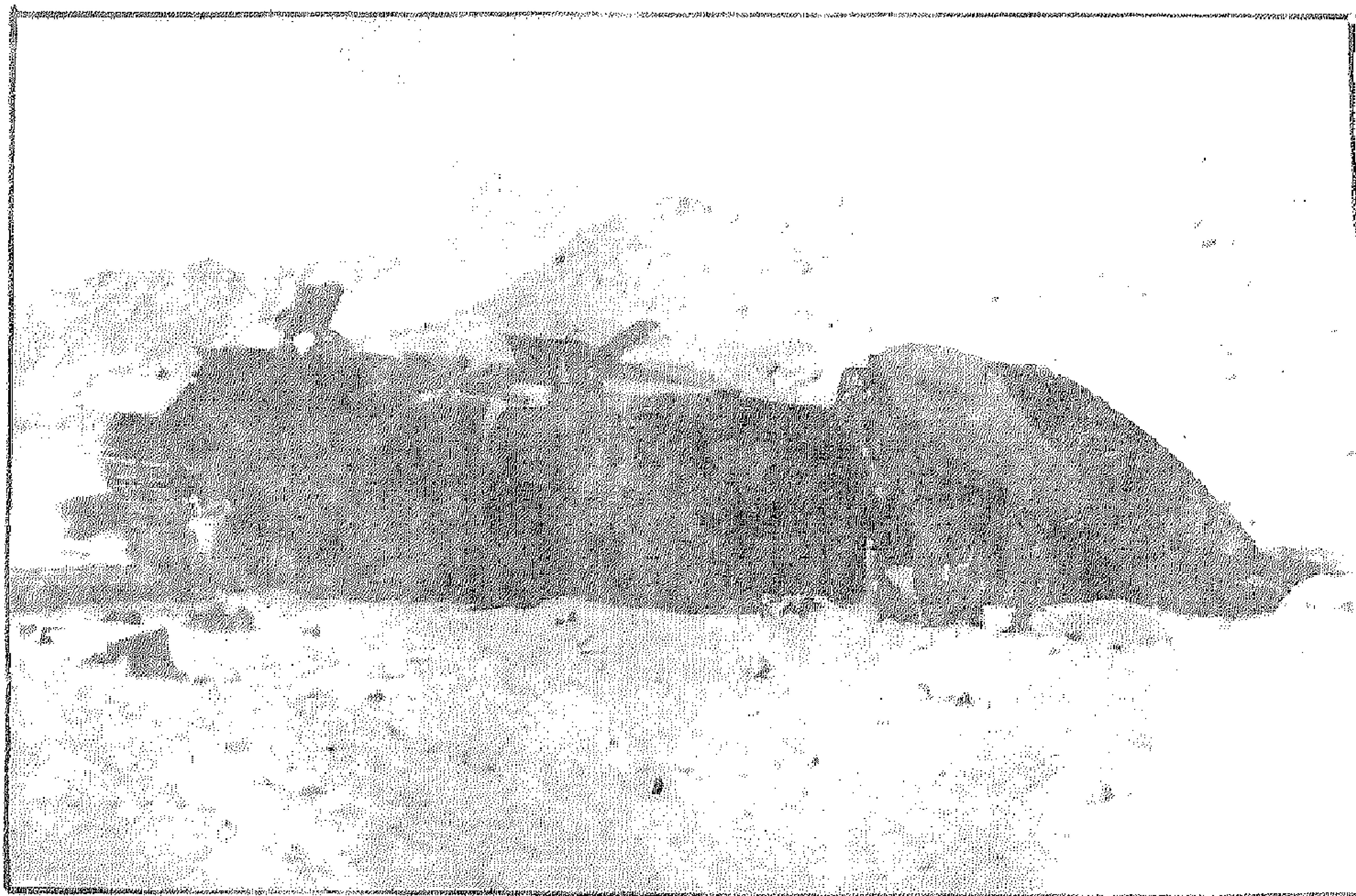


كان المصريون يدفعون بقوات مجموعة الكوماندوز بطائرات الهليوكبتر نحو قلب سيناء

وسمعت اصوات انفجارات هائلة فى ناحية الفردان ، غير بعيدة عن الموقع الحصين كانت المنطقة زاخرة بالمدرعات وادركت اننا محاطون بالاعداء . كانوا — كثيرين .. الى حد أنهم بدوا فى كثرة الصينيين . لقد كانوا يخرجون من كل مكان من الخندق ومن خلف التلال ولم يكن احد قد ابلغنا اننا سوف نقاتل ضد قوات المشاة . وبعد ان اطلقت دفعتين من رصاص مدفعى الرشاش ، اذا بالمدفع يتوقف معطوبا . وخيل الى ان استخدام المدفع الكبير ليس من الحكمة فى شىء ولكنى اضطررت اخيرا ان الجأ اليه وعند ذلك طلبت من مدفعجى دبابتى ان يعطينى عددا من القنابل اليدوية وبعد الهجوم الذى كان يقوم به المشاة المصريون ، بدا جنودنا كأنهم اصيبوا بالخبل والصم ، وكانهم لايدركون مايجرى حولهم . **وكانت التلال مكتظة بالجنود المصريين الذين يركضون فى كل اتجاه ، فبدوا كأنهم عش ضخم من النمل** . وفجاة جاء صاروخ من طراز (ساجر) طائرا فى اتجاه الدبابة السنتوريون التى كانت الى يمينى ولم يكن لى أى اتصال بها فلم استطيع ان احذرها طالما ان اللاسلكى لم يكن يعمل عندى . وصحت كالمجنون عندما صدمها الصاروخ فى صميمها ونفذ منها ، ورأيت قائدها يقذف من برجها وقد تناثر جسده ، ثم توقفت الدبابة دفعة واحدة . وهنا استولى على الفزع ، فأخذت اعطى سائق دبابتى اوامر متناقضة الى اليمين .. الى اليسار .. الى الامام .. الى الخلف .

كنت عاجزا عن النطق فرحت اعطى اوامرى عن طريق المدفعجى الذى كنت اضربه بقدمى . وكنت اسمع رصاص المدافع الرشاشة تصطدم على جانبى دبابتى





وارسلت تقريري ثمانى دبابات تحترق فوق الساتر الترابى

وعند محـور الاسماعيلية كانت عدة وحدات أسرائيلية مدرعة مشتبكة فى قتـال يائس مع القـوات المصرية .

وفى القطاع الواقع جنوبى خط بارليف كان الاسرائيليون لايزالون محاصرين داخل انقاط الحصينة ، وكانت المدرعات المكلفة بتخليصهم فى وضع بالغ السوء فبعضها قـد احترق وبعضها الاخر قد تعطل . ان الجيش الاسرائيلى لايبدأ اية عملية الا بعـد دراسة متعمقة للخسـائر التى يمكن أن تسفر عنها . ان سقوط قتيل واحد يعتبر خسارة كبيرة ، أما سقوط عشرة من القتلى فهو شىء رهيب لكن ها هى عشرات الجثث ترقد فوق رمال الصحراء . لقد مات بعضهم محروقا ومـات اخرون وقـد ضلوا فى الكثبان . فهـم اما ان التقوا بوحدات معادية فماتوا على ايديها ، او استسلموا لهـا .

وفى مساء يوم الاحد ـــ اليوم الثانى للحرب ـــ كانت المواقع الحصينة فى خط بارليف تنقصها الذخيرة . وفى العدد الاكبر من الدشم كان يوجـــد الكثيرون من القتلى والذين أصيبوا بجراح خطيرة ، بينما كانت لاتزال تقاوم الهجوم المصرى ـــ أمـــا الدبابات الاسرائيلية التى حاولت ان تصل الى هذه الدشم ، لتخليص المحاصرين فيها ، فأنها دمرت جميعها .

وتلقى ضباط المواقع المتقدمة الامر بمغادرة مواقعهم ، وكان واضحا انهم لايستطيعون الا الاعتماد على انفسهم . وكانوا يعرفون ذلك .

وهكذا اقتحم المصريون هــذا الخط الاول الدفاع الاسرائيلى وهــو الخط الــذى كانوا يخشونه كثيرا ودمروا الوحدات الاسرائيلية الاولى التى ارسلت لتعزيزه .

ولقــد وجدت المدرعات الاسرائيلية امامها كتلا بشرية هائلة مزودة بقــوة نيران تبعث على الرهبة . لقــد كان المصريون يلقون بانفسهم على الدبابات الاسرائيلية ويتعلقون بها ، ثم يموتون . وهكذا بغير نهاية . واخذت انباء ميدان المعارك تصبح تدريجيا مزعجة وكانت وحدة مدرعة اخرى تقاتل بالقرب من القناة فأرسلت اول تقرير لهــا تقول : ثمانى دبابات تحترق فوق السد الترابى هناك عشرات اخرى دمرت بينما كانت تحارب منسحبة من المواقع . ان الهجوم الاسرائيلى المضاد قد فشل . ان دباباتنا تنسحب فى غير نظام بعد ان نفذت ذخائرها . ويقول بعض الضباط الذين عادوا من ساحة المعركة للتزود بالوقود والذخيرة ، ان قوات مصرية مدرعة جديدة اخذت تهاجم على ثلاث رؤوس جســــور .

وقد بدا ان الجانب الاكبر من الجيش المصرى الثانى قــد اشترك فى القتال وتلقى موقع قيادة الجنرال (برين) ضربة مباشرة واخذ مساعد قائد الفرقــة بنفسه وعلى عاتقه تخليص الجرحى قبل اخلائهم الى ماوراء الخطوط ، لارسالهم الى احدى مستشفيات الميدان . وبعد ظهر يوم الاثنين لم يكن باقيا الا حفنة من الدبابات الاسرائيلية **لكى تواجه الطوفان المصرى** . وقد استمر جنود المشاة





وفى اليوم الثالث للحرب كانت الخسائر الاسرائيلية مرتفعة بدرجة محسوسة

وكان بين الاسرى الكولونيل عساف ياجورى .



وبمرور ايام القتال ازدادت الخســائر الاسرائيلية





قد قتل واسر عدد كبير من أطقم الدبابات التي دمرت

المصريون يهاجمون بأعداد كبيرة وقد ترددت فى ذلك اليوم عبارة تناقلتها شبكة الاتصالات اللاسلكية وكانت تقـول :

« ان المصريين كثيرون وكانهم صينيون » .

وفى هذا اليوم الثالث من الحرب كانت الخسائر الاسرائيلية مرتفعة بدرجة محسوسة وكان بين الاسرى الكولونيل عساف ياجورى ، الذى ظهر فى نفس المســاء فى التليفزيون المصرى .

وللمرة الاولى منذ انشئت اسرائيل اخـذت الدبابات الاسرائيلية تحــارب وهى تنسحب وللمرة الاولى كذلك ، تتعطل الدبابات الاسرائيلية فى ارض العـدو ، وفى داخلها قتلى وجرحى ، دون أن يستطيع احد نجدتهم او تخليصهم منها . ولقـد قتل واسر عـدد كبير من اطقم الدبابات التى تم تدميرها .

لقـد كنا دائما فى جميع حروبنا السابقة ننفذ العقيدة المقدسة لدينا فى اسرائيل التى تقول بأنه لا يجب ترك جريح واحـد على ارض العدو ، مهما تحملنا فى سبيل ذلك من تضحيـات .

امـا فى هذه المرة فأن الامر جـد مختلف وعندما كان يتعين على أى قائد اسرائيلى أن يدخل فى اتصال مباشر مع العـدو فانه كان عليه أن يختار فى ظرف ثوان قليلة : هل يخلص الجرحى ، ام يقاتل من يهاجمه ؟ .. هل يحترم تلك القاعدة ، ام يحارب منسحبا لكي يعيد تنظيم صفوفه ويمكنه استئناف القتال ؟

وفى اليوم الرابع للحرب ، اصبح متاحا لقوات الجبهة الاسرائيلية الجنوبية امتـلاك قوات مدرعة بكميات كافية وكانت المعارك الاولى ضد تلك (الكتائب الصينية) قـد بعثرت صفوف المدرعات الاسرائيلية اذ كانت فرقة الجنرال (برين) فقدت جانبا كبيرا من قواتها اما فرقة الجنرال ماندلر ، فقد نزلت بها خسائر فادحة ، وكذلك فرقة الجنرال شارون .

وبدا المصريون يفقدون صبرهم ، فراحوا يضاعفون هجماتهم فبلغ عددهـا خمس هجمات فى اليوم . وكان الاسرائيليون يصدون هذه الهجمات بالنهار ، ولكن ما ان يحل الليل ، حتى يعود مشاة العدو زاحفين نحو المواقع الاسرائيلية وفى الفجـر يستأنف القتال من حيث توقف فى اليوم السابق .

الثغرة

وقبل الانتقال من الشطر العملياتى للجزء العسكرى ، دعنا نسترجع ماقيل عن الايــام السابقة والتالية على الثغرة للخروج منها بالحقائق عنها وبالتالى اجراء التقييم الســـليم لهــا :

١ ــ ذكر الكولونيل ت . ن . ديبوى فى الدراسة الخاصة « بتحليل عســكرى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ » الذى قدمه فى ندوة اكتوبر ١٩٧٥ الآتى :

لقـــد هزم الاسرائيليون فى يوم ٦ أكتوبر قبل انقضاء الليل وفقدوا الجـــزء الاكبر من المائة دبابة التى كانت مرابطة خلف النقط الامامية المحصنة . وفى اليوم التالى عندما بدأت بقية حامية منطقة سيناء العمل فقدوا مائة دبابة أخرى .

وفى اليوم الثالث هزم الاسرائيليون مرة اخرى فى الهجمات الفردية التى اسىء التخطيط لهــا . وفقدوا مائة دبابة مرة اخرى .

٢ ــ ومن البحث الخاص بالآثار العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الاستراتيجى فى أوربا الذى تقدم فى نفس الندوة عـــام ١٩٧٥ ورد الآتى :

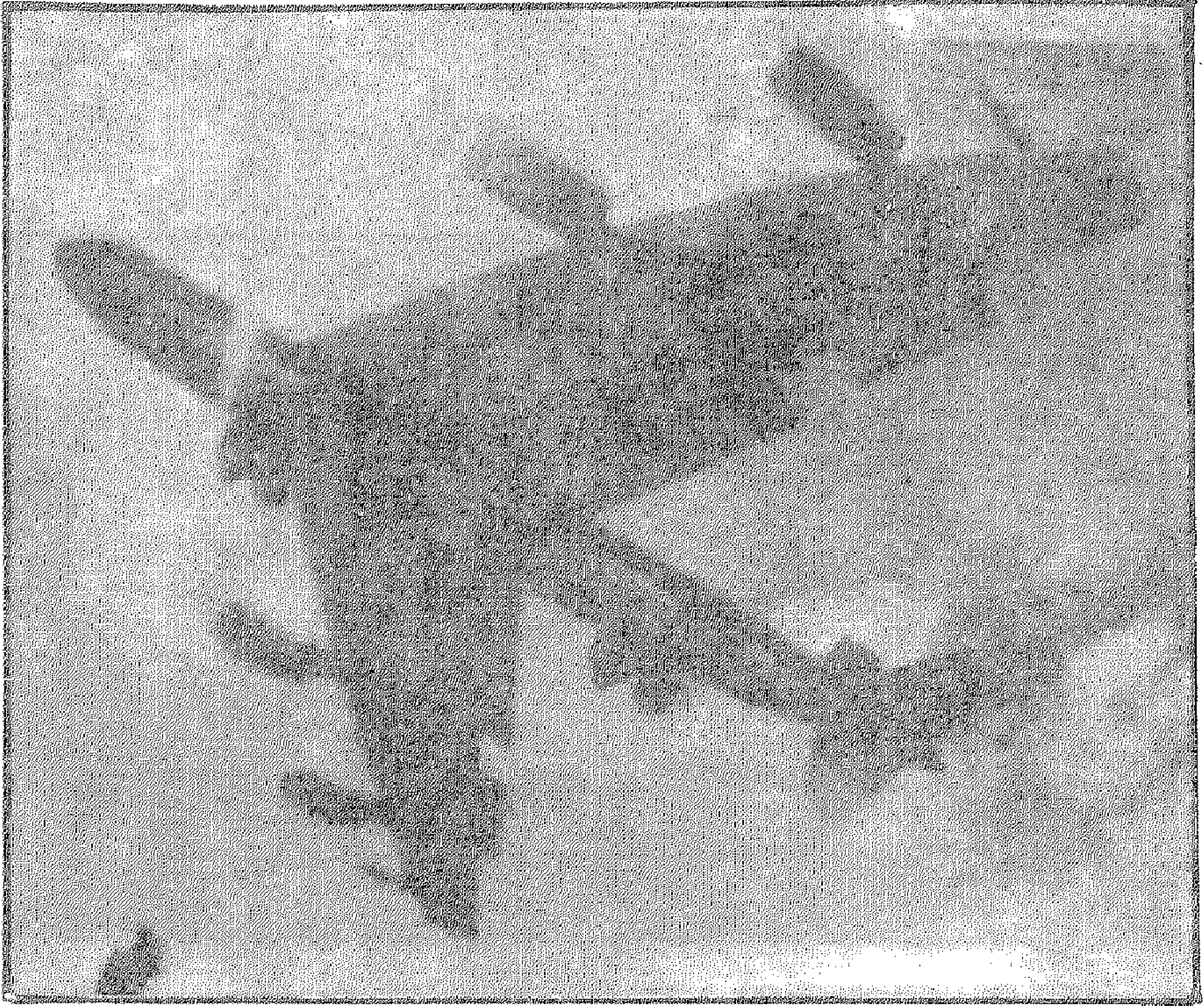
وفى ظرف أسبوعين فقدت اسرائيل نصف مدرعاتها .. وربع قواتها الجوية ..

٣ — ومن كتاب **حياتى لجولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل ابان حرب ١٩٧٣** — ذكر الآتى :

كنت اتكلم مع دينتز فى واشنطن طوال ساعات انهار والليل ، اين الجسر الجوى ؟ ولماذا يبدا بعد ؟ واذكر انى طلبته تليفونيا ذات مرة فى الساعة الثالثة صباحا بتوقيت واشنطن فقال « أنا لا أستطيع أن اتصل بأحد الآن ياجولدا فلا زال الوقت مبكرا جدا » . قلت لدينتز غاضبة « اذن ، لماذا كل هذا التأخير ؟ انا لايهمنى ان يكون الوقت مبكرا ، اتصل بكيسنجر الان (وكان الوقت فى منتصف الليل) فنحن فى حاجة الى المساعدة اليوم ، وقد يكون الغد متأخرا جدا » .

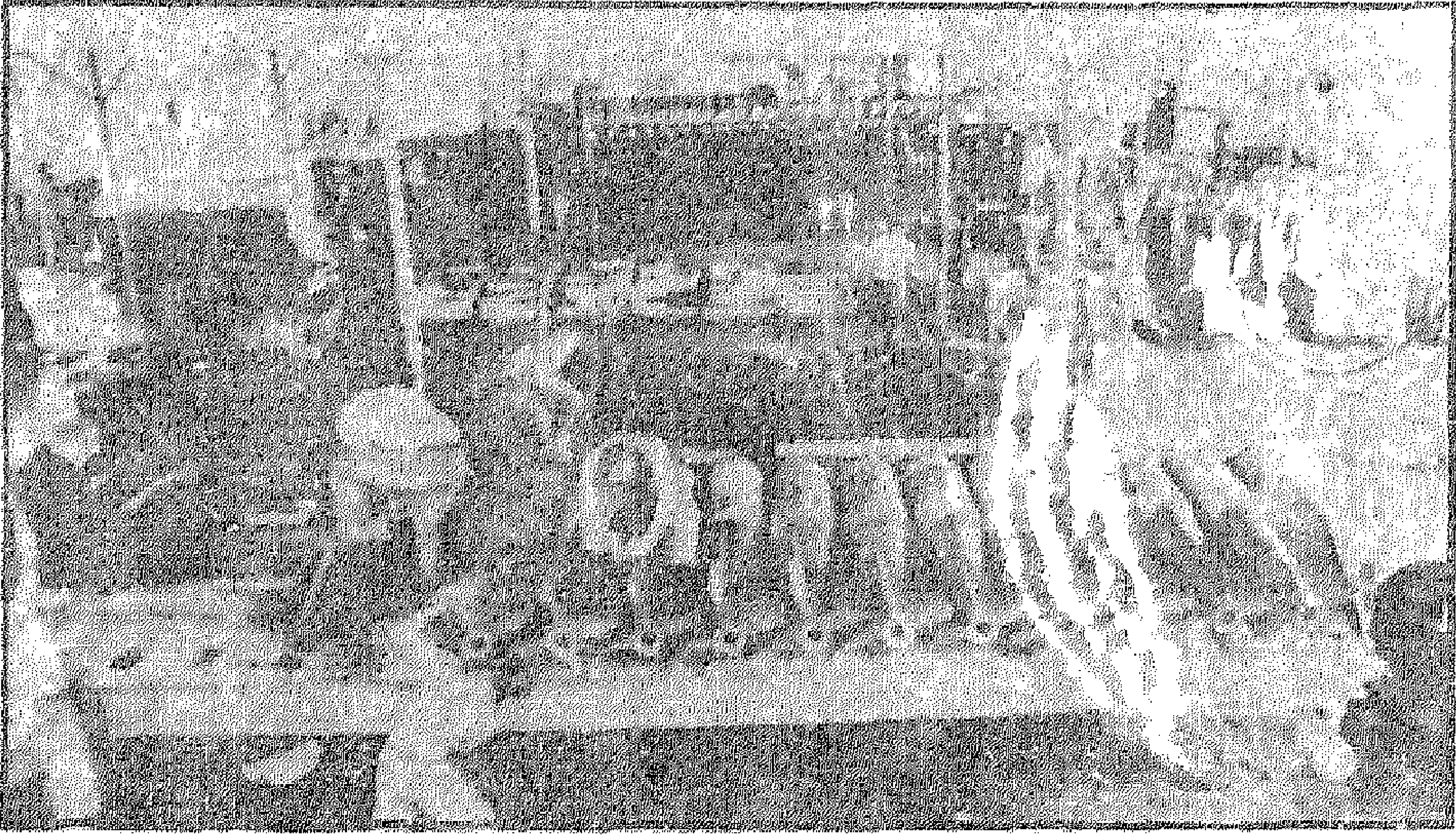
٤ — وفى مكان آخر من **كتاب حياتى** ذكرت رئيسة وزراء اسرائيل الآتى :

وكنا نفقد الطائرات بمعدل مزعج (ليس فقط فى المعارك الجوية بل ايضا بفعل الصواريخ على الجبهتين) . وكانت كل ساعة من ساعات الانتظار تمر علينا وكانها قرن من الزمان . ولكن لم يكن هناك من بديل الا ان نصمد ونتشبث ونؤمل فى الساعة التالية لعلها تأتينا بأنباء افضل . اتصلت تليفونيا بدينتز وقلت له بأننى على استعداد للطيران الى واشنطن بصفة غير رسمية لمقابلة نيكسون اذا كان يظن انه يمكن تدبير ذلك وقلت له : «ابحث هذا الامر على الفور، فأنا أريد الحضور فى أقرب فرصة ممكنة » الا انه لم يكن ثمة ضرورة هناك لسفرى الى واشنطن . فقد امر نيكسون اخيرا بأن ترسل الطائرات الامريكية

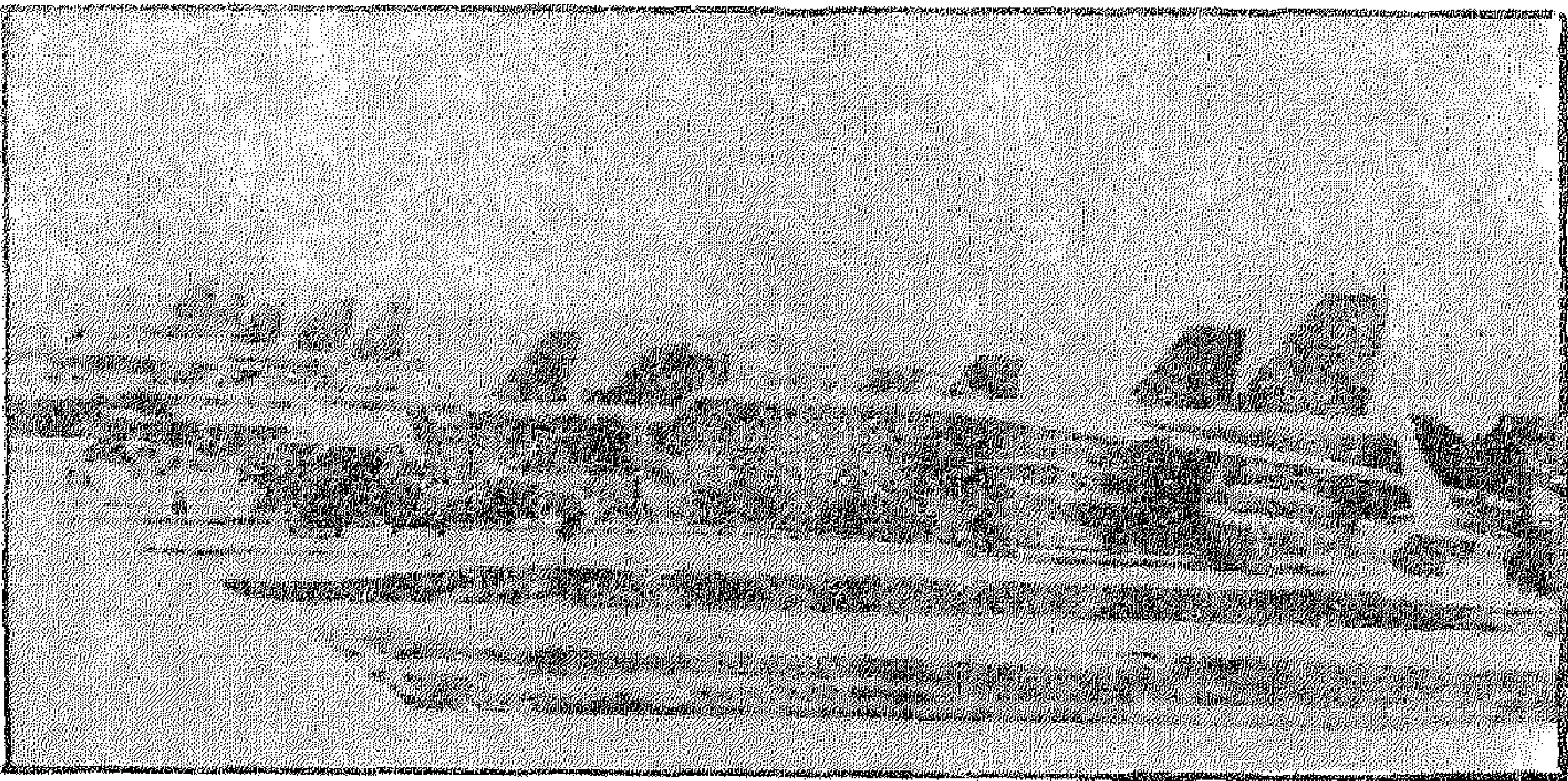


ولما سمعت بوصول الطائرات الامريكية المحملة بالاسلحة الى مطار اللد بكيت لاول مرة منذ بدات الحرب وان لم يكن ذلك اخر مرة (من كتاب حياتى)





واحيانا كانت الطائرات الامريكية تصل بمعدل طائرة كل ربع ساعة



انعملاقة سى ــ ٥ (جالاكس) . **ووصلت اول طائرة يوم ١٤ اكتوبر ، تاسع ايام** الحرب ، وبدا الجسر الجوى الــذى لايقدر بثمن . فانه **لم يرفع من روحنا المعنوية فحسب ، بل عمل ايضا على ايضاح الموقف الامريكى** للاتحاد السوفيتى كما عمل من غير شك على جعل انتصارنا ممكنا . ولما سمعت بوصول الطائرات الى مطار اللد **بكيت لاول مرة منذ بدات الحرب ، وان لم يكن ذلك . آخر مرة ،** اذ كان فى ذلك اليوم ايضا ان نشرنا القائمة الاولى لخسائرنا ٦٥٦ قتيلا خسرتهم اسرائيل فى المعركة .

ولكن حتى الطائرات الامريكية العملاقة التى حملت لنــا الدبابات والذخيرة والصواريخ جــو ــ جــو لم تتمكن من نقل كل ماكنا فى حاجة اليه . ماذا عن الطائرات ؟ ان طائرات الفانتوم وسكاى هوك ــ وهى فى طريقها لنــا من الولايات المتحــدة ــ يجب ان تتــزود فى الطريق ، واذا كان مــن الضرورى تتزود منه وهى طائرة فى الجـــو ، ووصلت كمـــا وصلت طائرات النقــل العملاقـــة التى هبطت فى مطــار اللد ــ واحيانا كانت تصل بمعدل طائرة كل ربع ساعة .

٥ ــ ومن محاضرة الجنرال بوفر فى ندوة اكتوبر عــام ١٩٧٥ نجــد الاتى :

« ان الاسرائيليون قــد فهموا بسرعة خطاهم وطالبوا ان تقــدم لهم اسلحة مناســبة » .

٦ ـ كما ورد فى مقالة « حرب الشرق الاوسط تجدد الاهتمام المتزايد بالاسلحة التى تستخدم من على بعد » التى نشرت فى مجلة اسبوع الطيران عدد ديسمبر ١٩٧٣ الاتى :

« قد تم توريد صواريخ مافريك » وهى صواريخ جو / ارض بعيدة المدى ضد مواقع رادارات الدفاع الجوى والدبابات والمواقع المحصنة ، اثناء حرب أكتوبر من خط الانتاج الخاص بالسلاح الجوى الامريكى واستخدمت فى خلال ٦٨ ساعة من وقت قيام الجسر الجوى الامريكى بنقلها من المصانع الامريكية .

٧ ـ ومن البحث الخاص بالدروس العسكرية المستفادة من حرب اكتوبر للجنرال ا . ميرجلين التى القاها فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ نجد الاتى :

ويجب الا نخفى كفاءة الجسر الجوى الامريكى الى الشرق الاوسط .

٨ ـ **وفى كتاب التقصير** ذكر كيف كيف فشل الهجوم المضاد الاسرائيلى على الجبهة المصرية وتدمر قوات الجنرال ماتكة وقوات الجنرال « برن » .. الخ .

٩ ـ ومن المحاضرة التى القاها الجنرال بوفر فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ بالقاهرة ورد الاتى :

وفى راى فان الجسر الذى اقامه الاسرائيليون على القناة كان الهدف منه سيكولوجيا اكثر منه عسكريا ، لانهم يعرفون ان وقف اطلاق النار سوف يحدث ، مما سيؤدى بالتالى الى امكان **قيامهم بتدعيم راس الجسر الضعيف** الذي اقاموه ضد القوات المصرية .

وفى الحقيقة فان الحظ والمهارة فى الجانب الاسرائيلى حقق لهم نجاحا تماما فى تنفيذ هذه العملية حتى يوم ٢٢ وذلك بسبب طول الجبهة اكثر من اللازم وبسبب التاخر فى شن الهجوم المضاد **ولكن فى يوم ٢٢ ، ٢٣ اكتوبر تعمد الاسرائيليون الغش وواصلوا اطلاق النار** ، وهذا ايضا اسلوب خدعة اسرائيلية معروفة ، سبق أن استخدمتها اسرائيل عدة مرات ، وقاموا بغارات عديدة على السويس فى الغرب ، واعتقد ان الهدف من ذلك كان سيكولوجيا أيضا . وعلى ذلك أدرجوا خطة وقف اطلاق النار ضمن خطتهم الحربية . وهذا يثبت ان وقف اطلاق النار فى نظر الاسرائيليون هو جزء من الحرب . وفى الحقيقة فان هذا العمل منهم هو اجراء غير تقليدى فى الحروب ولا اعتقد اننا قد واجهنا مثل هذا الموقف فى جميع الحروب التى واجهناها فى اوروبا من قبل . ولكن هذا مافعله الاسرائيليون .

هذا هو الجانب العسكرى من الموضوع وليس الجانب الاستراتيجى الكبير لان الاسرائيليين عندما قاموا بذلك اغفلوا التوازن الدقيق التى تتسم بـه الحرب المحدودة . فقد ارادوا حفاظا لكرامتهم ان يتحدثوا عن انتصار كانوا محتاجـون اليه ليظهروا بمظهر المنتصر .

١٠ ـ ومن البحث الخاص بتحليل عسكرى لحرب اكتوبر للكولونيل ت.ن. ديبوى الذى القاه فى ندوة اكتوبر ١٩٧٥ باكاديمية ناصر بالقاهرة نجـد الآتى :

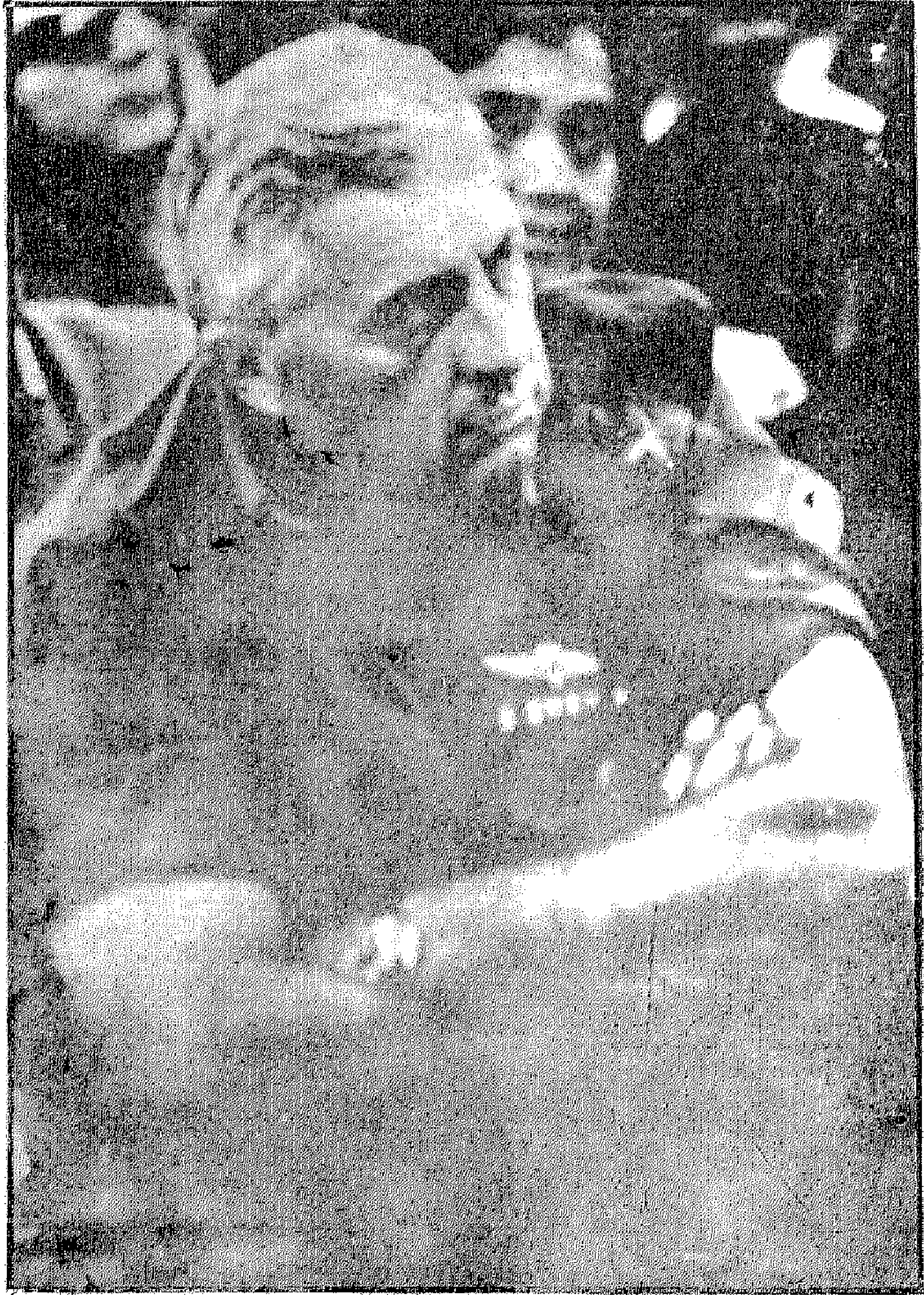
قرر الاسرائيليون محاولة عبور القناة الى الشاطىء الغربى . واحسنوا اختيار

نقطة العبور حيث تدخل القناة فى البحيرات المرة غرب الدفرسوار وبالتالى يمكن للجناح الايسر من القوة الاسرائيلية التى ستعبر القناة ان تحتمى بالبحيرة . وكان هذا المكان هو الذى يفصل بين الجيشين المصريين الثانى والثالث وكانت الداوريات وطائرات الاستطلاع الاسرائيلية قد عرفت أنه لاتتوفر له الحماية أو المراقبة الكافية من اى من الجيشين . وكانت خطة الاسرائيليين تقضى بأن تقوم فرقة بالاستيلاء على راس جسر ثم تقيم الكبارى اللازمة وبعد ذلك تقوم فرقتان مدرعتان اسرائيليتان بالعبور والاتجاه جنوبا من راس الجسر لمحاولة عزل العناصر القتالية فى الجيش الثالث على الشاطىء الشرقى من القناة .

وبدأ العبور الاسرائيلى بداية سيئة فقد حدث مالم يكن متوقعا . اذ ان المقاومة المستميتة للمصريين حدت من جهود اللواء المدرع الاسرائيلى المتقدم ليطهر الطريق شمالى البحيرة الى نقطة العبور التى تم اختيارها من قبل .

وفى مكان آخر من هذا البحث ورد الاتى :

وحتى هذا الوقت تحاشيت ذكر اسم الجنرال اريل شارون الضابط الاسرائيلى الذى لحقت به اسوا سمعة خلال الحرب . فقد كانت فرقة شارون هى التى قامت بالعبور الاول . وفى التاسع عشر من اكتوبر استطاع اقناع القيادة العليا الاسرائيلية بأن تسمح له بالهجوم صوب الشمال تجاه الاسماعيلية بدلا من الانضمام الى القوات المتجهة نحو الجنوب تجاه



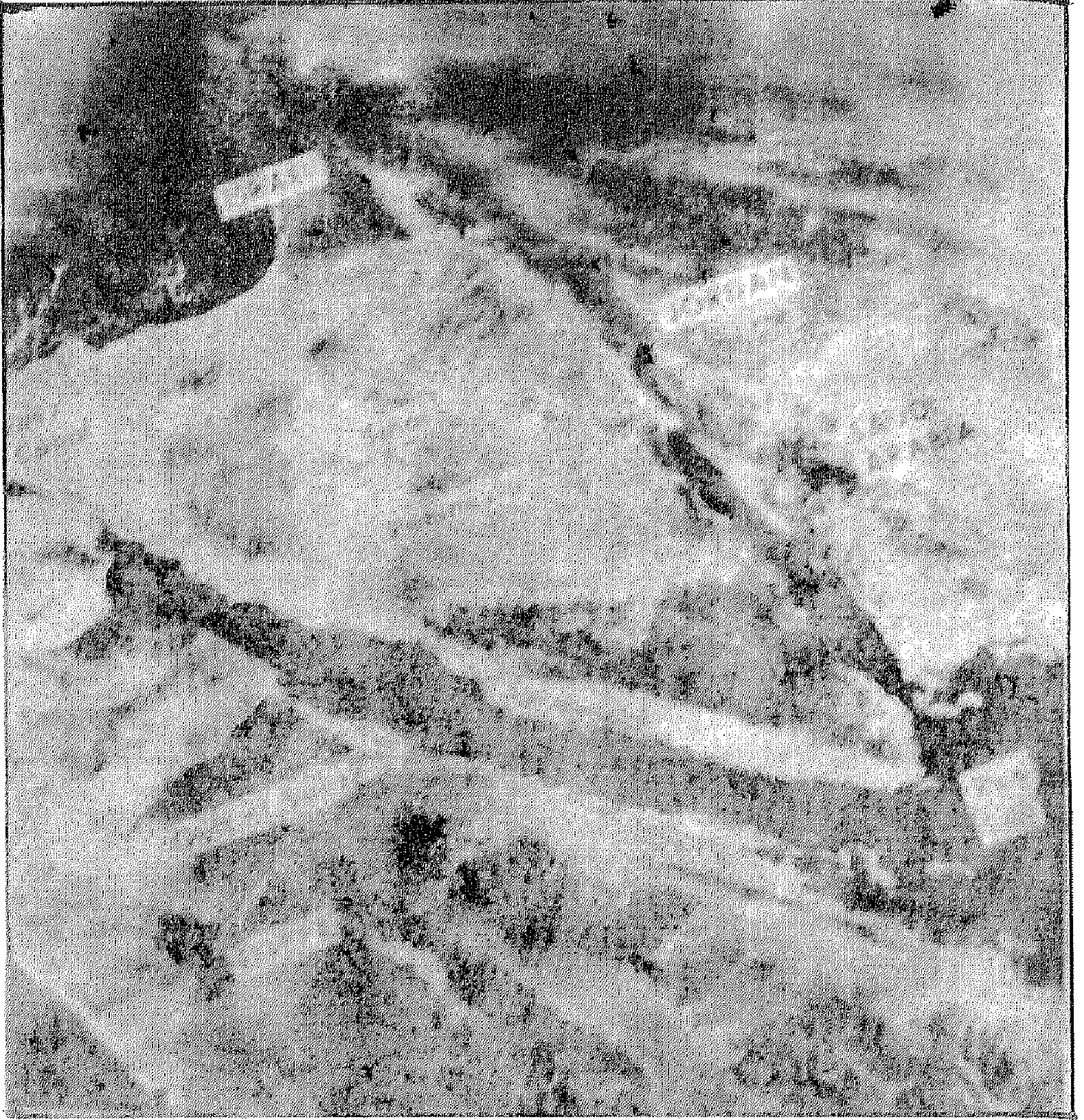
اريل شارون الضابط الاسرائيلى الذى لحقت به أسوأ سمعة خلال الحرب

(الكولونيل ت ن ديبوى)

السويس ومؤخرة الجيش الثالث . ونظرا لانه لم يحظ بشرف قيادة رأس الحربة للاندفاع نحو الجنوب فقد كان يطمع فى المجد بأن يغزو مدينة الاسماعيلية ولا افهم كيف استطاع شارون ان يقنع رؤسائه بقيامه بهجوم فى غير اتجاه المجهود الرئيسى الاسرائيلى ويكفى القول بأن جهوده قد فشلت فى الاستيلاء على الاسماعيلية **ويرجع هذا فى المقام الاول الى الجهود الدفاعية الباسلة التى بذلها لواء من المظليين المصريين .**

١١ — ومن المحاضرة التى القاها «ادجار او بالنس» عن تاثيرات حرب اكتوبر ١٩٧٣ (فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ باكاديمية ناصر) نجد الاتى :

وبعد ان انتهت معركة الدبابات التى دارت يوم ١٤ اكتوبر وبدأ الجسر الجوى الامريكى يوم ١٤ اكتوبر . ونقل كميات هائلة من العتاد العسكرى الى اسرائيل ، كان الاسرائيليون قد تلقوا فى اليوم السابق (١٣ اكتوبر) التقارير التى جمعتها طائرتا التجسس الامريكيتان (بلاك بيروس ر — ٧) اللتان حلقتا فوق منطقة القناة ، وقد اوضحت لهم هذه التقارير ان منطقة تمتد حوالى اربعين كيلومترا تكاد تخلو من القوات تقع على الضفة الغربية على جانبى الدفرسوار ، وتقابلها على الضفة الشرقية منطقة مماثلة الا انها اضيق نطاقا منها . وبفضل هذه العوامل وتلك المعلومات كفت الاركان العامة الاسرائيلية عن معارضتها لعملية «الغزالة» ، واصدرت امرها فى يوم ١٥ اكتوبر الى جنرال شارون وفرقته من الاحتياط المسماه « مجموعة العمليات ٤٥ »والمرابطة فى منطقة الطاسة ، والمؤلفة من ثلاثة الوية مدرعة ولواء مظليين ، بفتح الطريق الترابى الممتد من الطاسة الى القناة عند الدفرسوار ، وبابقائه مفتوحا .



اوضحت التقارير التى حصلت عليها طائرات التجسس الامريكية يوم ١٣ اكتوبر وجود حوالى ٤٠كم تكاد تخلو من القوات تقع على الضفة الغربية على جانبى الدفرسوار (ادجار او بالنس)

وفى الســـاعة ١٧٠٠ دفع شارون بأول لواء مدرع من الطاسه الى ناحيــة الغــرب « لتسكين » العناصر المتقدمة من الجيش الثانى المصرى ، وفى نفس الوقت فأن الجيشين المصريين الثانى والثالث شنا هجمات مضـــادة اغلقا بها « الطريق الضيق » الذى كان رجال شارون قد فتحوه بمحاذاة الطريق من الطاسه . ومن الجدير بالذكر بصفة خاصة تمكن موقعا مصريا يعرف لدى الاسرائيليين ، بالمزرعة الصينية ، من اغـــلاق نقطة العبور الاسرائيلية وتمكن المصريون من منع وحـــدة الكبارى الاسرائيلية من الوصول الى القناة ، وطوال اليومين التاليين ظلت فرقة الجنرال « آدان » المكونة من لواءين مدرعين ولواء ميكانيكى تقاتل فى محاولة لاعـــادة فتح طريق الطاسة واصيبت بعدد من الخسائر فى الافراد اثنـــاء هـــذه العملية .

وظن المصريون ان عملية العبور الاسرائيلى ليست سوى غارة شبيهة بمـــا يقوم بـــه الفدائيون .

واستمر القتال دائرا طوال اليوم فى ممر الطاسه فى محاولة من الجنرال « آدان » لفتح الطريق . واثناء هذا القتال تمكن الاسرائيليون من دحرجة الكوبرى ببطء على الطريق وسط قذائف المدفعية ونيران الاسلحة الصغيرة وكانت ضربة حظ مذهلة لهـــم .

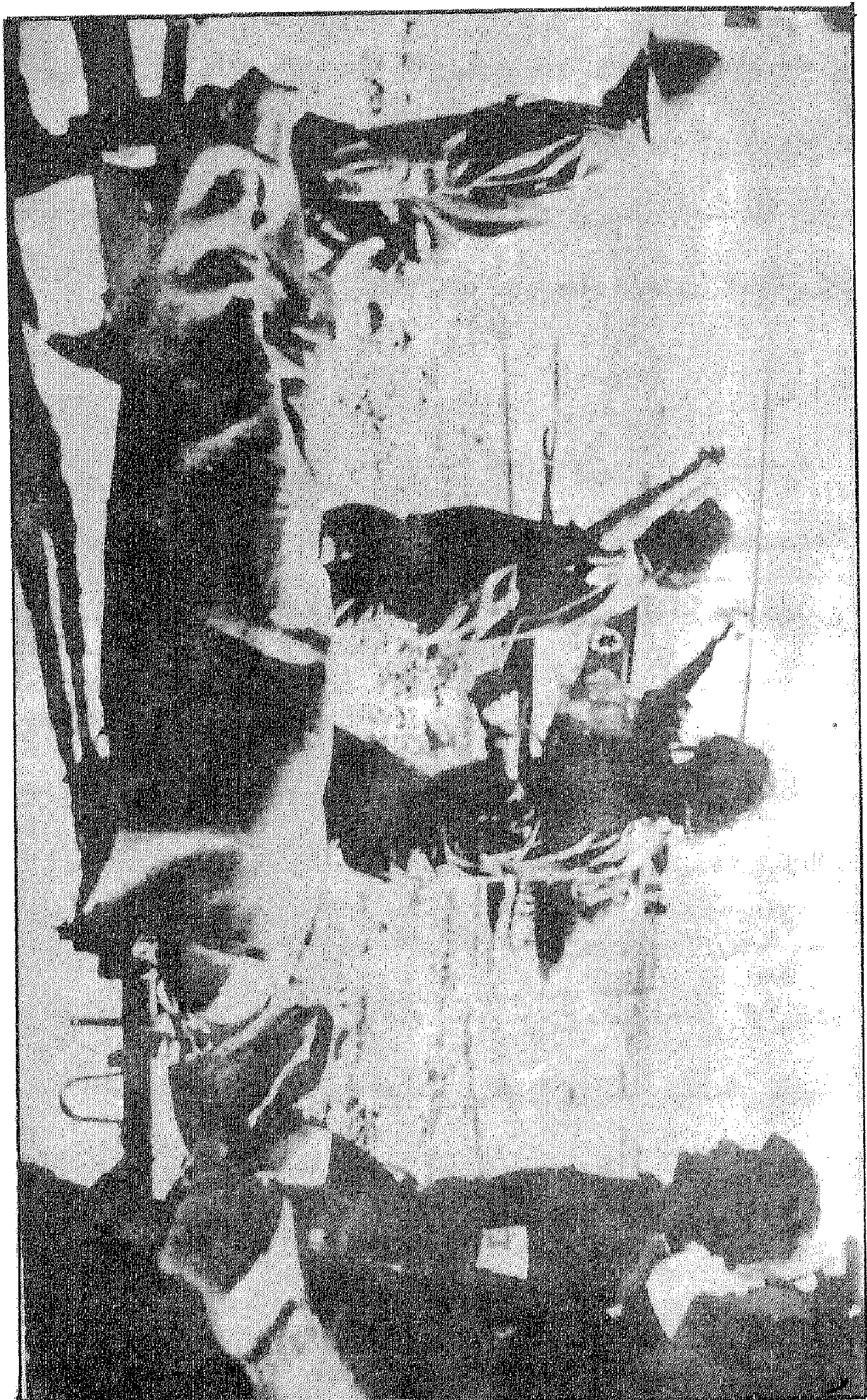
وفى ليلة ٢١ أكتوبر سحب المشير / احمد اسماعيل ببعض عناصر شـــبكة الدفاع الجـــوى المصرى من منطقة ضفة القناة ، وفى اليوم التالى بدات فرقة

الجنرال « آدان » تتحرك ببطء نحو الجنوب عبر ما أصبح مجرد مناطق ادارية مصرية وذلك بعد ان سحب الكثير من القوات المقاتلة منها ، وكانت الاوامر قد صدرت الى القادة الاسرائيليين بالا يتعجلوا فى القتال حتى يمكنهم الحد بقدر الامكان من الخسائر فى الافراد ، فقد كان هناك انطباع فى اسرائيل بأن امريكا تسمح للعرب ببدء الحرب وبأنها ستوقف الحرب فجأة عندما تجد ان الاسرائيليين بداوا يتقدمون للايحاء للدول الاخرى بأنها فى موقف المنتصر .

وفى اوائل نهار ٢٢ اكتوبر صدر قرار مجلس الامن يدعو الى وقف اطلاق النار فى مدى اثنتى عشر ساعة ، بمعنى انه يصبح سارى المفعول اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ ولكن ومرة اخرى تجاهل الاسرائيليين ذلك .

وفى اليوم التالى وعلى الرغم من قرار وقف اطلاق النار واصل الاسرائيليون تقدمهم فى المساء وصلوا الى مشارف مدينة السويس ، وشنوا عليها هجوما مركزا ولكنهم لم ينجحوا فيه وفى يوم ٢٤ اكتوبر وعلى الرغم من وقف اطلاق النار شن الاسرائيليون هجوما آخر كبيرا الى حد ما على مدينة السويس فى الساعة ١٠٠٠ وواصلوه حتى الساعة ١٧١٥ . ومرة اخرى لم ينجحوا فى تحقيق هدفهم ، وقتل فى هذه المحاولة كافة كبار ضباط الكتيبة الاسرائيلية المتقدمة وهم ضابط من رتبة الرائد وخمسة من رتبة النقيب .

وتمادى الاسرائيليون فى تجاهل وقف اطلاق النار وشنوا هجوما آخر على مدينة السويس اعتبارا من الساعة ٠٨٨٠ وحتى الساعة ١٥٥٠ يوم ٢٥



وقتل في هذه المحاولة كافة كبار ضباط الكتيبة الاسرائيلية المتقدمة

اكتوبر ، ولكنهم فشلوا فيه ايضا ، وقد استخدموا فى هـذا الهجوم مجموعات من الدبابات السوفيتية من قبيل الخداع . ومع ذلك شن الاسرائيليون هجوما جديدا على السويس يوم ٢٨ أكتوبر استمر من الساعة ٠٦٦٠ الى الساعة ١١٣٠، **ولكن المدافعين المصريين نجحوا مرة اخرى فى حماية المدينة وتشتيت القـوة الاسرائيلية المهاجمة وأجبروها على التقهقر والانسحاب .**

لا شك ان الاسرائيليين قد نجحوا فى العبور بضربة حظ ، على الرغم من انهم يرفضون الاعتراف بذلك ، وكان الجنرال ديان والجنرال شارون محظوظين فى هذه العملية فى حين ان الجنرالات المصريين كانوا اقل حظا .

لقد ابرزت هذه العمليات شجاعة وصلابة صغار الضباط وصف الضباط والجنود المصريين الذين صمـد كثيرون منهم فى جيوب مقاومة صغيرة فى المناطق التى ادعى الاسرائيليون انهم احتلوها . واصيب الاسرائيليون بخيبة أمل عندما فشلوا فى اقتحام مدينة السويس ولكنهم أصيبوا بخيبة أمل أكبر عندما رفض الجيش الثالث المصرى أن يلقى سلاحه ويستسلم برغم أنه كان يعانى نقصا فى الذخيرة والماء والمؤن . ورغم ما تعرض لـه من المشاق ومن الهجمات عليه والقصف الشديد على مواقع افراده ومعداته ومنشورات الدعاية الاسرائيلية وغير ذلك من أساليب الحرب النفسية .

١٢ ـ وفى مكان آخر ذكر الآتى :

وعندما بدأت العملية رأت الاركان العامة الاسرائيلية ان من الحكمة عدم مواصلة التقدم نظرا للهجمات الجوية المصرية التى هاجمت الاسرائيليين بنجاح عـدة مرات .

« ونشط السلاح الجوى المصرى وقام بعدد من الغارات الناجحة ضـد **الكوبريين الاسرائيليين** ، واعلن انه اصـاب الكوبرى الاول يـوم ١٧ ولكن الاسرائيليين اصلحوه اثناء الليل ، فأصابه ثانية يوم ١٨ ، ولكن الاسرائيليين اصلحوه مرة اخرى اثناء الليل ايضا ، وكذلك فان الطائرات المصرية اصابت الكوبريين مرة اخرى يوم ١٩ ولكن الاسرائيليين سارعوا باصلاحهما تحت جنح الظلام ، وفى يوم ٢١ شن المصريون هجوما جويا ادى الى اغراق احد الكوبريين لحظة عبور ست دبابات اسرائلية عليه مما ادى الى سقوط جميع هذه الدبابات الى قاع القناة . وكذلك اغارت عشرون طائرة مصرية يوم ٢١ أكتوبر على الكوبريين فعطلتهما عن العمل بضع ساعات . وهكذا ادت الغارات الجوية المصرية الى تعطيل عملية الحشـد الاسرائيلى على الضفة الغربية وبثت القلق لدى الاركان العامة الاسرائيلية وحالت دون عبور الفرقة الثالثة (المعروفة بمجموعة العمليات ٢٥٢) بقيادة الجنرال «ماجين» والمكونة من لواءين مدرعين وثلاثة الوية ميكانيكية » .

وكانت الاركان العامة الاسرائيلية تريد تجنب الخسائر فى الارواح او الحد منها قدر الامكان بعد أن روعت من ارتفاع معدلها وكانت تتحرك ببطء وحذر متناهيين ، وكانت القوات الاسرائيلية ـ كلما توقفت اثناء الليل ـ تقوم بتجميع الدبابات والمركبات واحاطة نفسها بحقل كثيف واسع من الالغام لحمايتها . ويقول سلاح المهندسين المصريين انه بعد انسحاب الاسرائيليين من الضفة الغربية للقناة ، قام برفع اكثر من ثلاثة ارباع مليون لغم كان الاسرائيليون قد بثوها هناك ومعظمها من الالغام الامريكية المضادة للدبابات والمزودة بفتائل حديثة .

ولولا الكميات الهائلة من المعونات الامريكية التى مكنت الاسرائيليين من القيام باكثر من الف طلقة طيران يوميا عبر الثغرة (مثل الطائرات الحديثة ومعدات الحرب الالكترونية لمواجهة الصواريخ السوفيتية والدبابات والمدافع الجديدة والاعداد الكبيرة من الصواريخ والكميات الهائلة من الذخيرة) لولا كل هذا لما تمت عملية الغزالة . والواقع فان التجاهل الصارخ من جانب اسرائيل للاتفاق اكثر من مرة على وقف اطلاق النار هو الذى مكنها من التقدم والاستيلاء على ارض كافية يستحيل الاستيلاء عليها فى ساحة القتال .

لقد وصف المشير الراحل / احمد اسماعيل على هذه المرحلة من حرب اكتوبر بانها ((**المعركة التليفزيونية**)) ، وفى رايى انه وصف دقيق وان كنت افضل استخدام وصف ((**معركة الدعاية**)) لان العالم ركز اهتمامه عليها بعد ان توخى

الامريكيون والاسرائيليون قدرا كبيرا من العناية والحرص فى توجيهها ، **فقد** كان الاسرائيليون يريدون استرجاع صورة الجندى الاسرائيلى الذى لا يقهر « اما الامريكيون فكانوا يريدون ان يبرهنوا على تفوق اسلحتهم على الاسلحة السوفيتية المسلح بها المصريين ، **لقد كانت معركة حافلة بالاباطيل التى حاول البعض أن يؤكدها** ، وهى اباطيل يمكن أن تولد كثيرا من الآمال الزائفة ويمكن ان تستخلص منها كثير من الدروس الخاطئة » .

حرب اكتوبر واستراتيجية التسليح

لقد تركت حرب أكتوبر آثارها ليس فقط على الاستراتيجية العربية والاستراتيجية الاسرائيلية والنظريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وانما تركتها ايضا على استخدام اسلحة معينة فى ميدان القتال وعلى سباق التسلح فى الشرق الاوسط خاصة وعلى استراتيجية التسلح العالمية على العموم .

وقد ذكر فى هذا الشان فى محاضرة « الآثار العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على الوضع الاستراتيجى فى أوروبا » التى القيت فى الندوة الدولية لحرب أكتوبر عام ١٩٧٥ الآتى :

« وقد تميز القتال من الجانبين باستخدام مكثف للاسلحة ووسائل الحرب العصرية فى ميادين قتال سبق ان اشرنا الى مساحاتها الضئيلة » .

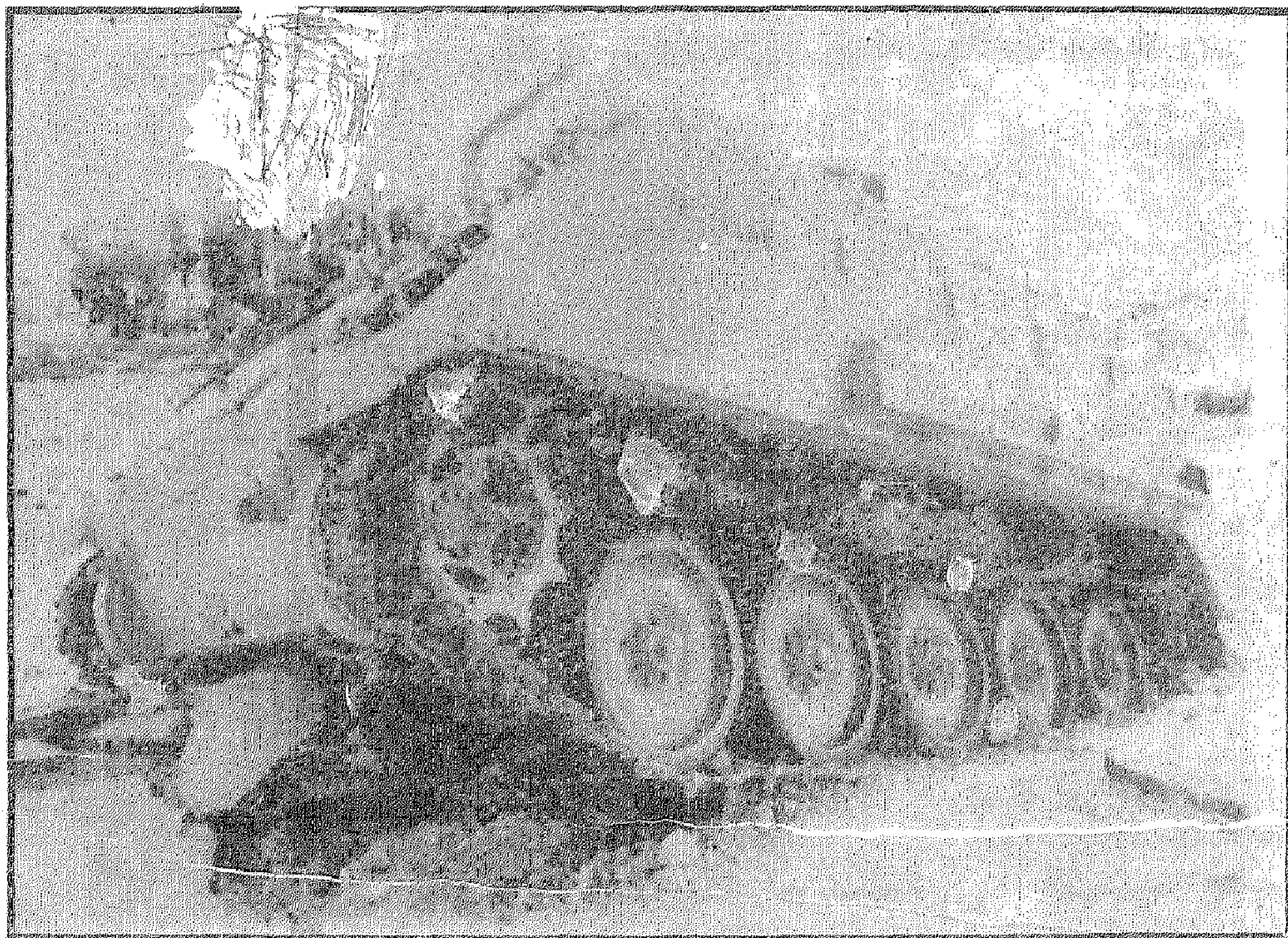
واذا ما اضفنا جبهة سيناء الى جبهة الجولان - وكلاهما ذات عمق ضعيف لوجدنا أن ما يقرب من ثلاثين فرقة عسكرية ولا سيما من المدرعات والمشاة الميكانيكية المزودة بأكثر من ٥٠٠٠ عربة قتال وآلاف الدبابات وناقلات الجنود ومئات من قطع المدفعية والهاونات وآلاف القذائف المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ومئات الصواريخ المضادة للطائرات ، ١٥٠٠ طائرة مقاتلة ، كل هذه الفرق بكل هذه المعدات تواجدت على مساحة تبلغ ٢٢٥ كيلو مترا مربعا فقط .

والشيء الغريب هو أن القذائف الخفيفة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات قد اثبتت فاعليتها البالغة منذ الساعات الاولى للمعركة اذ نجحت فى خلال الاربع والعشرون ساعة الاولى فى اسقاط ٤٠ طائرة اسرائيلية وتدمير اكثر من ٢٠٠ دبابة اسرائيلية .

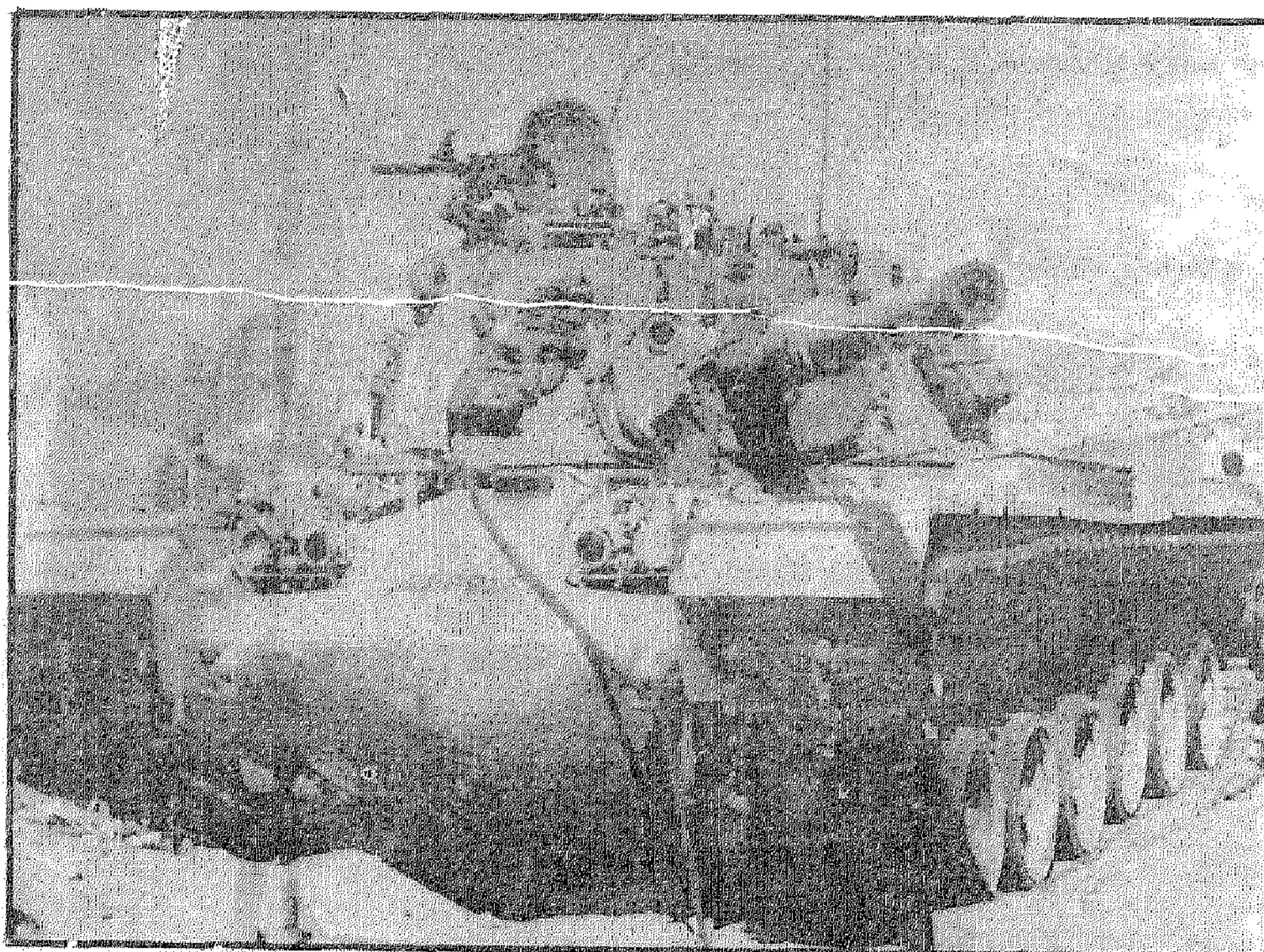
وفى ظرف أسبوعين ، فقدت اسرائيل نصف مدرعاتها « وقد دمرت غالبيتها بالقذائف التى كان يطلقها جنود المشاة المصريون » وربع قوتها الجوية ، وقد دمر اكثرها بواسطة صواريخ الدفاع الجوى المصرية .

- واذا ما اردنا ان نكون فكرة صحيحة عن الكميات الهائلة من الاسلحة الحديثة التى استخدمت فى ميدانى القتال المحدودى المساحة على ضفتى قناة السويس ومرتفعات الجولان فانه ينبغى ان نتذكر ان القوات المسلحة الفرنسية لا تمتلك سوى الف دبابة حديثة ، والف دبابة خفيفة ، ٥٠٠ طائرة مقاتلة ، وأن كل ما تمتلكه بريطانيا لا يزيد عن الف دبابة حديثة ، ٥٠٠ طائرة مقاتلة .

وليس بغريب فى هذه الظروف التى تميزت بوفرة الاسلحة الحديثة وعنف المعارك ان تكون الخسائر فى المعدات جسيمة للغاية . فقد بلغ عدد القتلى والجرحى من العسكريين خلال تلك الفترة القصيرة اكثر من ١٠٠٫٠٠٠ قتيل . الا أن تدمير اكثر من ٢١٠٠ دبابة واسقاط ما يقرب من ٥٠٠ طائرة ، أى ما يعادل بالترتيب خمسى وثلث الوسائل المستخدمة انما يظهر الى اى مدى تؤدى المعركة الحديثة الى تدمير المعدات .



واكثر من ٢٥٠٠ دبابة خسائر!



ومن البحث الخاص الذى قدمه ادجار اوبالنس فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ نجـد الآتى :

« ومن حقائق هذه الحرب هو انها اسفرت عن خسائر مادية جسيمة لم تكن فى الحسبان تقدر بالتقريب بحوالى ٥٠٠ طائرة واكثر من ٢٥٠٠ دبابة . اما بالنسبة لتكاليف الخسائر فى الذخائر والصواريخ والقواذف فقد وصلت الى معدلات لـم يسبق لهـا مثيل » .

« وكان رد الفعل الحتمى من جانب الدول التى حاربت فى اكتوبر ١٩٧٣ ازاء الخسائر الجسيمة التى لحقت بها هـو الاسراع قدر الامـكان فى استعواض هـذه الخسـائر مما وسع من خطى سباق التسلح فى المنطقة اذ بذلت كل من الاطراف المشتركة فى القتال جهودا مستميته لاستعواض خسائرها واستكمال النقص فى الاسلحة بل وتدبير مخزون للمستقبل كلما كان ذلك ممكنا » .

وقد ذكر الجنرال / ا — ميرجلين « فى البحث الذى قدمه فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ عن الدروس المستفادة من حرب اكتوبر » بالنسبة لهذا الموضوع الآتى :

« فبمجرد ابتداء المعركة شعر المعسكران المتحاربان بحاجتهما الماسة الى العون المـادى من القوة التى تعضد كل منهما ، وان معدلات التدمير العالية جدا فى ساحة المعركة ، كما تبين لها حاجة كل منهما الى امدادات جديدة من الاسلحـــة

والذخائر والى ما هــو اكثر اهمية من ذلك وهو حاجة كل منهما الى أجهزة ونظم تسليح جديدة فى مقابل التطويرات التى ادخلتها التكنولوجيا الحديثة على ما يستخدمه العدو منها كل ذلك دفع دول الشرق الاوسط الى الاعتماد فى كل جهدها الحربى على دعم الدول الصناعية الكبرى لها . وبالرغم من أن المناطق التى كانت تجرى فيهـا المعارك محدودة فانه يجب التأكيد على الخسائر الجسيمة التى تنتج عن الحــرب الحديثة والهجومية ففى غضون ثمانية عشر يوما دمرت حــوالى ٢٠٠٠ دبابــة و ٥٠٠ طائرة » .

هذا كما ذكر اوبالنسى فى بحثه « الذى قدمه فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ عن حرب اكتوبر ١٩٧٣ » الآتى :

« وقد أدى هذا الارتفاع فى معدل الخسائر الى بث القلق فى نفوس مخططى حلف الاطلنطى الذين إعتقد أن تقديراتهم كانت تعتمد على حسابات الحرب العالمية الثانية ، والذين سرعان ما شرعوا فى اعادة تقييم مستويات مالديهم من المخزون وخطوط الامــداد »

كما ذكر الجنرال ميرجلين فى ندوة اكتوبر ١٩٧٥ الآتى :

أن جسامة الخسائر المــادية التى أسفرت عنها حرب أكتوبر ١٩٧٣ ينبغى أن تثير الانتباه الى هــذا الخطر الذى يتمثل فى التقليل من عدد القوات . واذا كان

الجانب الشرقى يستطيع استكمالها سريعا بفضل الطرق البرية وسكك الحديد الموجودة فى القارة التى تعتبر قصيرة نسبيا ، فانه يبدو واضحا بالنسبة للجانب الغربى إن الطرق الجوية والبحرية ابتداء من الولايات المتحدة الامريكية تعتبر بعيدة ، الامر الذى يمثل صعوبة ويؤدى الى معدلين مختلفين للغاية وغير صالحين .»

وهذا المظهر الخاص بالتموين يعتبر عاملا حيويا آخر اوضحته حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ .»

ومن مقالة مجلة الـ MILITARY REVIEW عـدد اغسطس ١٩٧٤ من (تقييم ما بعـد الحرب) نجـد الآتى :

« ينظرا للمعدل العالى فى خسائر الطرفين فى معارك هذه الحرب فقد اصبح استعواض الخسائر عاملا حرجا لسير المعركة . وقد اثر المجهود الذى قامت بـه الولايات المتحدة لاستعواض خسائر اسرائيل تاثيرا عكسيا عليها فى العديد مـن المجـالات ، وعلى سبيل المثال نجـد انه حتى يمكن مقابلـة احتياجات اسرائيل للاستعواض ، كان على الولايات المتحدة أن تقبل حدوث انخفاض فى درجة استعداد قواتها المسلحة ، ونجد ان الكثير **من الطائرات قد حولت من وحداتها القتالية مباشرة الى اسرائيل** ، كما خرجت عربات القتال من مخازن التشكيلات المقاتلة وكذا اخـذ العديد من اصناف الامدادات من احتياطى الدفاع الامريكى .

وقد اثارت الامدادات العسكرية المطلوبة لمعاونة اسرائيل وتحويل المعدات من المخازن ومن الاحتياطي العديد من الاسئلة عن قدرة الولايات المتحدة على الوفـــاء بالتزاماتها تجاه حلفائها دون حـــدوث تاثيرات ضارة على درجة استعداد الولايات المتحدة نفسها . وقد اصبحت الاجابة على هـــذا السؤال اكثر ضرورة لو اخذ فى الاعتبار احتمال حدوث حالات مماثلة من الالتزامات المتتالية .

وعليه فمن المتوقع ان المعونة العسكرية لاسرائيل ولدول أخرى فى المستقبل واثناء الحرب ستعتمد على الاجراءات التى ستتخذها الولايات المتحدة لتحسين قدرتها للاستجابة لمطالب اصدقائها بأسلوب لا يؤثر مباشرة على درجة استعدادها هى نفسها .

ولمـــا كانت جيوش دول الشرق الاوسط تحصل على معظم معداتها واسلحتها من مخازن الدولتين العظمتين ، فان هاتين الدولتين تقومان فى الوقت الحاضر بالدراسة واجراء التحليل العميق .

ومن البحث الخاص بالتحكم فى التسليح والسيطرة على تجارة السلاح لمعهد الدراسات الاستراتيجية ببريطانيا عام ١٩٧٤ نجـــد :

ان السيطرة على تجارة الاسلحة اصبحت هى الشغل الشاغل للدول الكبرى الآن بعد أن وصلت كميات المعدات الحربية التى تم توريدها الى منطقة الشرق الاوسط

او تم التعاقد على توريدها على مـــدى الاثنى عشر شهرا التى تليت حرب اكتوبر (اى طـــوال عام ١٩٧٤) الى حجم مذهل ، ويقدر حجم ما تم توريده فعلا وانطلبات التى تم التعاقد عليها بحوالى ١٣ بليون دولار .

وترجع أسباب هذا الحجم الهائل من المعدت اساسا الى حرب اكتوبر عام ٧٣ بين اسرائيل وكل من مصر وسوريا التى دمر خلالها واستهلك فيها مخزون المعدات والاسلحة والتى احتاجت معاركها الى امدادات هائلة من كل من امريكا وروسيا للاستعواض والى قرار الدول المنتجة للبترول وخاصـة ايران والسعودية والكويت بالبدء فى تنفيذ برامج تسليح رئيسية تهدف اساسا ضمان امنها فى منطقة مليئـــة بالاضرابات السياسية والعسكرية .

كما أن نوعية المعدات والاسـلحة المطلوبة لهذه الدول هى من احدث الانواع .

ونظرا لان اسرائيل ومصر وسوريا والاردن ولبنان (هى الدول المشتركة فى النزاع العربى الاسرائيلى) ليست لديها قدرة الدول الغنية المصدرة للبترول ، فانه بالتالى ليس لديها الحرية فى الاختيار بالنسبة للدول التى تمدها بالسلاح نظرا لانه لا توجد دولة منهم لديها النقد الاجنبى اللازم لها للشراء من السوق الحر Free Market وقد رفضت كل من أمريكا وروسيا مطالب اسرائيل ومصر فى الحصـــول على نظم تسليح حديثة مثل الصاروخ الامريكى طراز لانس والقاذفة السوفيتية الاسرع من الصوت طراز تى يو ٢٢ .

ومما لا شك فيه فان الابعاد الخاصة بنوعية وكمية التسليح اللازم للبناء العسكرى تعتبر مؤثرة فى منطقة الشرق الاوسط ونجد أن مستوردى السلاح فى هذه المنطقة نوعين الاول منهم يستورد عن طريق الشراء الحر والثانى منهم وهو يضم مصر وسوريا واسرائيل يعتمد على اصدقائه وحلفائه لامداده بمعونات الاسلحة والمعدات بمعدلات عالية .

ويلاحظ أن هذه الكميات من الاسلحة قد إرسلت الى منطقة بها الكثير من مصادر النزاع العسكرى وعلى سبيل المثال فان احتمال نشوب الحرب مازال قائما بين اسرائيل وجيرانها ، وبين ايران والعراق ، وبين العراق والكويت ، وبين دول الجنوب العربى وتلك التى يطلق عليها دول القرن الافريقى . كما ان هناك نزاعات داخلية مسلحة وخطيرة مازالت موجودة بالعراق وعمان واثيوبيا .

لقد قلبت حرب اكتوبر ميزان القوى فى الشرق الاوسط ولا يعنى ذلك الكثير بالنسبة للميزان العددى للجيوش ومعداتها بالقدر الذى تمثل فى قيمتها النسبية واختيار حرية الحركة امام الخصمين .

وستكتسب هذه الملاحظة معنى جديد اذا ظهر احتمال استخدام صواريخ متوسطة المدى كما هو محتمل الحدوث بعد نجاح الصواريخ الخفيفة .

ومن محاضرتى كل من الجنرال / ا . ميرجلين عن الدروس المستفادة من حرب اكتوبر ، ادجار اوبالنس عن تاثيرات حرب اكتوبر نجـــد الاشارة الى هذه الابعاد الجديدة فى مستقبل الحروب العربية الاسرائيلية :

وهذه الصواريخ ليست مضادة للدبابات والطائرات بل انها صواريخ أرض / ارض مثل « أونست جون » و « سارجنت » و « بيرشنج » الامريكية أو «فروج» و « سكود » الروسية . وتستخدم لتدمير أهداف بشرية أو مادية كبيرة ولديها القدرة على قذف رؤوس نووية او شديدة الانفجار على بعد مئات الاميال .. ان وضـــع اسرائيل الجغرافى ـــ برقعتها الصغيرة الكثيفة فى عدد السكان ، محاطة من كل الجهات بدول عربيـــة كبيرة واهدافها الحيوية موزعة على مساحات متباعدة لقيد خطير لاسرائيل وميزة لاعدائها . وحقيقة بالنسبة لمصر ـــ فان وجـــود الصـــاروخ متوسط المـــدى يعتبر الى حـــد كبير قوة رادعة لمنع السلاح الجوى الاسرائيلى من ضرب القاهرة أو الاسكندرية التي لا تغطيها شبكة صواريخ مضادة للطائرات مثل منطقة قناة السويس ، وبالرغم من ذلك فالمرجع الاخير ـــ أن التفوق الكبير فى عدد السكان لدى العرب سيجعلهم يتحملون خسائر اكبر بكثير فى الارواح من اسرائيل .

ان استخدام الصواريخ سيجعل وقف الملاحة اكثر سهولة فى كل من مضـــايق تيران وعند مدخل خليج العقبة ومضايق باب المندب عند المنافذ الجنوبية للبحـــر الاحمر . فاذا اصبحت الضفة الغربية وغزة لدولة فلسطينية فانها قد تصبح قواعد للعمل داخل اسرائيل وبذلك تضع كل مناطقها الحيوية بدون استثناء ضمن نطاق مرمى الصواريخ المتوسطة .

ان هذا الاعتبار العسكرى النابع من حرب اكتوبر هو احـــد الاسباب لرفض اسرائيل قبول قيام مثل هذه الدولة حتى تضمن وجودها على أساس أمن دائم .

وينتج عن هذه الملاحظات احتمال محاولة الدول العربية تجهيز نفسها بسلاح قوى من صواريخ « ارض / ارض » بينما اسرائيل تملك فعلا هذه الاسلحة ، ويجب ان نضع فى الاعتبار ايضا الخطوة التالية وهى الاسلحة النووية . وقد اثبتت الهند ان الدولة اذا ما امتلكت مفاعلات نووية فانه يصبح بامكانها تصنيع أسلحة نووية . ومن المحتمل ان اسرائيل لديها فعلا اسلحة نووية . ولكى تحصل مصر على مثـــل هذه الاسلحـــة فان ذلك يتطلب وقتا طويلا بالتأكيد . وانه لا يمكن نهائيا استبعاد احتمال أن تصبح كل من مصر واسرائيل عرضة لهجمة نووية ولهذا فان عامل الردع المتبادل هو العامل الذى سيكون له اليد العليا .

واذا تمعنا فى حرب اكتوبر لرأينا انها ربما كانت مجرد تصعيد جديد نحو أخطر الحـــروب التى يدخل فيهـــا استخدام الاسلحه النوويه التكتيكيه فى الشرق الاوسط . لاسيما وأن هناك اعتقادا بأن اسرائيل قادرة على صنع الرؤوس النوويه الصغيره . بل بانها تمتلك مخزونا من هذه الرؤوس حتى وأن كانت لم تجربها حتى الآن . وقـــد بدأت اسرائيل فى تلقى صواريخ (لانس) من امريكا وهى صواريخ قادرة على حمـــل الرؤوس النووية واذا تجـــدد القتال بين اسرائيل والعرب فى المستقبـــل ولم تتمكـــن الرؤوس ذات القوة التفجيرية العاليه (التى اعلنت اسرائيل انها ستضعها على هـــذه الصواريخ) من تدمير الدشم الخرسانيه التى تحتوى صواريـــخ سام وغيرهـــا مـــن المعدات الالكترونيه (وهو الهدف الاساسى الذى يبدو ان اسرائيل حصلت مـــن اجـــله

على هذه الصواريخ) واستمرت الخسائر الفادحه فى سلاحهم الجوى . فماذا يمكن ان يحدث ؟ ان من العسير الاجابة على السؤال عن مدى ما يمكن ان تتحماه اسرائيل من الخسائر سواء فى الطائرات او غيرها من العتاد الحربى . وعن مدى مايمكن ان تخسره اسرائيل اثناء القتال حتى من الاراضى المحتله قبل ان تشعر بما يغريها على تصعيد القتال والوصول به الى المرحله النووية رغم علمها ان الاتحاد السفيتى قد يضطر للتدخل الى جانب العرب لتصحيح الميزان ولادخال الصواريخ النوويه التكتيكيه الى الشرق الاوسط . واذا وضعنا فى اعتبارنا هذا المنطق اليائس . ورأينا القوات البريه العربيه تنتصر على الاسرائيليين فى اى قتال فى المستقبل . فهل تصل الامور الى نقطة يجد عندها الاسرائيليون مايغريهم بأن يفعلوا مافعله شمشون من قبل فيهدمون المعبد خيرا لهم من تكرار مأساة الماسادا ؟ ! !

وعودة الى مقالة ال Military Review عدد اغسطس ١٩٧٤ نجد الآتى :

انعوامل سباق التسلح النووى ثنائيه القطبين (أمريكا / روسيا) سهلة التحديد وبالتالى فهى اسهل عن العوامل الخاصه بسباق التسلح التقليدى متعدد الاقطاب واذا استمرت المساعدات العسكريه الامريكيه والسوفيتيه لاسرائيل والدول العربيه وكذا اذا استمر السوق الحر لبيع السلاح لدول منطقة الخليج فأن عوامل الخلافات السياسية العديدة بين الدول المورده لها هذا السلاح ستزداد نتيجة لتصاعد سباق التسلح وهذا بالتالى سيزيد من احتمالات النزاع المسلح . وهذا النزاع المسلح فى اى مكان فى الشرق الاوسط لن يكون فى مصلحة الدول المورده للسلاح كما انه فى المدى الطويل لن يكون فى مصلحة الدول المشتريه له .

ومع أن استيراد السلاح الغير محظور فى الشـــرق الاوســـط يرتبط حــتى الآن بالتسليح التقليدى الا أن رغبة بعض الدول المستوردة للسلاح وخاصة الغنية منهاــقد تزداد نحو الحصول على أسلحة اكثر فاعليه وهى غالبا أسلحة ذريه ونوويـــه . وفى الحقيقة ان هذه الرغبة قد تنشط بالمثل الموجود أمامها فى البرنامج الذرى للهند . كما ينشطه أيضا النهضـــة الحاليـــة فى المجـــال النووى .

وادخال الاسلحة الذريه الى الشرق الاوسط ان يجرى فى خط موازى لظهور نظم ثابتة سياسيا ، وعليه فاننا نجد أنه خلاف اسرائيل « التى قد تكون لديها قنبلة نووية فعلا » ولبنان ، فأن القيادة السياسية فى الدول العربية وايران ترتكز على حكم الافراد مثل السادات فى مصر والشاه فى ايران والحكم المحافظ الدينى مثل الملك فيصل فى السعودية وحكم الجماعات الحزبية مثل البعث فى سوريا والعراق . وتغير القيـــادة فى الكثير من هذه البلاد مألوف ، ورجال مثل الشاه وفيصل وحسين الذين اظهروا قـــدرة فائقه للبقاء قد يصبحوا ضحايا للتقلبات الدولية . وعلى سبيل المثال فأن طرد الشاه سيكون له تأثير مخيف على كل من العرب والاتحاد السوفيتى وخاصه اذا حل مكانـــه شخص من نوع القذافى، ولهذا السبب فأن دولة ايرانية قوية التسليح (وقد يكون أيضا تسليحا نوويا) فى حالة انقلابها الى دولة راديكاليه ستكون خطيرة على مصالح الغرب عن دولة ايرانيه راديكاليه ضعيفه .

بالنسبه للدول الغنيه المصدرة للبترول ، فأنه من المستحيل التفكير فى أن بريطانيـــا أو فرنسا أو امريكا أوحتى الاتحاد السوفيتى سترفض أتفاقية لتوريد أسلحة بعدة ملايين من الدولارات تضمن لهاواردات بتروليه فى المستقبل . وهى بهذا لاتكسب فقط مـــن

صفقات بيعها للاسلحة بل هي تكسب أيضا سياسيا ـــ ودول الاوبك لديها القـ
الاقتصاديه للحصول على ماتريد **على الاقل لفـــتره العشـــر سنـــوات القـــاده**
واكثر من ذلك فأن الدول الغنيه منها يمكنها شراء اجـــزاء كبيرة من المصانـــع م
العالم المتقدم منها بلاشك مصانع التسليح الحديث . وعلى سبيل المثال فقد اشـ
شاه أيران ٢٥ ٪ من أسهم شركة كروب الالمانيه .

أن طلبات السلاح لدول الشرق الاوسط مبنية أساسا على مطالب حقيقية
الدول . واقتراح قيام القوى الخارجيه بتحديد مطالب الأمن اللازمه لدول اقل منـ
القوة هو اقتراح له الكثير من المؤيدين ذوى النزعه الاستعماريه والمعروفين لـ
هذه المنطقة . وعلى ذلك فأن اقتراحات الحظر على الامداد بالتسليح لن يرحب
بالتأكيد أى من القوى المحليه ، بل قد ينظر له على انه نوع من أنواع العدوان .

واذا كان هناك اي شكل من اشكال اتفاقيات حظر السلاح لمنطقـــة الشـ
الاوسط قد يكون محل تفاوض فأنه سيكون على نوعيات الاسلحة التى لم تورد بعد
المنطقة (كحاملات الطائرات مثلا) .

وعليه فأن معظم الاسلحة المحظورة لن تغطى الانواع التى تعتبر حيوية للامن ا
(أسلحة التفوق الجوى . طائرات العمق الاعتراضيه ، العربات المدرعة ـــ الهليو
ـــ السفن الحربية الصغيره والصواريخ التى تعمل معها) ، لذلك فأنه يفترض أ
يمكن التخطيط لاتفاقية حظر تسليح اقليميه يتفق عليها جميع الاطراف تركيا والجز
ومصر واسرائيل وباكستان والهند ـــ وايران والعراق ، ولكن بمجرد الاخذ فى ا
ارتباطات الميزان الاستراتيجى لكل منطقة فأنه يصبح من الصعب تصور اتفاقية
كهـــــذه .

دور البـــترول

حظى سلاح البترول واستخدامه فى حرب ١٩٧٣ بنجاح ، بكثير من الدراســات والتحليلات كان علينا ان نستعرضها فى كتابنا هذا ـ **ومن مقالة ((تقييم مابعد الحرب)) التي نشرت فى مجلة** Military Review **عدد أغسطس ١٩٧٤ ورد الآتــى :**

((ودور البترول فى الجولة العربية الاسرائيلية الاخيرة كان واضحا وسيستمر بقاؤه كعامل اساسى مؤثر على كل من السياسة الاقليمية والعالمية))

وكان استخدام البترول كأداة سياسية فى الجولة العربية/الاسرائيلية الاخيرة فى الشرق الاوسط سلاحا آخر أحسن العرب أستخدامه فى المعركة لاستكمال جميع عنـاصرها .

وكان رئيس مصر السابق جمال عبد الناصر هو اول المقترحين لاستخدام البترول كسلاح سياسى لحل القضية الفلسطينية ، ومع ذلك فان عبد الناصر ومؤيديه ما كان يمكنهم ابدا أن يصلوا للتعاون الذى تتطلبه مثل هذه الخطوة ، لانه حتى تكون هناك فاعليه لقطع البترول ومنع شحنه ، كان لابد من وجود تعاون قوى ومشاركة كاملـة من المملكـة الســعوديـة نظـرا لانها تعتبر اكبـر دولـة مصـدرة للبـترول فى العالم اذ تمتلك ٢٥ ٪ من مخزون البترول العالمى .

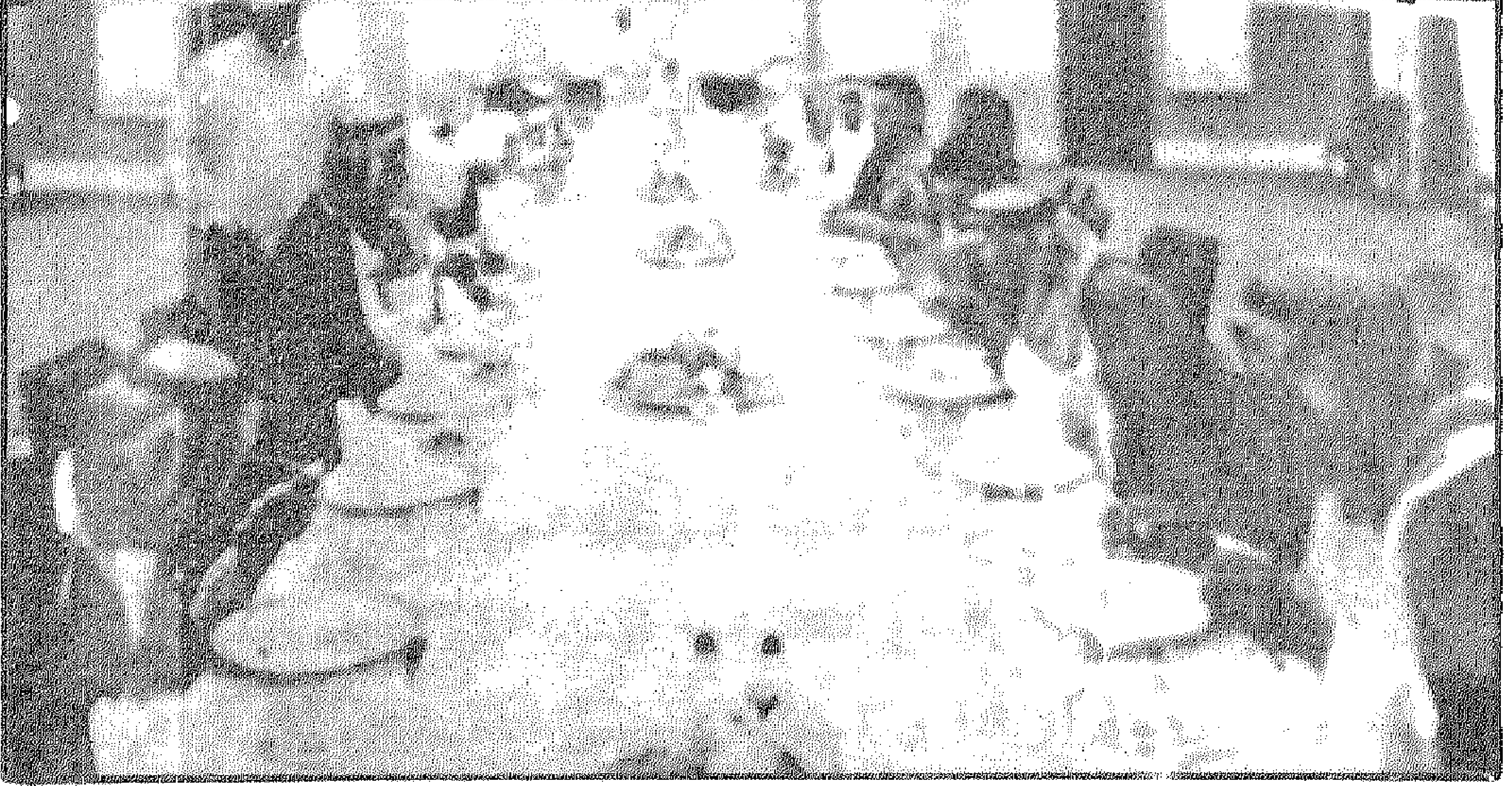
وخلال الاعوام الماضيه منذ عام ١٩٦٧ كان الملك فيصل متشددا فى رفض الطلبات المتكررة بعد عام ١٩٦٧ لاستخدام البترول كأداة ضغط لحل القضية العربيـة وكـــان يفضل الاحتفاظ بالبترول بعيدا عن السياسة .

لماذا أذن غير فيصل سياسته تجاه أستخدام البترول عام ١٩٧٣ ؟

للأجابة على ذلك يجب ان نتذكر أولا وقبل كل شىء أن فيصل كزعيم شرف للدين الأسلامى وحارسا للأماكن الاسلامية المقدسة سيكون مهتما جدا بأستعادة الجزء العربى من القدس واعادته للحكم العربى — وقد افصح فيصل عن ذلك مرارا بقوله انة يريد ان يصلى بالجامع الاقصى بالقدس قبل ان يموت ، لذلك كانت لديه نية جذرية لمعاونة ودعم الاجراءات العربية ضد اسرائيل ، الا انه لم يغير سياسته بالنسبة لاستخدام البترول بناءا على هذه النية والوعد لانه كان يمكنه ان يوفى بوعده كاملا بتقديم معونات مالية كبيرة لهذا الغرض دون الحاجة الى استخدام البترول .

والعامل الثانى الذى جعل فيصل يتشدد فى الاحتفاظ بأدارة البترول بعيدا عن السياسة ان آخرين ، وبالذات الرئيس عبدالناصر قد يدعى لنفسه الحق فى ان يقرر هو متى وكيف يستخدم سلاح البترول . وبذهاب الرئيس عبد الناصر وغياب هذه الشخصية القوية فى العالم العربى فان فيصل اصبح متاكدا دون أدنى شك فى انه يمكنه التحكم فى الموقف ويوجه استخدام البترول بأسلوب يفيد القضية العربية وفى نفس الوقت لا يضر السعودية .

والعامل الثالث (وقد يكون اهم هذه العوامل) الذى ادى الى تغيير فيصل اسياسته ان البترول يعتبر مصدر الدخل الاساسى للسعودية . وفى نفس الوقت فان دخل الناتج من البترول مطلوب ليقابل أحتياجات ومطالب بلاده . وكان هناك اعتقاد دائما ان فقد هذا الدخل نتيجة لتقلص فى الانتاج أو فى نقله ، يمكن ان يكون ضارا ماليا



وقد نجحت استراتيجية البترول العربية



بالاقتصاد السعودى نفسه : ولكن بزيادة مطالب العالم على البترول وزيادة انتاجه واسعاره فى السنوات الاخيرة تغير الموقف تماما الى المدى الذى اصبح معه عائد البترول يزيد بكثير عن مطالب الدولة . وهذا بالتالى اعطى الحاكم السعودى حرية كبيرة فى تداول سلاح البترول .

وقد نجحت الاستراتيجية البترولية العربية فى الجمع بين نتائج قطعها لامدادات البترول ونتائج الاوضاع الاقتصادية السيئة التى كانت موجودة فعلا فى العالم من قبل وكانت هناك الزيادة فى اسعاره لتعويض التضحيات المالية التى تعرضت لها دول البترول كما كان هناك حظر كامل لشحنه لعدد قليل من الدول التى اعتبرت كدول اعداء للقضية العربية مثل الولايات المتحدة وهولندا — وكان الهدف الاساسى من ذلك هو الضغط على الدول الغربية التىتحصل على البترول العربى لكى تتبنى مواقف سياسية فى صالح القضية العربية .

وكان للازمة البترولية التى حدثت نتيجة للاستراتيجية البترولية العربية اثرا واضحا على السياسة العالمية حيث سارعت معظم دول اوروبا الغربية بتبنى المواقف التى تخدم مصالحها البترولية فى بترول الخليج العربى وكانت سريعة فى تبنى السياسة العربية فى قضية الشرق الاوسط ، وبالتالى وضع العرب هذه الدول فى كشوف الدول المميزة للحصول على البترول .

وقد نشأ عن ذلك موقف حساس ، اذ كان على هذه الدول التى تعتمد على البترول العربى ان تختار بين مساعدة الولايات المتحدة فى مجهوداتها لاعادة تسليح

اسرائيل وامدادها بالسلاح عن طريق جسر جوى او ان يمتنعوا من القيام بأى دور تنفيذى فى هذه العملية ارضاءا للعرب ؟ وقد راوا انهم باختيارهم الامتناع عن القيام بدور تنفيذى مع الولايات المتحدة يكونوا بذلك قد حموا مصالحهم البترولية دون احداث اى ضرر مادى لاسرائيل ، وبذلك بقيت الولايات المتحدة فقط التى استمرت فى معاونتها الكثيفة لاسرائيل بمفردها لتواجه بذلك الضغوط البترولية العربية .

ولاشك أن سلاح البترول الذى استخدمه العرب اوجد تدعيما سياسيا جديدة للعرب فى الغرب كما أوجد منافسة شديدة بين الدول الغربية لارساء قواعد اقتصادية وسياسية مع الدول العربية لتضمن أستمرار أمدادها بالبترول وقد تنافست هذه الدول فى الوصول الى أتفاقيات ثنائية مع العالم العربى لامدادها بالبترول نظير بلايين الدولارات من المعدات الهندسية والمعونات الفنية فى العديد من ميادين الصناعة المختلفة وقد وصل هذا التنافس الى ميدان بيع السلاح وانتاجه . وقد حاولت الولايات المتحدة كثيرا فى أن تجعل العالم الحر يقترب من المشكلة متعاونا ومتضامنا مع بعضه البعض وذلك للبعد عن مخاطرة التنافس فيما بينهما .

وكان لهذا التنافس الذى نشأ نتيجة لازمة البترول اثرا عنيفا على عناصر المعادلة السياسية الاقتصادية للشرق الاوسط ففى حين كانت الدولتين العظميين قادرتين فى الماضى على تأكيد نوع من السيطرة الضمنية على توريد الاسلحة فى علاقتهما مع بعضهما البعض . فأن المستقبل ينذر بوجود حالة لن يكون فيها هناك مخطط سياسى عريض يوجه أمدادات السلاح الى منطقة الشرق الاوسط نظرا لدخول تجار السلاح الغربيون

الى المنطقة . واصبح امام الدول العربية الان (سواء ذات الميول الامريكية منها أوذات الميول السوفيتية) مصادر تبادلية للحصول على السلاح مما يمكنهم من التقدم بحرية خارج نطاق تأثير القوى العظمى .

كل هذه العوامل (التى ذكرت من قبل) مجتمعة تمثل عنصرا جديدا من عناصر القوى والضغط للعالم العربى ، كما وان عودة الثقة التى وجدوها اخيرا والقوة الاقتصادية التى اصبحوا عليها اصبحت عوامل لاتعتبر فقط محددات للقوى العظمى لاعادة تقييم نفوذها فى المنطقة ولكنها ايضا تؤثر بعنف على مستقبل اسرائيل نفسها فى المنطقة وعلى حلبة الصراع السياسى والاقتصادى العالمى .

ومن المحاضرة التى القاها الدكتور بطرس غالى فى ندوة اكتوبر باكاديمية ناصر بالقاهرة فى ديسمبر ١٩٧٥ بالنسبة لدور البترول نجد الاتى :

كانت المرة الاولى التى فكرت فيها الدول العربية فى استعمال سلاح البترول هى فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، حين وقع العدوان الثلاثى على مصر ، وكانت سوريا هى الدولة العربية الوحيدة فى ذلك الوقت التى استطاعت ان تستعمل سلاح البترول ، اذا قامت بنسف الانابيب التى تنقل البترول من العراق الى البحر المتوسط ، وكان نجاح التجربة الاولى فى استعمال سلاح البترول فى اضيق الحدود ، وذلك لان التجربة كانت فردية من دولة غير منتجة للبترول ولكنه يمر فقط فى أرضها ، وهى سوريا التى قامت بهذا العمل دون استشارة الدول العربية الاخري ، وفي مقدمتها العراق . ويبدوا ان المخطط

السورى قد تم دون اى اتفاق مع مصر التى وقع عليها العدوان . هــذا ولم تلــق هذه التجربة اى تأييد من الدول العربية الاخرى ، بــل ان بعض الاوساط العربية استنكرت هذا الاجراء الثورى وكانت ترى ضرورة فصل البترول عن الســياسة .

اما التجربة الثانية التى استعمل فيها سلاح البترول، فقد كانت حين وقع العدوان الاسرائيلى على البلاد العربية فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ وذلك تنفيذا لقرارات مؤتمر بغداد الذى عقد قبل وقوع العدوان ببضعة ايام . وكان من هذه القرارات منع وصول البترول الى اى دولة تعتدى او تشارك فى الاعتداء على أى دولة عربية بمد العون العسكرى الى اسرائيل واخضاع اموال شركات البترول والرعايــا التابعين للدول المشتركة فى العدوان لقوانين الحرب ، وفى اليوم نفسه اعلن الرئيس العراقى عبدالرحمن عارف وقف ضخ البترول العراقى ، واعلنت كل من الكويت والجزائر وليبيا والسعودية وقف تزويد الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا والمانيا الغربية بالبترول ، الا أن سلاح البترول لم تكد تظهر آثار استعماله حتى وقعت الهزيمة العربية فى سيناء والجولان والضفة الغربية وهى الايام التى تلت تلك الهزيمة . وتركزت الآمال العربية على سلاح البترول لانقــاذ الموقف .

ولكن لم يمضى الا قليل من الزمن ، حتى انعقد مؤتمر رؤساء الدول والحكومات العربية فى الخرطوم فى اول ســبتمبر ســنة ١٩٦٧ وجــاء فى الفقرة الرابعة مــن البيــان المشترك الذى صدر فى ختام المؤتمر وكان مؤتمر وزراء المــال والاقتصاد والبترول العرب قد أوصى بامكانية استخدام البترول كسلاح فى المعركة . ولكن مؤتمر

القمة رأى بعد دراسة الامر ان الضخ نفسه يمكن ان يستخدم كسلاح ايجابى باعتبار البترول طاقة عربية يمكن ان توجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان ولتمكينها من الصمود فى المعركة .

وقرر المؤتمر استئناف ضخ البترول باعتباره طاقة عربية ايجابية . يمكن تسخيرها فى خدمة الاهداف العربية . وفى الاسهام فى دعم الدول العربية التى تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد اقتصادية للصمود لازالة آثار العدوان .

وتنفيذا لذلك اوقف استعمال سلاح البترول . ولنا ان نتساءل لماذا لم تنجح استراتيجية حظر البترول ، ولماذا لم تطبق الدول العربية سلاح البترول تطبيقا جادا ؟ ولماذا قررت الدول العربية بالاجماع فى مؤتمر الخرطوم وقف استعمال هذا السلاح ؟ ان الاسباب كثيرة ومنها :

- كانت الدول العربية منقسمة على بعضها بعض ، ولم يكن فى نية الدول العربية المنتجة للبترول ان تستعمله كسلاح من اجل مساندة مصر الناصرية او سوريا البعثية ، وكان الفتور يسود العلاقة بين مصر والسعودية بسبب حرب اليمن وغيرها كما كان هناك خلاف ايضا بين العراق وسوريا .

- انتهاء المواجهة العسكرية بين العرب واسرائيل فى ايام خاطفة ، وبالتالى لم تكن هناك فرصة لاستعمال سلاح البترول كسند للسلاح العسكرى .

ـ كان استعمال سلاح البترول موجها اصلا ضد الولايات المتحدة الامريكية للضغط عليها كي تضغط بدورها على صنيعتها اسرائيل . ولكن في سنة ١٩٦٧ لم تكن الولايات المتحدة في حاجة ماسة الى البترول العربي وكان في امكانها الاستغناء عنه .

ـ لم تكن الدول العربية متفقة على الهدف الاساسي الذى من اجله يستعمل سلاح البترول كما انها لم تكن متفقة على خطة دقيقة لكيفية استعماله .

ـ لم تكن ازمة الطاقة قد تبلورت في ذلك الحين ، كما ان الدول المنتجة للبترول لم تقرر تخفيض انتاجه بل استمر كما هو في معدل انتاجه واكتفت بمنع بيع البترول مباشرة الى الدول التي فرض عليها قرار الحظر ، وعليه كان من السهل على تلك الدول المفروض الحظر عليها الحصول عليه بطريق غير مباشر .

ـ لم تكن الدول العربية ذات قدرة مالية واقتصادتمكنها في ذلك الحين من تحمل اعباء المقاطعة البترولية والصمود في مواجهة ضغوط الدول الكبرى المستهلكة للبترول .

اما في المرة الثالثة التي استعمل فيها سلاح البترول ، فقد كان في نوفمبر عام ٧٣ حيث كانت الملابسات تغاير كل المغايرة ماكان عليه الحال في المرتين السابقتين . ويمكن تقسيم الاسباب التي اسهمت في تحقيق النجاح هنا الى ثلاث مجموعات هي : الاسباب السياسية ، والاسباب الاقتصادية ، والاسباب الفنية .

فعلى الصعيد السياسى كانت هناك ثلاثة أسباب رئيسية ساعدت الدول العربية على تحقيق النجاح فى خطتها وهى :

ــ الجو السياسى الجديد الذى ساد الدول العربية منذ ان تولى الرئيس / محمد انور السادات زمام الحكم فى مصر ، **فقد نجح فى اقامة جسر من المودة بين مصر والسعودية** وكان هذا من العوامل التى دفعت السعودية الى الخروج من عزلتها الدبلوماسية ــ التى كانت قد التزمتها منذ ماقبل حرب يونيه سنة ١٩٦٧ ــ وجعلتها تضطلع بدور دبلوماسى هام فى المعركة ضد العدو الاسرائيلى **وقد كان هذا التقارب الوثيق بين اقوى دولة عسكرية فى المنطقة واقوى دولة بترولية فى المنطقة هو مفتاح نجاح تطبيق استراتيجية حظر البترول لانه كان رمزا للتكامل بين السلاح العسكرى والسلاح البترولى .**

ــ استعمال سلاح البترول عقب نجاح عسكرى مذهل فى جبهة سيناء ، باقتحام خط بارليف وجناح عسكرى فى منطقة الجولان ، وايضا عقب هزيمة دبلوماسية منيت بها اسرائيل نتيجة لقطع اغلبية دول العالم الثالث علاقاتها الدبلوماسية معها. وبالطبع فان ذلك كان مغايرا لما كان عليه الوضع فى يونيه ١٩٦٧ . ونستخلص من ذلك ان سلاح البترول وحده لايمكن استعماله بجدية ولايمكن ان يحقق النصر الا متعاونا مع نجاح [illegible] سلاح العسكرى .

ــ لم تحقق الدول العربية [illegible] ل هدف ايجاد جبهة موحدة فيما يتعلق باستخدام سلاح الب[illegible] هناك دولتين لم تطبقا استراتيجية الحظر

البترولى وهما العراق التى رات ان هـذه الاستراتيجية سلبية وغير مجزية وان العبرة بتأميم شركات البترول ، وتأميم ممتلكات الدول المعادية ، ولكن لا يحظر بيع البترول لها . والدولة الثانية كانت ليبيا التى لم تطبق استخدام سلاح البترول لاسباب غير واضحة ، فتارة تقول ان حرب اكتوبر غير مجدية وتارة تقول ان استراتيجية الحظر لامعنى لهـا الا فى ظل حـرب العصابات .

والمهم ان الموقف العراقى والموقف الليبى لم يؤثرا فى نجاح استعمال سلاح البترول لان البترول السعودى والكويتى والجزائرى وبترول أمارات الخليج كان يمثل اكثر من ٦٠٪ من انتاج البترول العربى وهذه النسبة كانت كافية للتأثير تأثير امباشرا على الدول المستهلكة للبترول .

وعلى الصعيد الاقتصادى هناك ايضا ثلاثة اسباب رئيسية ساعدت الدول العربية فى انجاح خطتها ، وهـذه الاسـباب هى :

- ازمة الطاقة التى سادت العالم والتى دفعت الدول المنتجة للبترول الى رفع سعره قبل تطبيق استراتيجية الحظر بيومين . ولاشك ان تعطش الدول الصناعية الكبرى للبترول العربى كان من العوامل الاساسية التى جعلت لسلاح البترول تلك القـوة التى تسير بهـا .

- ساعد المركز المـالى والاقتصادى الجديد الدول العربية المنتجة للبترول عـلى استعمال استراتيجية الحظر البترولى باطمئنان ، فهى لاتخشى اى نتائج اقتصادية تترتب على تخفيض انتاج البترول .

ـ ازدياد حاجة الولايات المتحدة الامريكية الى البترول العربى فى اكتوبر ١٩٧٣ عما كانت عليه فى يونية سنة ١٩٦٧ .

اما على الصعيد الفنى فهناك ايضا ثلاثة اسباب رئيسية ساعدت الدول العربية على انجاح خطتهـا وهى :

ـ وضوح الهدف الذى من اجل تحقيقه طبق الحظر البترولى ، وهـو تطبيق احكـام القرار رقم ٢٤٢ الصادر من مجلس الامن فى نوفمبر سنة ١٩٦٧ وقد ادى هذا الوضوح الى تدبير قانونى لهذا الحظر واسباغ صفة الشرعية الدولية عليه .

ـ وضوح اسلوب استعمال سلاح البترول . فان الدول العربية قد ادركت أن حظـر البترول ضد بعض الدول دون تخفيض انتاجه بالنسبة لجميع المستهلكين سوف لايؤدى الى النتيجة الحازمة المرجوه ، لان الـدول التى لايفرض عليهـا الحظر تستطيع ان تشترى مزيدا منه .

ـ تطبق الدول العربية استراتيجية الرد المرن حين استخدمت البترول بـدلا من أن تستخدم استراتجية الانتقام العنيف وقد طبقت الدول العربية هـذة النظرية فبدلا من أن تقطع البترول دفعة واحدة وفقا لنظرية الانتقـام العنيف خفضتـه تدريجيا بنسبة ٥ ٪ كل شهر وفرقت بين الدول الصديقة والدول المعادية وأعطت بذلك لاستراتجية الحظر البترولى مرونة وصلاحية .

ولكن سـلاح البترول لم ينجح فقط بسبب وضوح الهدف ، ووضوح الاسلوب ، والتشـاور المستمر بين الدول العربيـة المعنية ، ولكنه نجح ايضـا نتيجـة أن الدول

العربية حين رات أن اثاره قد تجاوزت ماكان مقدرا لها ، استطاع أن تتراجع تراجعا مخططا له وبمحض ارادتها .

ومامن شك فى ان سلاح البترول عمل على تدعيم مركز الوطن العربى على الصعيد الدبلوماسى فى المحافل الدولية فأصبحت الدول العربية قوة اقتصادية جديدة فى وقت السلم وقوة ردع فى وقت الحرب يضاف الى ذلك ان سلاح البترول ساعد على تدعيم الجبهة العربية وعلى تحقيق وحدة الصف ووحدة الهدف بين اغلبية الدول العربيـــة .

ويرجع ذلك الى تقسيم العمل بين الدول العربية والى التضامن الجديد الذى تولد عن العمل المشترك وفق هذا التفسير فدول المواجهة استعملت القوة العسكرية ودول البترول استعملت سلاح البترول وادى ذلك الى تكامل هذين النوعين من الاسلحة .

وقد اسهم سلاح البترول ايضا فى تثبيت العزلة الدبلوماسية التى منيت بها اسرائيل قبل حرب اكتوبر ، استكملت عناصرهـا بعـد هذه الحرب فقـد قطعـت الاغلبيةالعظمى منالدول الافريقيةعلاقاتها الدبلوماسية معاسرائيل. وامتد هذا الموقف المنصف للحق العربى الى دول اوروبا الغربية واليابان ، ولاشك ان سلاح البترول هو الذى اجبر الولايات المتحدة الامريكية على التدخل من اجـل تسوية ازمة الشرق الاوسط وهو الذى دفعها الى الضغط على اسرائيل . وكان من نتائج هذا الضغط ابرام اتفاقية عسكرية لفك الاشتباك فى منطقة قناة السويس ثم فى منطقة الجولان ، ونتيجة

لسلاح البترول بدأت حكومة واشنطن تتخلى عن المساندة شبه المطلقة لاسرائيل وتقف موقفا اقرب الى التوازن منه الى المساندة . وبايجاز ، فان سلاح البترول كان سلاحا رادعا جعل الدول الاوربية واليابان والولايات المتحدة الامريكية تغير من موقفها من ازمة الشرق الاوسط وتعترف بالكيان الفلسطيني وبحق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم .

ونستخلص من ذلك ان سلاح البترول سواء اتخذ صورة الحظر او صورة الحد من الانتاج او صورة رفع الاسعار فانه سلاح للتهديد اكثر مما هو سلاح للقهر وهو سلاح للردع اكثر مما هو سلاح للهجوم ، فهو فى ذلك اقرب الى سلاح الذرى منه الى السلاح التقليدى فاستعماله سيصيب بصفة خاصة دول اوروبا الغربية واليابان ودول العالم الثالث وهى دول تقف الى حد كبير الى جانب العرب عند الاصرار على استعماله ضدها قد يؤدى الى انهيار اقتصادياتها كما أن استعماله دون خطط مدروسة دراسة وافية قد يؤثر على متانة الجبهة العربية ، وهذا ينقلنا الى دراسة القضية الثانية .

واذا كان سلاح البترول قد قام بدور ايجابى فى كفاح العرب المشترك فقد كانت له الى جانب ذلك بعض الآثار السلبية بالنسبة لمستقبل العرب يجب ان تؤخذ فى الاعتبار وتناقش فى صراحة وجدية وفى مقدمة الجوانب السلبية تقسيم المجتمع العربى الى فريقين : دول عربية غنية تزداد ثراء بسبب البترول ، وارتفاع سعره ، ودول اخرى ليس لها هذا المورد فهى فقيرة وتزداد فقرا . واحتمال اتساع الهوة بين هاتين المجموعتين من الدول العربية فى السنوات القادمة يمثل عقبة جديدة تعترض سبيل اتمام الوحدة المنشودة لاسيما ان الدول الضعيفة عسكريا هى غالبيتها الى تمتلك البترول والدول القوية عسكريا هى فى جملتها الفقيرة لانها لاتمتلك البترول . وينجم

عن ذلك مايتردد على افواه سكان دول المواجهة اذا يقولون انهم ضحوا بالارواح والدماء ولم تقدم لهم دول البترول المساعدات التى ينبغى ان تكون . ويقولون ان هذه الدول الغنية تفضل توظيف أموالها فى الولايات المتحدة وغيرها من الدول الراسمالية — على ان تعين بها اخواتها المجاهدين . ويقال كذلك فى دول المواجهة انها هى التى مكنت دول البترول بانتصاراتها العسكرية من رفع سعر البترول وكان يجب أن تنال حظا من هذا الارتفاع اما دول البترول فتقول ان الدول العربية فى مجموعها تملك القدرة الاقتصادية والتكنولوجية على استيعاب أموال البترول وتقول أيضا ان رفع سعر البترول يرجع الى ازمة الطاقة . اى الى قانون العرض والطلب اكثر مما ترجع الى النصر العسكرى العربى .

وهناك خطر يهدد الجبهة العربية الجديدة ، وهو يكمن فى انقسام الدول المنتجة للبترول بسبب اختلافها فى الاستراتيجية البترولية الواجب اتباعها ، فهناك دول عربية منتجة للبترول عدد سكانها قليل مثل السعودية والكويت ودولة الامارات وقطر وبالتالى لايمكنها استيعاب مواردها البترولية فى مشروعاتها الاقتصادية . وهناك مجموعة أخرى من الدول العربية المنتجة للبترول ذات كثافة سكانية مثل العراق والجزائر وهذه تقدر على امتصاص عائدها البترولى فى مشروعات التنمية فيها فالمجموعة الاولى يكون لها مصلحة فى الحد من انتاج البترول ولكن المجموعة الثانية لامصلحة لها فى ذلك كما انه قد يكون هناك اختلاف بين المجموعتين فى استراتيجية رفع سعر البترول ولايجوز ان يستهان بمثل هذه الاختلافات ، اذ ان من اهم اهداف الاستعمار تفتيت الجبهة العربية باثارة الفتن وتوسيع شقة الخلاف بين الدول العربية

التى تنتج البترول والدول العربية التى لاتنتجة والدول التى تنادى بالحد من انتاجه التى لاترى ذلك وبين الدول العربية التى تنادى برفع سعر البترول وتلك التى تنادى بخفضة .

ولاشك ان المحور السياسى الذى يربط بين القاهر والرياض هو ضمان للتغلب على تلك التناقضات التى تهدد وحدة الصف ووحدة الهدف العربى ولكن لابد من تحويل هذا المحور من التطور السياسى القابل للتغيير الى التطور التأسيسى التنظيمى ليكون له من الاثر والبقاء ، مثل ماكان لمشروع الفحم والصلب من اثار فى تحقيق الوحدة الاوروبية الغربية .

ومن محاضرة البترول والاستراتيجية (نقاط الضعف والقوة فى سلاح البترول) لمعهد الدرسات الاستراتيجية البريطانية عام ١٩٧٤ ذكر الاتى :

ان أسباب فشل سياسة حظر تصدير البترول عام ١٩٦٧ يرجع الى انقسام الدول العربية ايديولوجيا واقتصاديا مما جعلها غير قادرة على القيام بأى تضحيات لصالح بعضها البعض ، وكذا الى عدم وجود اى جدية فى الحظر ، كما ان احد دول شمال افريقيا المنتجة للبترول لم تكن فى الحقيقة تحجب امداداتها البترولية عن المانيا الغربية .

وفى عام ١٩٧٣ **كانت اسباب نجاح استخدام البترول كسلاح هو نتيجة لنجاح الرئيس السادات فى تحسين العلاقات المصرية السعودية** وبالتالى دعمت الدور الايجابى والفعال للسياسات العربية . كما أنه وبحلول منتصف عام ١٩٧٣ كان معظم ان لم يكن كل الدول العربية المنتجة للبترول قد اصبحوا يشكلون قوة اقتصادية كبرى ، ممـــا جعلهم عند الضرورة يستطيعون ايقاف ضخ البترول كلية دون اى اضعاف لاقتصادهم كما ان الاجماع العربى بخصوص استخدام البترول كسلاح سياسى اصبح اقل حرجا وبالاضافة الى ذلك أخذ كل من مصر وسوريا لزمام المبادأة فى الحرب لاول مرة منذ عام ١٩٤٨ قد خلق ضغط معنوى هام ازداد تأثيرا باستخدام سلاح البترول بواسطة الدول العربية الغير مشتبكة فى القتال .

وعلى الارجح فان حظر تصدير البترول العربى هو السبب الرئيسى فى اتجاه السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط نحو الواقعية متمثلا فى المبادرة الحالية للحكومة الامريكية لتحقيق السلام فى الشرق الاوسط ، كما انه كان هناك اثناء وبعد حرب اكتوبر تحركات من جانب دول السوق الاوربية المشتركةواليابان نحو تفهم اكثر تطابقا معالتفسير العربى لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وخاصة اليابان (**من محاضرة انظمة التحالف ومشكلة الطاقة اليابان**) تستورد الجزء الرئيسى من احتياجاتها من البترول من الدول العربية ولذلك فقد حاولت الوصول الى اتفاق سياسى يرضى العرب خصوصا انها كانت لا تملك الا ٥٩ يوما مخزون بترول .

وكان تأثير سلاح البترول هذا كبيرا على دول اوروبا الغربية مما دعاها الى رفض الاشتراك فى الجسر الجوى الذىاقامته الولايات المتحدة الامريكية لامداد اسرائيل بالسلاح

ومن البحث الذى قدمه ادجار اوبالس عن تاثيرات حرب اكتوبر فى الندوة الدولية لحرب اكتوبر عام ٧٣ باكاديمية ناصر العسكرية بالقاهرة عام ١٩٧٥ نجد الاتى :

لقد احدثت حرب ١٩٧٣ عددا من التغييرات فى الغرب ابرزها حلف الاطلنطى اصيب بشرخ كبير جعله لا يزال هشا حتى الآن ، وهو الحلف الذى انشىء بعد الحرب العالمية الثانية عند بداية الحرب الباردة فى أوربا وظلت الدول الاعضاء فيه توافق على وجوده ولكنها لم تختبر جدواه حتى ذلك الوقت . وقد شعرت الدول الاعضاء بالفزع والغضب الشديد من موقف امريكا المتسلط تجاهها ، ومن الاساليب التى استخدمتها الولايات المتحدة فى ارسال الامدادات العسكرية الحيويّة على وجه السرعة الى اسرائيل ومن ثم بدات هذه الدول تتساءل عن الغرض من انشاء الحلف ، ولاتزال تتساءل عن ذلك حتى الآن . كما ان امريكا شعرت بالغضب لان حلفاءها الذين يتمتعون بالحماية بفضل المظلة النووية الامريكية لم يقدموا المساندة غير المشروطة لسياستها الموالية لاسرائيل . ودهشت امريكا لان هذه الدول اتخذت مواقف مستقلة ازاء المشكلة بين العرب واسرائيل ربما بدافع حاجتها الى البترول العربى وغيره من المصالح التجارية وهى مصالح لاتتفق بالضرورة مع المصالح الامريكية . ووجدت امريكا ان حلفاءها ليسوا توابع مذعنين كما هو الحال بين الاتحاد السوفييتى والدول المتحالفة معه .

وليس من المبالغة فى شىء ان نقول ان حرب اكتوبر كانت بمثابة صدمة لحلف الاطلنطى فعندما طلبت أمريكا من حلفائها أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط والتزويد بالوقود لتمكنها من اقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الامدادات والاسلحة والذخائر

الحيوية من امريكا الى اسرائيل ، اعتذرت بعض هذه الدول الحليفة عن عدم تقديم هذه التسهيلات فى حين ان بعض الدول الاخرى رفضت ذلك رفضا صريحا . ولم تتمكن الطائرات الامريكية الا من استخدام مطار واحد فى جزر الازور بعد ان قدمت امريكا وعدا للبرتغال بتأييدها فى الامم المتحدة بشأن قضية احدى المستعمرات . وبهذا وحده امكن القيام بعملية الجسر الجوى . وفى وقت متأخر نقلت الولايات المتحدة كميات من العتاد الحربى من مخزون الحلف فى اوربا وارسلتها بقدر كبير من السرية الى اسرائيل دون أن تكلف نفسها واجب ابلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجودا فى اراضيها بما كانت تفعله الامر الذى اثار سؤالا هول ما اذا كان الهدف من الحلف يأتى من حيث الاهمية بعد المصالح الثنائية الامريكية ، واذا كان الامر كذلك فماذا يمكن ان يحدث اذا شنت دول حلف وارسو هجوما على دول اوربا الاعضاء فى حلف الاطلنطى .

ولاسباب اساسية بحته لن تستطيع امريكا اتباع اى من هذين الاسلوبين بعد ذلك ولهذا فأن المخططين وواضعى الاستراتيجية الامريكية وجدوا لزاما عليهم ان يبحثوا عن الوسائل البديلة التى يمكن استخدامها فى حالة نشوء موقف طارىء مماثل للذى نشأ فى حرب أكتوبر . لقد أصيب الجزء الجنوبى من حلف الاطلنطى بشرخ . وتواجه أمريكا مشكلة اصلاح هذا الشرخ الذى اصاب دول الخط الاول فى الحلف كما انها تشعر بالقلق ازاء حساسية جناح الحلف المواجه للشرق الاوسط المعارض لأفكار ومثاليات العالم الثالث وهى مثاليات لاتتفق بالضرورة مع مثاليات الغرب او الشرق كذلك فأن امريكا تعانى مشكلة اسرائيل وعليها ان تجد وسيلة لسد حاجات هذه الدولة عند الطوارىء لكى ترضى اليهود الامريكيين ومن المعتقد ان امريكا اعادت تسليح اسرائيل بأكثر مما لديها قبل حرب اكتوبر ١٩٧٣ فضلا عن ذلك فانها خزنت كميات هائلة من الاسلحة .

والذخائر والمؤن فى اسرائيل . كما ان لديها من هذه المواد فى قواعد غير تابعة لحلف الاطلنطى وعلى ظهر السفن الحربية الامريكية ، ويمكن نقل هذه الكميات الى اسرائيل بسرعة فى المواقف الطارئة . لقد دلت حرب اكتوبر على ان امريكا تواجه فى بعض الاحيان تعارضا بين مصلحتين استراتيجيتين رئيسيتين هما حلف الاطلنطى واسرائيل ، ويصعب عليها ان تعطى الاولوية لكليهما معا ولقد اصبح واضحا ان حلف الاطلنطى لايستطيع ان يتمتع بالثقة او يضمن لنفسه مقومات البقاء الا اذا اعتمد كلية على البترول العربى . وهذا هو السبب فى الدعاية الضخمة التي احاطت دبلوماسية المكوك التى يقوم بها كسينجر ، كما اندفعت الحكومة الامريكية بفعل حرب اكتوبر الى بذل جهود شاقة لاكتساب موطىء لاقدامها فى الشرق الاوسط لكى تحاول طرد النفوذ السوفييتى من الدول العربية لتأمين الجزء الجنوبى من حلف الاطلنطى وكذلك لكى تضمن تدفق البترول العربى الى الغرب بصرف النظر عن الظروف فى حالة الحرب او فى حالة السلام .

ومن مقالة تقييم مابعد الحرب التى نشرت فى مجلة **Military Review** **عدد اغسطس ١٩٧٤ نجد الاتى :**

ومن ناحية اخرى فقد احدثت حرب اكتوبر وحظر البترول الذى تلاها تدهورا فى العلاقات بين الولايات المتحدة وحلفائها الاوربين مما ادى الى وجود خلاف عميق فى حلف الاطلنطى لاول مرة منذ نشأته . والواقع ان الذى حدث هو اختلاف حقيقى بين المصالح الامريكية والاوروبية .

وقد رات بعض الدول الاوروبية ان استمرار تدفق البترول لها هو الصالح الوطنى الاساسى لها وقبل كل شىء ، ولذلك حاولت التنصل من امدادات أمريكا العسكرية لاسرائيل وفى الناحية الاخرى كانت الولايات المتحدة مهتمة بالحفاظ على ميزان التسلح بين اسرائيل والعرب لمواجهة التهديد السوفييتى بالتدخل ، وكانت تعمل للوصول الى نتيجة تؤدى الى اتفاقية نهائية للسلام فى الشرق الاوسط .

وسوف تؤدى الخلافات الموضوعية التى ظهرت بين الولايات المتحدة وحلفائها الاوروبيون حول الشرق الاوسط بلاشك الى حدوث توتر اكثر فى التحالف الغربى ، ان لم يتم وضع هيكل نظام جديد للتعاون يبنى على اسس قوية من المصالح المشتركة ، والمشكلة الاساسية انه ولادولة واحدة من الدول الصناعية قررت ماذا ستفعل ازاء الموقف البترولى ومادامت الحكومات لم تصل الى اتفاق فى حدود دوائرهم ، لذلك فانه من الصعب عليهم الاتفاق معا على سياسات عالمية .

وبينما ترى الولايات المتحدة انه لايمكن فصل الاعتبارات الاقتصادية عن الامن فان معظم الدول الاوربية يفضلون بقاء الاعتبارات الاقتصادية منفصلة عن اعتبارات الامن ، ولكن يجب على الدول الاوربية ان تعترف ان استمرار التهديد بحرب كبرى فى الشرق الاوسط يعتبر تهديدا لامدادات البترول التى يحتاجون اليها بشدة . ويجب على الولايات المتحدة ان تاخذ فى اعتبارها احتياجات ومصالح الدول الاوربية عندماتاخذ على عاتقها تنفيذ سياسات فى الشرق الاوسط سيكون لها تاثيرا مباشرا على رخاء المجتمع الاوروبى .

لقد كانت الولايات المتحدة تنظر الى الشرق الاوسط باستمرار على انه يتكون من اهتمامين مستقلين احداهما خاص بالاهتمامات السياسية وهو ما يخص النزاع العربى الاسرائيلى والآخر خاص بالاهتمامات الاقتصادية وهو مايخص الخليج وكانت ترى أن العلاقات بين هذين الاهتمامين ضئيلة للغاية وان تأثير كل منهما على الآخر ضعيفا جدا.

اما الآن فان هذه العلاقة قد وضحت ولم تصبح محل تساؤل . وكما شرح من قبل فقد اوضحت حرب اكتوبر ان الدول المنتجة للبترول يمكن ان تستخدم بترولها كسلاح لتحقيق اهداف سياسية .

ومع ان المقاطعة البترولية مع الولايات المتحدة لم تكن حرجة فى اطار ذلك ، الا انها بلاشك ستكون خطيرة فى المستقبل اذا وجدت الولايات المتحدة نفسها غير قادرة على ايجاد بديلا آخر للبترول العربى .

وقوة سلاح البترول وضعفه سوف يعتمد اعتمادا كبيرا على الاستراتيجية العربية التى يتم وضعها له ومدى كفاءتها وفاعليتها ومدى أخذها فى الاعتبار العناصر والعوامل المختلفة الداخلة فى ذلك وخاصة اذا ما عرفنا **من البحث الخاص بمشكلة الطاقة فى الدول النامية لمعهد الدراسات الاستراتيجية عام ١٩٧٤ الآتى :**

«غير ان رفع اسعار البترول قد اوجد مشاكل اقتصادية لا تحتمل بالنسبة للدول النامية الفقيرة فقد أوجد الارتفاع الحاد فى الاسعار مشاكل متعددة ، تعرضت معه

ح التنمية فيها لاخطار التوقف ، وبالطبع فان الزيادة السريعة فى تكاليف استيراد
ول قد اثرت بدرجات متفاوتة على هذه الدول . ان الدول ذات النمو السريع
البرازيل وكوريا الجنوبية جعلها فى وضع يمكنها من دفع الزيادة فى اسعار الطاقة
رة اقل عناء من الدول ذات معدل النمو البطىء مثل الهند وبنجلاديش .

لقد اثرت مشكلة الطاقة على خطط التنمية للسنوات العشر القادمة والتى كانت
ف الى تحقيق معدل نمو سنوى بحد ادنى ٦٪ ولذلك فانه يجب تقديم معونة
نوية للدول النامية مقدارها ١٠ ــ ١٢ مليار دولار تمكنها من الوصول الى الحد
دنى للتنمية المقررة ، وعلى أن يراعى فى هذه المنحة أن يكون منها من ٤ الى ٥ مليار
لار تقدم لها كمنحة دون مقابل .

وبالطبع ولاسباب عدة لن تستطيع الدول المتقدمة ان تقدم الكثير للدول النامية
لفقيرة ــ وعليه فانه يطرح بديلا لذلك السؤال التالى : هل تستطيع الدول المنتجة
للبترول ان تقدم العون المطلوب للدول النامية الفقيرة ؟

أن يد البترول السحرية يمكن ان تحول بلدان مثل فنزويلا الى قوة صناعية
كبيرة والجزائر الى اليابان الافريقية ، وايران الى دولة متقدمة صناعيا وعسكريا
فى مستوى فرنسا أو المانيا وذلك خلال فترة عشر سنوات . كما ان دولا مثل السعودية
والكويت وقطر (ذات الاحتياجات المعيشية المحدودة تبلغ ايرادات البترول فيها الى حوالى
٤٠ مليار دولار اى أضعاف احتياجاتها . ان الانسان يمكن أن يتخيل الآثار الاقتصادية

والسياسية والاستراتيجية لايرادات البترول التصاعدية والتى ستصل الى حـــوا" تريليون دولار ، أى ما يساوى الاحتياجات النقدية للولايات المتحدة الامريكية عـــ ١٩٨٠ .

إن الجزء الاكبر والاغنى من دول منظمة الاوبك هى دول اسلامية . وقد وافة هذه الدول على انشاء البنك الاسلامى المخصص لمنح الدول الاسلامية الفقيرة القرو، اللازمة لبرامج التنمية براس مال قدره ٢ مليار دولار ساهمت المملكة العربيـــــ السعودية فيه بمبلغ ٩٠٠ مليون دولار . كما قامت الدول العربية بانشاء بنك لمساه الدول الافريقية بمنحها القروض اللازمة لتنفيذ برامج التنمية المقررة . وربما كـ الدين هو همزة الوصل الوحيدة بين دول العالم الثالث الغنية والفقيرة وهو العا الوحيد الذى يجمع دول ذات اتجاهات وميول متناقضة مثل المغرب وماليزيا والعر واندونيسيا معا » .

وخلاصة ما سبق وما اشارت له كل الدراسات التى تمت على سلاح البتر العربى فاننا نجد الدول الغنية قد حددت فترة عشرة سنوات امام الدول البترولية النامية لتستفيد من نتائج حظر البترول أثناء حرب ١٩٧٣ واخذت طوال تلك الف فى اعداد الدراسات ووضع الاستراتيجيات والخطط لتقليم اظافر هذه الدول الصا ونزع هذا السلاح الكبير والضخم من يدها حتى لا يؤدى سوء استخدامه الى حد كارثة اقتصادية واجتماعية دولية .

ونجحت فعلا عام ١٩٨٣ اى بعد عشر سنوات كما قدرت كل الدراسات التي ناقشت هذا الموضوع فى تقليم الاظافر ولكنها لم تنزع هذا السلاح بالكامل من اليد العربية حتى الآن وان كانت قد قربت من ذلك وكانت النتيجة حتى الآن هو ما حدث مؤخرا لدول الاوبك وخفض عائدات البترول .

ولكن وكما سبق ان اشرنا فان استراتيجية عربية موحدة اساسها صادرات بترولية وصناعات استراتيجية وتصنيعيه للخدمات ولاستصلاح اراضي واستزراعها لايجاد اكتفاء صناعي وغذائي للشعوب فى المنطقة لهو القبضة القوية التى تساعد على عدم افلات هذا السلاح من يد العرب حيث ان القبض على سلاح البترول بقبضة صناعية متقدمة وغذائية شاملة لهى القبضة الفولاذية كما يقولون وخاصة اذا ما عرفنا ان سلاح الحبوب سيكون هو سلاح القرن ال ٢١ ومن يتملك هذا السلاح مقرونا بسلاح الطاقة سيكون هو الاقوى والاعظم والاكثر تقدما وغنى .

نتائج زلزال اكتوبــر

كان للصدام العربى الاسرائيلى الذى بدأ يـوم ٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ كثيرا مـن الاهتمامات والانعكاسات بعضها عسكريا بحتا يشكل أهميــــة خاصة للعاملين فى الاستراتيجية العسكرية كما أن هناك العديد من الدراسات التى قيمت معارك هــــذه الحرب والدروس العسكرية المستفادة منها .

وخلاف هذه الاهتمامات العسكرية كان هناك ايضا اهتمامات وانعكاســات سياسية واقتصادية وسيكلوجية (نفسية) واضحة تهم أيضا رجال الاستراتيجيــة العســـــكرية .

ونجد فى عالم اليوم «الكثير التعقيدات » ان الاستراتيجية العسكرية لم يعــد لها وجودا منفردا نظرا لان الاختبارات الاستراتيجية والقرارات أصبحت تؤخــذ فى ظل المناخ العام للسياسة العالمية ولم يعد هناك خطأ فاصلا بين المشاكل العسكرية والسياسية والاقتصادية والنفسية .

ان الحرب التى بدأت فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ ويطلق عليها فى بعض الاحيان بحرب يوم الغفران كان وسيستمر لها تأثيرات وانعكاسات واضحة على كـل من العالم العربى وعلى اسرائيل على الخصوص وعلى المجتمع الدولى وعلى القوتين العظمتين على العموم .

واذا كان هناك شيء آخر يمكن ان يقال فان هذه الحرب قد جددت بطريقة مثيرة الاهمية الاستراتيجية للمنطقة ، كما اعدت المسرح للكثير مما سوف يحدث في المستقبل فيما يخص العلاقات الاقليمية والعلاقات الدولية .

١ ـ النتائج والانعكاسات على العالم العربي :

كانت النتائج والانعكاسات لحرب أكتوبر عام ١٩٧٣ كثيرة ومتعددة ، وقد اظهرت هذه الحرب لدول العالم مصادر القوى المختلفة التي يملكها العالم العربي فقد اظهرت بوضوح عظمة العسكرية المصرية وقوة التضامن العربي واهميته في انجاح الاستراتيجية البترولية .

أ ـ وبالنسبة لهذا الموضوع ورد في مقالة **((حرب اكتوبر ـ تقييم ما بعد الحرب)) التي نشرت في مجلة ال ((** Military Review **عدد اغسطس عام ١٩٧٤ ـ الآتي :**

((ان حرب أكتوبر قد حطمت الخرافة التي كانت قائمة منذ الانتصار الاسرائيلي السريع عام ١٩٦٧ . وقد ادى النجاح المذهل للعرب في حرب ١٩٧٣ الى عودة الروح للوطن العربي وتأكيد الذات العربية وقدرتها على القتال وعلى الانتصار ، واكدت للعالم حقيقة القومية العربية وان العرب قادرين على نبذ خلافاتهم جانبا لمواجهة العدو المشترك صفا واحدا . كما أكدت أيضا على قدرة المقاتل العربي المصري وقدرة قادته في ميدان المعركة.





وبلا شك فقد انهت هذه الحرب
الخلافات على الساحة العربية







وبعد اتمام توحيد كلمة العـرب حصلت مصر على تأيد الـدول الافريقيـة



كذلك اوضحت جليا قدرة المقاتل المصرى على وجه الخصوص والمقاتل العربى على وجه العموم على التعامل مع اعقد انواع التسليح الحديثة وتطويعها لظروف الاستخدام .

وبلا شك فقد انهت هذه الحرب الخلافات التى كانت موجودة فى الساحة العربية . وحصل العرب على تأييد معظم الدول الافريقية لقضيتهم .وكان هذا الدعم والتأييد اساسيا ليس فقط اثناء ادارة المعركة ولكن أيضا فى ادارة المفاوضات التى تبعت ذلك . كما وان الفض الناجح للاشتباك مع اسرائيل قوى وزاد من هيبة واحترام السادات وزيادة نفوذه على كل من المستوى العربى والمستوى العالمى مما اعطاه يدا قوية عند التعامل مع اسرائيل اثناء الجزء السياسى لمؤتمر السلام المقرر عقده بجنيف .

وبنبذ فكرة منع الجلوس وجها لوجه مع اسرائيل فى محادثات سلام ، فان المصريون اثبتوا أن القادة العرب عندهم من القوة التى تمكنهم من الجلوس والتفاوض مع اسرائيل والخروج بنتائج مقبولة .

ويلاحظ ان اكبر اختبار للسادات وللوحدة العربية الجديدة التي اوجدها ستجيء فيما بعد نظرا لان العرب سيحاولون الربط بين النجاح المصرى فى سيناء والمشاكل الاخرى الصعبة فى مرتفعات الجولان والمشكلة الفلسطينية ومشكلة القدس .



اثبت العرب قدرتهم على القتـــال بشجاعة





ان حرب اكتوبر قد ادت الهدف المطلوب منها سياسيا .



ب ـ ومن المحاضرة الخاصة باتجاهات التغيير تجاه الصراع ـ ردود الفعل لحرب اكتوبر فى الدول المتحدثة بالالمانية للبروفسير / لبيتر جيرليش بجامعة فيينا والتى القاها فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ بالقاهرة ـ نجد الاتى :

وهكذا يرى «هوتنجر» ان حرب اكتوبر قد ادت الهدف المطلوب منها من الناحية السياسية وقد شجعت هذه الحرب الدول العربية وبثت فيهم شعورا جيدا بالقوة ـ ومن ناحية اخرى جعلت الاسرائيليين غير متأكدين من سلامة سياساتهم السابقة .

وربما كان اكثر التحاليل عمومية هو ذلك الذى قام به Friedel . وهو المانى غربى متخصص فى مسائل السياسة العسكرية ، وهو يرى ، ان الحرب التى بدأتها مصر وسوريا بهجمة مزدوجة فى وقت واحد اذهلت اسرائيل غاية الذهول وقد مكنت المهاجمين من احراز النجاح واطلقت موجة من التضامن فى العالم العربى وبصفة خاصة كان عبور المصريين الناجح للقناة سببا فى ان تفقد اسرائيل سمعتها بانها لاتقهر .

جـ ـ ومن البحث الخاص « بالشرق الاوسط الدروس والتوقعات والبدائل العربية المتاحة مستقبلا » ـ معهد الدراسات الاستراتيجية عام ١٩٧٤ نجد الاتى :

يمكن اعتبارا ان التطور الاقتصادى والاجتماعى هو الهدف الرئيسى للسياسات العربية خلال العقد القادم . والنجاح هنا يعتمد على ازالة المواجهة والصراع ، والعمل على عزل مؤيدى الاهداف المتطرفة . واذا نجحوا فى هذا فان ذلك سيؤدى الى التقدم والى استقرار اكثر على كلا المستويات ويصبح للسياسات المعتدلة بالمنطقة تاثيرا دائما . ان الصراع العربى الاسرائيلى هو الاثر الباقى من مرحلة النضال الوطنى وهو العامل المعوق لاسباب التقدم الاجتماعى والاقتصادى .

ان ذلك الامر لم يكن يسمح لدول مثل مصر والسعودية ان تتقبل سياسة الامر الواقع فى المنطقة قبل اكتوبر .

لقد حققت الدول العربية درجة عالية من التضامن من خلال حرب اكتوبر . ومثل هذا التضامن من الممكن حدوثه اذا انهارت المفاوضات العربية الاسرائيلية حول النزاع .

د ـ ومن البحث الخاص بالشرق الاوسط والمجتمع الدولى « الصراع العربى الاسرائيلى » لمعهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن عام ١٩٧٤ نجد الاتى :

لقد ادت حرب ١٩٧٣ الى تقوية النظم الحاكمة ـ فى العالم العربى ـ وسياساتها . واثبت العرب قدرتهم على القتال بشجاعة وعلى

استخدامهم البترول كسلاح فعال . واكتسب العرب على المستوى الدولى كيانا جديدا ، واوجدت حرب اكتوبر توازنا للقوى فى العالم العـــربى . فقــد تشكل **محور القوة الجديدة من مصر والسعودية** ،وتنازلت الدول المتطرفة عن موقفها العدوانى ، وقامت اما بالدخول ضمن التوازن الجديد او اتخذت جـــانبا منه كمـــا فعلت العراق وليبيـــا . هذا وقـــد عبر التجمع الجديد عن نفســه فى اطار تحالف مرن شمل كنواة له من مصر والسعودية وسوريا والجزائر . واصبح هـــذا التحالف راغبا فى العمل على التوصل الى حـــل سياسى للمشكلة الفلسطينية . ومن الواضح ان يقبل الاعتراف باسرائيل ، ويواجه الفلسطينيين الآن قبول الدول العربية لنفس الحـــل الذى ظلوا هم والحركة الناصرية يرفضونه طوال حوالى ربع قرن . واصبح من المحتم عليهم الان ان يتقبلوا وجهة نظـــر الـــدول العربية المبنية على قبول حـــل سياسى على اساس الاعتراف باسرائيل او ان يرفضوا اى حـــل ويخاطروا بمواجهة مـــع الـــدول العربية والجبهة الجديـــدة التى يشكلونها .

ولاتزال هناك بعض المنظمات الفلسطينية ترفض مبدأ التفاوض مع اسرائيل على اساس ان الحركة الفلسطينية ستدخل المفاوضات من موقف ضعيف ، لانه لم يتم الوصول مع اسرائيل الى مرحلة الحرب الشعبية ولم يتم تحرير اى جزء من الاراضى الفلسطينية عن طريق الكفاح المسلح ولان موقفهم مقيدا بالتزام الدول العربية بقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

ان مجموعة الـــدول العربية المهتمة بالتنمية الداخلية ولهم مصلحة أكيدة فى تسوية المشكلة سوف تتجه نحو الغرب . وستلجأ هذه الدول الى الولايات المتحدة ، لنفوذها ازاء اسرائيل وذلك لاعطاء المباحثات قوة الدفع اللازمة . كما ســـتحتاج هذه المجموعة الى مســـاعدة الدول الاوربية واليابان لتوجيه الثروة الناتجة عـــن البترول نحو التقدم الاقتصادى والاجتماعى لشعوبها . وفى نفس الوقت فأن وجود الاتحـــاد السوفيتى ضرورى لاحداث توازن ولاضافة قـــوة للمزايدة فى المفاوضات والاهم من ذلك هو ضمان الحصول على السلاح السوفيتى اللازم مع توقع خـــطر تجـــدد القتال .

على آية حـــال ، فأن العرب سيزداد اعتمادهم على القوى الكبرى فى الحصول على امداد السلاح والتدريب لزيادة مقدرتهم العسكرية وبلا شك فأن القوة العربية تعتمد على موارد مالية هائلة تستطيع معها ودون اى خوف اقتصادى من وقف امدادات البترول عن الـــدول المستهلكة وبالتالى فى اشعال نيران الحرب . وربما تخطت قـــوة البترول مرحـــلة الذروة . **وايا كانت الصورة فان القوة السياسية المستمدة من ســـلاح البترول ظاهرة وقتية وسريعة الزوال .**

ولـــما كانت أوربا واليابان لا يمكنها ممارســـة دور فعال لتلبية مطالب الحـــرب السياسية ، ولـــما كان البديل لذلك هـــو حدوث مواجهة بين الدول المنتجة للبترول والدول المستهلكة ، فأن يبدو أنه من المستحسن للدول العربية تجنبها ، وان تركز العلاقات العربية ـ الامريكية على النواحى الســـياسية والعلاقات العربية والاوروبية واليابان

على النواحي الاقتصادية . وهذا لايمنع من اتخـاذ بعض الاجراءات الدبلوماسية المحدودة من اوربا واليابان للمساعدة فى تلبية مطالب العرب السياسية .

هذا ويلاحظ انه لا يمكن للاتحـاد السوفيتى ان يكون بديلا للغرب فى مجـال الاقتصاد.لان امكانيته الاقتصادية محددة كما انهليست لديه اسواق للبترول العربى. وسياسيا يمثل الاتحـاد السوفيتى مصدرا بديلا لتأييد العرب واهدافهم السياسية وورقة للمساومة السياسية وموردا رئيسيا للسلاح .

ان الخليج الفارسى هو مسرح الخلافات العربية والصدام المتوقع مـع قـوة كبرى اقليمية غير عربية وهى ايران . وهذه المجابهة يمكنها ان تكون معالم مشابهـة للصراع العربى الاسرائيلى وتؤثر على سياسات دول الشرق الاوسط خلال العقد القادم.

ان ايران تعتبر البادئة الى حـد كبير . فقـد جعلت ايران من نفسها فى السنوات الاخيرة القـوة المهيمنة على الخليج ، وهى على وشك ان تبسط نفوذها على المحيط الهندى لتأمين شرايين تجارتها فى الخليج ومـا وراءه . وهى تهدف بذلك ان تصبح قـوة عظمى اقليمية فى المنطقة .

ان سياسة ايران الخارجية تهدف الى الابقاء على الوضع الراهن فى الخليج وتنشر نفوذها فى هذا الاطار . **وهذا يشمل عزل واحتواء القـوى المتطرفة فى الخليج (مثل العراق واليمن الجنوبية) ومحاولة اضعافهم (مساندة سلطان عمان ، تغذية التمرد الكردى تقوية الخـلاف بين اليمن الشمالية والجنوبية) .**

ان تسلل ايران الدبلوماسي والاقتصادي في العالم العربي والذى ادى الى تفاقات هامة مع دول مثل مصر وسوريا ، يمكن تفسيره على انه محاولة لاكتساب الدول العربية .

هذا وترفض كل من السعودية والعراق بسط النفوذ الايرانى على الخليج . وكلاهما يقوم بتدعيم قوته العسكرية كرد فعل لصفقات السلاح الضخمة التى عقدتها ايران .

وعلى اى حال فأن الدولتين لهما اهداف مختلفة ومتعارضة . **وعلى العموم فان الوضع السعودى الجديد فى العالم العربى لا يمكن ان يذعن لمحاولات ايران النشطة لفرض سيطرتها على الخليج .**

ان القوة الحقيقية التى يمتلكها العالم العربى الان تتمثل فى اعتماد الغرب على بتروله وهى تعتبر قوة مدمرة يمكنها ان تفجر اضطرابا اقتصاديا واجتماعيا خطيرا على كافة المستويات غير ان ذلك سيسبب ايضا اضرارا بالغة للعرب . ولكن قد يضطرهم اليأس والفشل فى تحقيق اهدافهم السياسية الى استخدام قوتهم البترولية . لهذا فانه من مصلحة العالم الصناعى ان يساعد فى حل مشاكل العالم العربى ومعاونته فى التنمية بأقصى فاعلية ممكنة .

هـ ــ هذا وقــد ورد الاتى بعد فى البحث الذى القــاه ادجار اوبالنس فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عــام ١٩٧٥ :

« كانت الاستراتيجية العربية قبل حرب ١٩٧٣ ضعيفة ومذبذبة . وكانت قضية فلسطين ما هى الا للتفرقة بين الدول العربية اكثر ماهى عامل لتوحيدها وكان الخلاف يتمثل فيما اذا كانت وسيلة حــل هذه القضية هى القوة او شيء آخر . ليست لدى العرب حتى الآن استراتيجية موحدة مقبولة من الجميع ، اذا استثنينا الاتفاق العربى العــام على فرض حظر البترول عن كافة الدول التى تساعد اسرائيل فى اى نزاع ينشب فى المستقبل بينها وبينهم . وقــد اتضحت قــوة هذا الحظر بما فيه الكفاية فى عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . ويبدوا الان ان الهــدف الاصلى العربى قــد تعدل فاصبح تحرير الاراضى المحتلة . وليس هناك الا القليل من الحكومات العربية التى تقبل ان تأخذ على عاتقها شيئا اكثر من هذا فى الوقت الحالى ، فى حين انه قبل حرب اكتوبر كان مفهــوم الهــدف العربى لايقتصر على تحرير الاراضى العربية المحتلة ، وانما يشمل ضرورة تصفية دولة اسرائيل . وثمة اتفاق بين الحكومات العربية على تأييد فكرة انشاء دولة فلسطينية عربية وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم ، الا ان هناك اختلافا فيما بينها على وسيلة تحقيق هــذا الهدف » .

و ـ ومن البحث المقـدم من الدكتور بطرس غالى فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عـام ١٩٧٥ ورد الاتى :

وجاء نشوب حرب ١٩٧٣ ليفتح الطريق امام تحالفات جديدة للقوى فى العالم العربى . ويتمثل محـور او نواة هذا التوازن الجديدة فى الائتلاف بين ثلاثة دول هى **مصر والسعودية والجزائر** ، بينما تلعب سوريا دورا هامشيا فى هذا التوازن مع **وجود علاقة خاصة بين مصر والسعودية**. ويمكن تحديد اساس هذا الائتلاف فى ثلاثة اعتبارات :

اولها : ان هدف تحقيق الوحدة العربية من خلال الثورة قـد توارى فى هذه المرحلـة لتحـل محله مفاهيم التعايش السياسى والرغبة العملية فى التعاون الاقتصادى .

وثانيهـا : وجـود الرغبة المشتركة فى العمل للوصول الى حـل سياسى للمشكلة الفلسطينية .

وثالثهـا : ان اى تسوية دائمة فى الشرق الاوسط يجب ان تدخل فى اعـتبارها حـق الفلسطينيين فى تقرير المصير . وعلى هـذا الاساس اعترف مؤتمر قمـة الرباط فى نوفمبر ١٩٧٤ بمنظمـة التحريـر الفلسطينيـة **كممثل شرعى ووحيد للشعب الفلسطينى** .

وكانت محصلة هذه التطورات هى تغيير فى المواقف العملية لمختلف البلاد العربية فبرزت هناك ما تسمى بجبهة الرفض . والتى تمثلت فى العراق وليبيا



اعترف مؤتمر القمة فى الرباط فى نوفمبر ٧٤ بمنظمة التحرير كممثل شرعى واحد للشعب الفلسطينى

واليمن الجنوبية ، التى عبرت عن ضرورة استمرار الصراع المسلح ضد اسرائيل ولكنها لم تتمكن من أن يكون لرأيها صدى واسع أو أن تقيم تحالفا قويا بينها . ويمكن ان نرجع هذا العجز الى عاملين :

الاول : هو عدم اشتراك هذه البلدان فى حرب اكتوبر الامر الذى قلل من صدق موقفها ازاء الراى العام العربى خاصة ان ايا من هذه البلاد ليس له حدود مشتركة مع اسرائيل .

والثانى : هو انه من الناحية الواقعية فان الائتلاف الجديد لمصر والسعودية والجزائر قد سيطر على ناحية الراى العام العربى .

ويمكن تلخيص مضمون السياسة التى يقوم عليها التوازن الجديد فى ان هناك اتجاها عاما بين اغلبية العرب للوصول الى تسوية سياسية للمشكلة الفلسطينية يرتبط بذلك الرغبة فى تقليل الوجود والنفوذ السوفيتى فى المنطقة والعودة الى تأكيد أكبر على سياسة عدم الانحياز

ز ــ ومن البحث الخاص بالآثار السياسية لحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ــ للدكتور احمد صدقى الدجانى فى ندوة اكتوبر ١٩٧٥ يتبين الاتى :

وعلى الصعيد العربى ظهرت للحرب نتيجة ايجابية على النفسية العربية بفضل بروز الانسان العربى كمقاتل شجاع ، مسح كل ما لحق به

من تشويه نتيجة حرب ١٩٦٧ ، وظهور قدرة الشعب العربى على العطاء وتحمل ثمن الحرب وتجسيد الوحدة القومية ابان الحرب فى صور كثيرة وقد اعاد ذلك كله للانسان العربى الثقة بنفسه وكشفت عن امكانياته لحمل مسئولياته كاملة ، واكدت له قدرته على استرجاع حقه واحتلال مكانه فى العالم المعاصر .

وعلى الصعيد العالمى تغيرت النظرة للعرب من اصدقائهم واعدائهم على السواء وبرز التعبير عن هذه النظره بلغة اقرب الى الانصاف . وبدأ التحول فى مواقف بعض الدول من الصراع ، وتردد الحديث عن امكانات التعاون بين الوطن العربى وهذه الدول . وفى الوقت نفسه تغيرت نظرة العالم لاسرائيل فتساقطت عنها هالات كثيرة احاطت بها وتخلصت من المبالغة فى تقديرها فبدت له اقرب إلى حجمها الطبيعى .

واذا كانت حرب العدوان الثلاثى على مصر العربية عام ١٩٥٦ قد شهدت بداية دخول العرب كقوة مؤثرة فى الحسابات الدولية لاول مرة فى تاريخهم الحديث واعتبرت نقطة التحول الاولى لهم على المستوى الدولى العالمى ، فان حرب اكتوبر شهدت دخولهم فى هذه الحسابات بحجم اكبر . ومن ثم فهى تعتبر نقطة التحول الثانية ، وبداية مرحلة جديدة فى مشاركة العرب فى رسم الصورة الدولية وستكون لها نتائجها الكبيرة فى توصل العالم إلى صيغة افضل للعلاقات الدولية وبناء مستقبل

افضل للانسانية لو ان النضال العربى فى هذه المرحلة تحمل مسئولياته كاملـــة .

وقد ورد الاتى فى الدراسة التى قدمها مستر كينث هنت عـام ١٩٧٥ فى ندوة اكتوبر بالقاهرة (عن الاصداء الاستراتيجية لحرب اكتوبر ١٩٧٣):

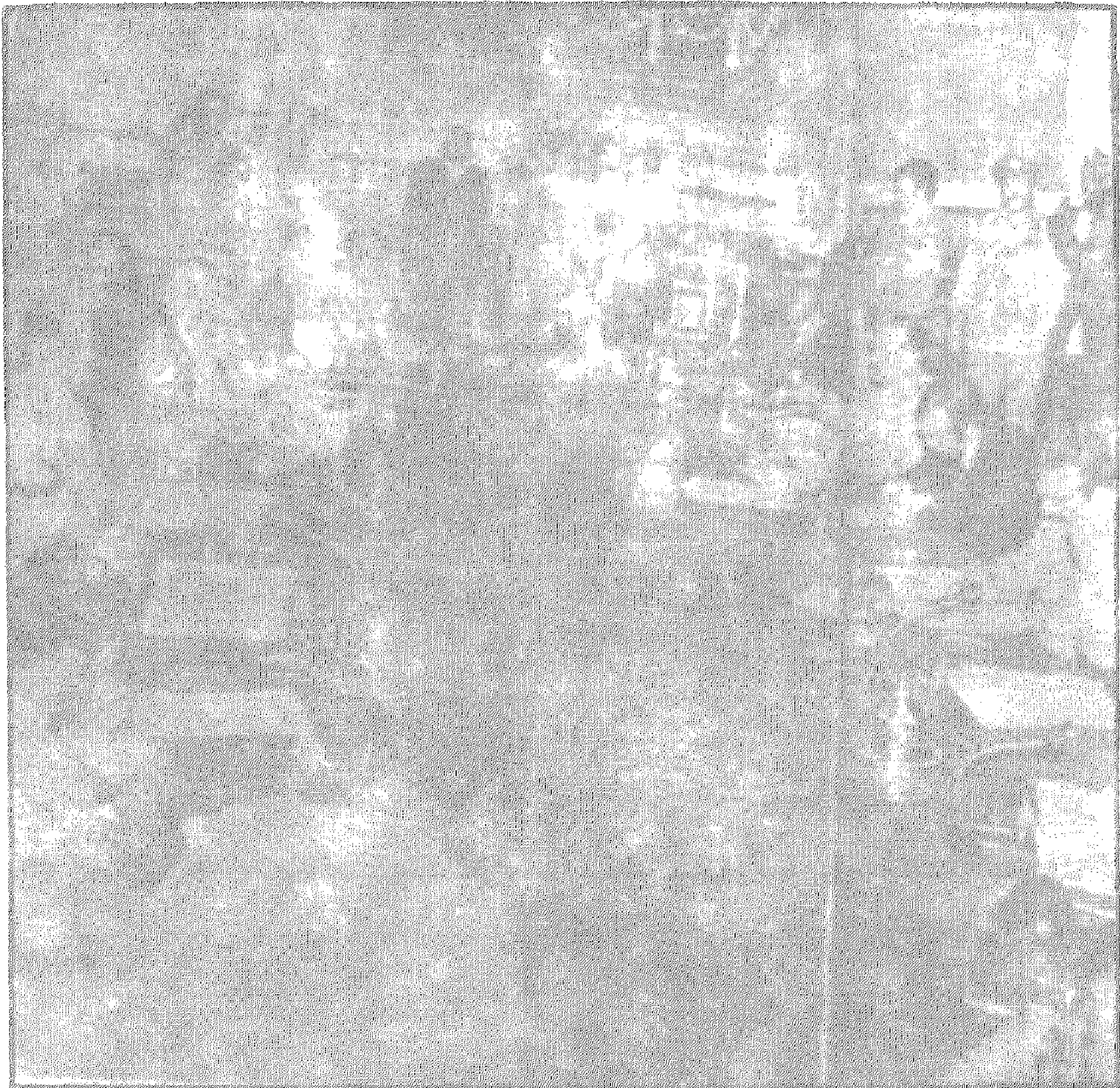
لقــد كانت اوجه الانفاق والخسائر جسيمة فى النواحى المادية لذلك اصبح الدعم الخارجى ضروريا لاستمرار الحرب ، والتخطيط لاى حرب فى المستقبل سيكون بلاشك مشروطا بمستوى تخزين مناسب لهـا من المهمات والمعـدات الحربية ، وكـذا بامكانيات مواجهة معدلات الخسائر المتوقعة .

وعلى الرغم من تقدم بعض الصناعات الحربية بالعالم العربى الا ان الاسلحة فى كل الاحوال سواء من الطائرات او الدبابات او الصواريخ بكل الانواع ظلت تأتى من مصادر خارجية . ولسوف يستمر الحال كذلك لعـدة سـنوات .

ولا شك أن — مثل هــذا الوضع — من شأنه ان يعطى نفوذا عظيما للموردين الاساسيين وهما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى .

ان الاعتماد على المصادر الخارجية بهدف الحصول على نظم التسليح المطلوبة قــد يحمل فى طياته ثمنا سياسيا معينا .

لذلك فانه يمكن القول انه في ضوء هذه الافكار بالنسبة للسيطرة على تجارة السلاح بصورة او بأخرى وبالامداد به يصبح تصنيع نظم التسليح المطلوبة للدفاع محليا في الوطن العربي امرا في غاية الاهمية ، وكان هذا هو ما فطنت له الدول العربية بعد حرب ١٩٧٣ مباشرة ، واشتراك اربع دول منها هي مصر والسعودية وقطر والامارات في انشاء الهيئة العربية للتصنيع كدعامة للصناعات الحربية المتطورة وخاصة تلك التي نجد كدول عربية صعوبات في الحصول عليها او مفروض عليها حظر التوريد لنا ، وهي صناعة الطائرات وصناعة نظم التسليح الخاصة بها وكذا صناعة الصواريخ بأنواعها والمركبات بانواعها ... الخ ولكن كانت نظرة بعض هذه الدول الاربع غير استراتيجية لانه ونتيجة للاختلاف في الاسلوب التكتيكي لحل مشكلة الشرق الاوسط وبضغط غير واعي من دول الرفض تحطم هذا الامل او الحلم الاستراتيجي للامة العربية في اقامة صناعة عربية متطورة للتسليح واعلنت ثلاث دول من هذه الدول الاربع انسحابها من هذا الصرح الصناعي الكبير وهو الهيئة العربية للتصنيع تاركة مصر بمفردها تتحمل مسئوليتها القومية والعربية لاستمرار نشاط هذا الصرح والابقاء على امل العرب جميعا نابضا ومتطورا يملؤه النشاط والحيوية .. وتناست الدول الثلاث هذه في لحظة غضب منها او لحظة ضغط دول الرفض عليها ــ تناست ان هذه الدول التي تضغط عليها للانسحاب من هذا الصرح تضغط ليس بسبب الخلاف في الاسلوب التكتيكي لحل الازمة بقدر ماكان اساسه كرهها وبغضها لنجاح دول عربية اربعة في اقامة هذا الصرح . رغما عن المعوقات التي اقاموها والمشاكل التي وضعوها امام تنفيذه اثناء المناقشات والدراسات



ان سلاح البترول العربي والارصدة العربية هما مصدرين من مصادر القوة العربية

السابقة للاتفاق الرباعى — والتى تمت فى جامعة الدول العربية لاقامة مثل هذه الصناعة القومية تشترك فيها جميع دول الجامعة العربية .. وتناست هذه الدول الثلاث انهم ومعهم مصر كانوا قد تصدوا لهذه المعوقات والمشاكل وقرروا فيما بينهم تحمل المسئولية القومية العربية على عاتقهم هم وحدهم لاقامة صرح الصناعات الحربية العربية المتطورة وتحقيق امل غالى لكل الشعوب العربية والصديقة .. ولكنهم وللاسف ومع حسن نواياهم وقعوا فى شباك مصيدة الحقد والغضب والرفض التى نصبها لهم من سبق لهم رفض هذا المشروع القومى فى الجامعة العربية ، ووجدوا الفرصة سانحة لهم عام ١٩٧٨ لينفثوا فيها سموم حقدهم وللاسف ابتلعت هـــذه الدول الثلاث هــذا السم فى كأس قالوا لهم عنه انه كأس الوطنية والصمود وكان واقعه المر انه كان كأس الحقد والرفض لكل شىء وحتى لو كان ذلك فى صالح العرب .

ان سلاح البترول العربى والارصدة العربية هما من مصادر القوى العربية ومهما يثار من جدل حول قوة سلاح البترول فى المستقبل بجانب مصادر الطاقة الاخرى الجديدة هو قول لايعول عليه لان البترول علاوة على كونه مصدرا للطاقة فهـو اساس لصناعة البتروكيماويات التى تدخل فى معظم الصناعات الحديثة علاوة على ذلك حاجة العالم المستمر الى المزيد من الطاقة بدليل انه لم يحدث ابدا ان الغى مصدر طاقة حديث مصدر طاقة قديم والدليل على ذلك ماحدث عنـد اكتشاف البتـرول فانه لـم يلغـى استخـدام الفحـم كمصـدر للطـاقة وها نحن بصدد انشاء محطة كهرباء تدار بالفحم فى سيناء وبالنسبة للطاقة الذرية فان العالم العربى ينتج حوالى ثلث فوسفات العالم وكما نعلم فـأن الفوسفات

يعتبر مصدر رئيسي لخام اليورانيوم الذى يصنع منه الوقود النووى وسيصبح هذا مصدر قوة اخرى للعرب فى مجال الطاقة .

واضافة الى ذلك من مصادر القوى لدى العرب هناك ارض الحبوب الخصبة فى السودان ومصر وتونس والجزائر والمغرب والعراق التى يمكن ان يكون لهـا دورا هاما فى حرب الحبوب فى نهاية هـذا القرن .

٢ ــ النتائج والانعكاسات على اسرائيل :

وبالنسبة لاسرائيل فأن حرب عام ١٩٧٣ قد اثرت تأثيرا عنيفا على اسرائيل وقد ذكر مستر كينيث هنت فى الدراسة التى قدمها عام ١٩٧٥ فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عن (**الاصداء الاستراتيجية لحرب اكتوبر**) بأنه كانت الصدمةالنفسية التى حدثت نتيجة لحرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ــ التى لم تكن متوقعة ابدا ــ هائلة واحدثت اثرا عميقا فى اسرائيل . واظهرت مدى ثمن الأخذ على غرة دون استعداد ، لقد تحقق عنصر المفاجأة نتيجة للخداع ، ولقد تمت عملية عبور القناة ــ وهى عملية معقدة ــ بكفاءة واسلوب مذهل مما اذهل الاسرائيليين واصابهم بالشلل الفكرى فى الساعات الاولى لنشوب القتال .

لقد حدثت هزة قاسية فى اسرائيل . لقد استفادت دروسا من حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ ، مثلما استفاد العرب الدوس من حرب يونيو عام ١٩٦٧ .

وفى مجلة اسبوع الطيران ، عددها الخاص بالقوى الجوية فى الشرق الاوسط عـام ١٩٧٤ نجـد الاتى :

عندما زرنا اسرائيل لاخر مرة عـام ١٩٧١ وجدناها تعيش فى ازدهـار اقتصادى وسياسى وعسكرى ، نتيجة لانتصارها فى حرب الايام السـتة عام ١٩٦٧ . ولكـن صدمة الانقضاض العربى المزدوج فى يوم الغفران ١٩٧٣ نسف هذا الازدهار وهبط باحلامها الى الواقع المـر .

ان اسرائيل تواجه الان مشاكل عسكرية اصعب مما واجهته من قبل واصبحت الحرية التى كانت تتمتع بهـا قبل ذلك فى العمل ، والتى تعتمد فيها بالكامل وبحبل سرى على المساعدات العسكرية الامريكية ، محدودة بالقرارات التى يتفق عليهـا بين القوتين العظميين ، اللتين وضعتا مشكلة الشرق الاوسط داخل اطـار التوقف petente

ان الانتصار الاسرائيلى الذى ازدهر خـلال ايام الانتصار عـام ١٩٦٧ قـد استـ خـلال الثلاث اسابيع من المعارك الضارية عام ١٩٧٣ . وتستنفد ميزانية الدفاع الاسرائيلى الان اكثر من ثلث دخلها القومى .

ان جنودها المحنكين الذين امضوا معظم ايام حياتهم يحاربون لانشاء والمحافظة على دولة اسرائيل ، يشـاهدون الان سحب المستقبل .

لقـــد قال لى احـــد رجال المدفعية القدماء الذى مات ولده فى حرب اكتوبر **اننا فخورين بحروبنا طوال هذه السنوات للبقاء على اسرائيل ، ونحن نعرف ان هذا كان مناسبا لاجل الاجيال فى المســـتقبل ولكن الان فاننا نرى ان الاجـــيال التالية ستستهلك ايضا ولك ان تتخيل الى اى شيء سيؤدى ذلك .**

لقـــد كشفت تقارير لجنة اجرانات ان المجتمع الاسرائيلى لم يعلم مسبقا بما كان يجرى حتى كان اختراق المدرعات العربية وتحطيم الصواريخ لحاجز الوهم الذى الذى كانوا يعيشون فيه .

لقـــد محت حرب اكتوبر كل التكتيكات والســـياسات القديمة لتطوير شيء جديد من هذا المستقبل لدولة اسرائيل والان فاننا نجد ان كل هـــذا مازال يحبو نتيجـــة لمـــا تم فى اكتوبر ١٩٧٣ .

وكذا ومن البحث المقدم من ادجار او بالانس فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ نجـــد الاتـــى :

وبالنسبة لاسرائيل فأن الحرب احدثت تغييرا تاما فى استراتيجيتها . اذ قذفت بها بقوة من موقف الهجوم الى موقف الدفاع ، اذ كانت تتخذ وضعا عسكريا هجوميا منذ نشأتها . بل ان الاركان العامة الاسرائيلية لم تعبأ بالتفكير فى الوضع الدفاعى . فى يوم من الايام . ومن ثم لم يكن هناك فى اسرائيل موقع دفاعى واحـــد

حتى كانت حرب اكتوبر ١٩٧٣ التى تم فيها مهاجمتها على غـرة بحملة عسـكرية شديدة العنف . وقـد اكتسبت اسرائيل تفوقا عسكريا لايتناسب مع قلة عـدد سكانها ، وذلك بفضل المعونات الخارجية (التى كانت امريكا مصدرها الرئيسى فى الفترة الاخيرة) والاسلحة المتطورة التى تحصل عليها دائما قبل أن تحصل الدول العربية على مثيلاتها .

وفى اطار نظرية الهجوم كان الطيارون وقادة الدبابات الاسرائيليون يعدون اهم الرجال فى جيش الدفـاع الاسرائيلى كمـا كانوا يعدون ايضا الابطال ذوى الادوار الحربيـة المجيدة .

ومع كل ذلك ذاق الاسرائيليون طعم الدفـاع الذى اضطروا اليه عندما اقتضى الامر تعزيز خط بارليف ولكنهم رفضوا قبول الدفاع كنظرية واجبة الاتباع . واكتفوا باعتبازه عنصر ازعاج عسكرى مؤقت وكانوا يتجاهلونه دائما قـدر الامكان .

وفى الايام الثلاثة الاولى من حرب اكتوبر حدث على الجبهة المصرية ؛ ان قـام قـادة المدرعات الاسرائيلية بشن الهجوم بسرعة فائقة على المصريين لمحاولة ارهابهم واضطرارهم للفرار . وكانوا يهاجمون بلا هوادة ، الا انهم كانوا يفشلون فى كل مرة ويصابون بخسائر جسيمة . ودمرت آكثر من ٢٥٠ دبابة اسرائيلية على ايدى المشاة المصريين الذين صمدوا فى الصحراء المكشوفة . وعند ذلك ادرك الاسرائيليون بعـد ان تكبدوا هذه الخسائر ان وضعهم الهجومى ليس الا عـملا انتحاريا . وبالنسبـة

للطيران ، حصل بالاسرائيليين نفس المصير اذا تمكنت وسائل الدفاع الجوى المصرية من اسقاط مايقرب من اربعين طائرة اسرائيلية فى اقل من ساعتين . مما جعل سلاح الطيران الاسرائيلى يسارع بوقف كافة العمليات فترة من الوقت (لكى يفكر فى استخدام تكتيكات جديدة) . وبعد ان وصلت الى اسرائيل وسائل الكترونية مضادة على وجه السرعة من امريكا على متن طائرات العال الاسرائيلية ، بدا الطيارون الاسرائيليون فى تجنب شبكة الدفاع الجوى المصرية . ومرة اخرى تبين لهم ان الاستراتيجية الهجومية عمل انتحارى فى الجو .

ولم يعد الجندى الاسرائيلى يتقدم للامام وهو واثق ان العرب سوف ينسحبون تلقائيا قبل ان يقترب منهم . وسرعان ما ادرك أن الدفاع اصبح حيويا لبقائة على قيد الحياة . وعلى سبيل المثال فأن القوة الاسرائيلية التى تسللت الى الضفة الغربية لقناة السويس كانت تتحرك ببطء وحذر على العكس تماما من تصورنا لطابور مدرع يجب عليه أن يزحف مسرعا عبر الصحراء وفى الليل كانت الدبابات تتكدس فى مجموعات وتبث عددا هائلا من الالغام حول نفسها لكى توفر لنفسها قدرا من الحماية يزيد عما تحتاج اليه فى حقيقة الامر مما كان يعتبر الغاء لقدرتها على الحركة وعندما اضطر الاسرائيليون لترك الضفة الغربية ذكر سلاح المهندسين المصريين انه قام برفع اكثر من ثلاثة ارباع مليون لغم اسرائيلى من المنطقة التى احتلها الاسرائيليون فترة وجيزة .

وبعد حرب اكتوبر اصبح الاسرائيليون مقتنعين تماما بضرورة التفكير بعقلية دفاعية .

وعلى الرغم من ان الدفاعات الخطية القوية تعتبر تقليدية ومن طراز قديم وباهظة التكاليف وتمتد على مسافات طويلة ، الاانها اصبحت اليوم الشغل الشاغل للفكر العسكرى الاسرائيلى ، لكن تحول دون تكرار مافعله العرب بهم فى الحرب الاخيرة، ولذلك فأن استراتيجية اسرائيل الان أصبحت تقوم على غرار خط ماجينو بـل ان اسرائيل تقف حاليا من عدة نواحى فى نفس الموقف الذى كانت تقف فيه فرنسا فى عام ١٩٣٩ .

وعندما اضطر الاسرائيليون بعد ابرام اتفاقية سيناء ــ التى رتب لها كيسنجر وزير الخارجية الامريكى ــ للانسحاب ممايسمى بالخط الاخضر على امتداد تسعين ميلا اخذوا معهم كل مايمكن نقله مثل الالغام والاسلاك ودمروا ماتعذر نقله وعلى بعد اميال قليلة اعادوا بناء خط جديد يسمى بخط سيناء وجعلوه اقوى من الخط السابق اذا انشاوا به دشما وطوابى من الخرسانة خلفها دفاعات معاونة لتعزيزها .

ومن ناحية اخرى فان المدنيين والعسكريين على حد سواء فى اسرائيل قد اصيبوا بصدمة شديدة فى حرب اكتوبر وسوف يحتاجون الى فترة من الزمن لكى يفيقوا من اثار هذه الصـــدمة . وقـد لاتصل اسرائيل فى اى وقت من الاوقات الى قمة الغرور الاعمى التى كانت قد وصلت اليها قبل اكتوبر ١٩٧٣ . فقد بددت هذه الحرب الاوهام والاساطير الاسرائيلية وقضت على حساباتهم الخاطئـة وبثت فى نفـوس الاسرائيليين قلقا وشكوكا ومخاوف لم يكن لهم عهد بهـــا .



ومن ناحية اخرى فان المدنيين والعسكريين فى اسرائيل

قد اصيبوا بصدمة شديدة فى حرب اكتوبر

لقد بثت حرب اكتوبر فى نفوس الاسرائيليين مخاوف جديدة مخاوف لم يعهدوا مثلها من قبل فقد اصبحوا يخشون ان يعاود العرب الهجوم عليهم ويخشون أن يجتاح العرب دفاعاتهم مرة أخرى ويخشون أن يضطر جنودهم للتقهقر مرة أخرى ويخشون الضرب والدمار ويخشون نشوب (جولة اخرى) تتعرض فيها المراكز السكانية لقصف الطائرات فتلحق بهم خسائر فادحة فى الارواح وكذلك بثت الحرب فى نفوسهم شكوكا فى حكمة وقدرة قادتهم العسكريين والسياسيين وفى عصمتهم من الخطأ وفيما اذا كانت امريكا ستستطيع ان تزود اسرائيل بالعتاد الحربى فى الحرب القادمة ، وفى صحة الاستراتيجية وا سياسات التى تنتهجها بلادهم ، وفيما اذا كان يمكنهم تحمل اثار حظر البترول العربى ، وفيما اذا كانت ايران او اية دولة اخرى ستظل جارا ودودا لهم .

وفضلا عن هذا بثت حرب اكتوبر قلقا جديدا فى نفوس الاسرائيليين الذين اصبحوا الان يشعرون بالقلق لان صوت العرب اصبح يحقق بعض النجاح فى منافسته لصوت الصهيونية فى الغرب ويشعرون بالقلق من اقتصاد الحرب ، ومن ارتفاع نسب الضرائب التى يدفعونها ، من الازمات الاقتصادية وطول مدة الخدمة العسكرية وانخفاض ارقام الهجرة الى اسرائيل ، وارتفاع الهجرة منها ، وتدهور النشاط السياحى والقلق من ضرورة اعتمادهم على امريكا ومن انه لم يعد امامهم دولة صديقة أخرى فى العالم يمكنهم الاعتماد عليها والقلق مما يمكن أن تنتهى اليه الامور فى يوم من الايام لقد كانت الرقابة الشديدة على وسائل الاعلام فى وقت الحرب تحجب اسوأ الاخبار عن الشعب او على الاقل تخفف من وقعها او تتاخر فى اعلانها وربما ينتابهم الشك والشك يولد القلق مما يعنى ان الروح المعنوية الاسرائيلية ليست كما كانت من قبل .

ومن محاضرة نظرية الامن القومى الاسرائيلى للـواء الركن متقاعد / يوسف كشوش الاردن فى ندورة اكتوبر ١٩٧٥ نتبين الاتى :

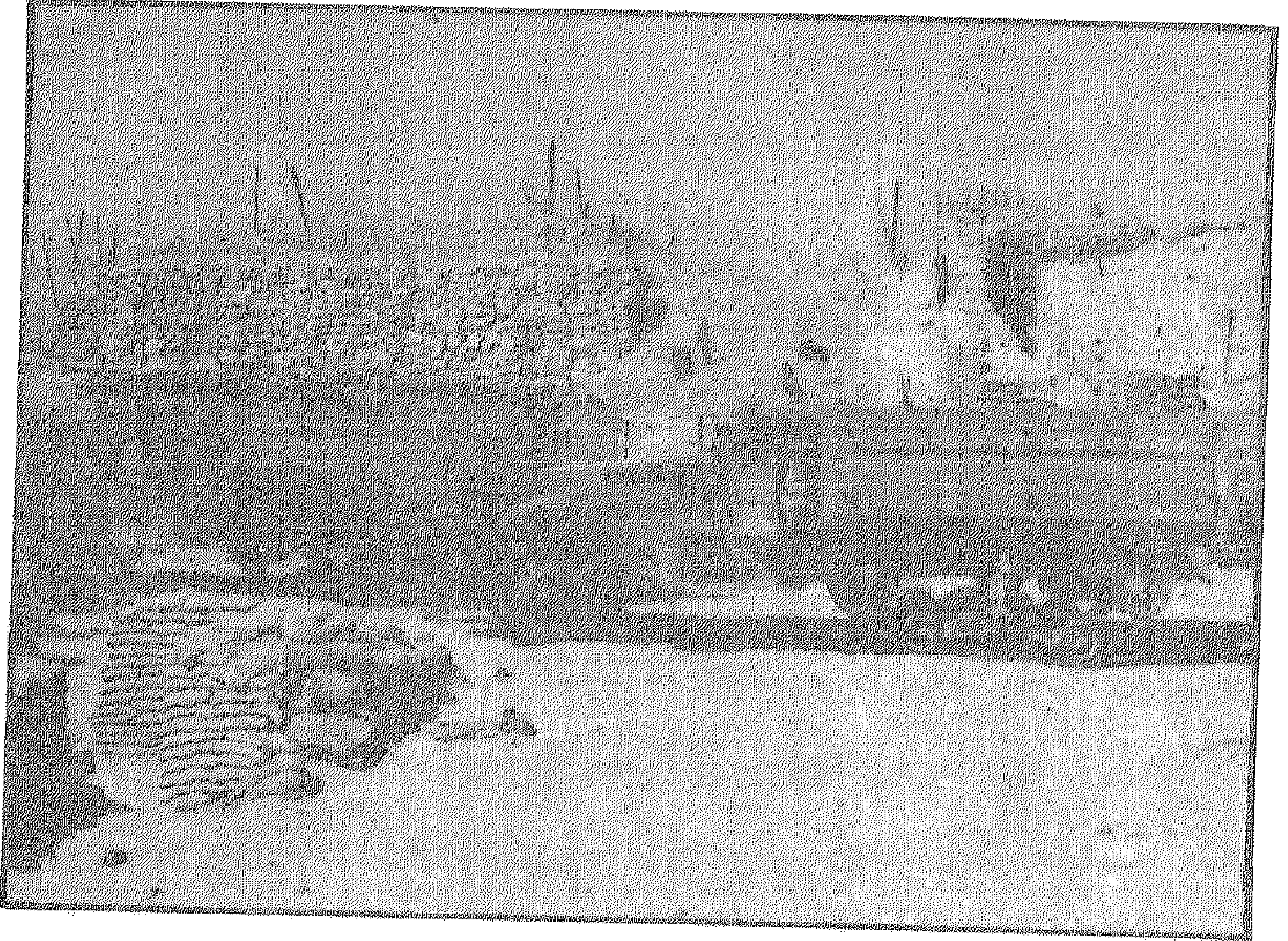
لقد قضت حرب أكتوبر ١٩٧٣ على نظرية الامن الاسرائيلية بمرتكزاتها الاساسية تقريبا وادعت اسرائيل انها قبلت التخلى عن بعض مرتكزات استراتيجيتها فالمستعمرات التى انشئت فى مرتفعات الجولان لتسهم فى الدفاع عن اسرائيل ، اخليت بسرعة ، كما تم اخلاء شرم الشيخ من السكان المدنيين ، عندما تبين أن المصريين دفعوا بمجموعات من قوات الصاعقة الى هذا القطاع ، وكان المفروض ان ميناء شرم الشيخ قد اصبح يكون ذا اهمية استراتيجية رئيسية ، لانه يشرف على مدخل البحر باتجاه خليج العقبة ، الذى يقع فيه ميناء ايلات المنفذ الرئيسى لاسرائيل الى اسيا وافريقيا الشرقية ولكن نظرة بسيطة الى الخريطة تكفى لتبرهن ان البحر الاحمر يمكن اغلاقه كلية من مضيق باب المندب فى أقصى الجنوب ، وهذا ماحدث عندما نشبت الحرب ، فقد سيطرت على هذا المضيق القوات البحرية المصرية ، وكان اغلاق مضيق باب المندب من قبل البحرية المصرية ضربة استراتيجية لم ترد على تفكير قادة اسرائيل ، وطوال فترة العمليات الحربية فى حرب اكتوبر ، لم تدخل البحر الاحمر سفينة اسرائيلية واحدة ، كما لم تخرج منه سفينة منها .

اما نظرية الحدود الامنه فقد سقطت تحت اقدام القوات العربية فى بضع ساعات وهذا نتيجة لقيام جيشين عربيين بخطة واحدة للعمل .

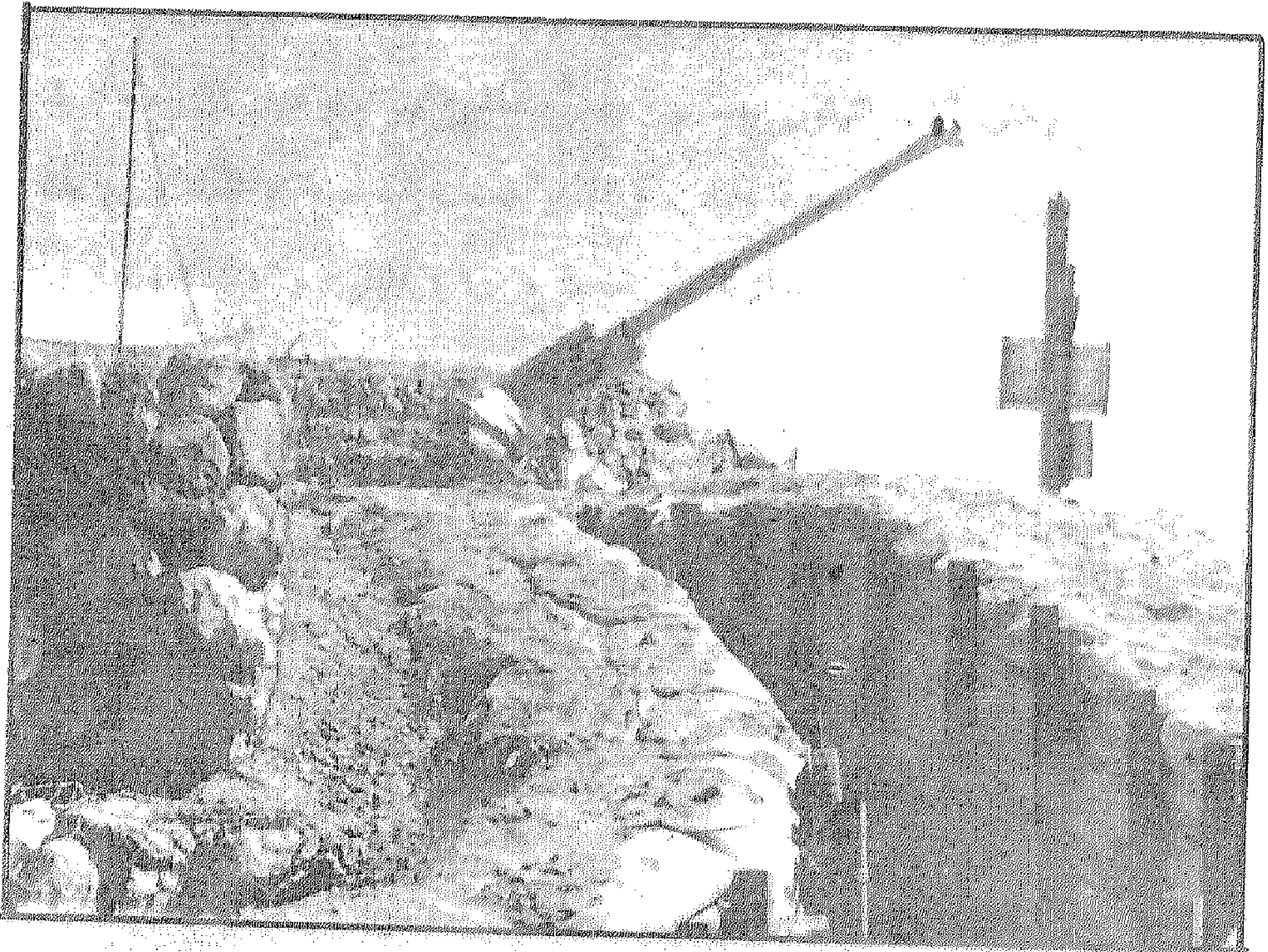
لقد انتصر الجيش الاسرائيلى فى حرب الخامس من يونيو ١٩٦٧ بسبب قدرته على سرعة الحركة ، والان قضت الصواريخ الضادة للدروع على سرعة الحركة التعبوية كما قضت على سرعة الحركة الاستراتيجية ، وبذلك فقدت القوات الاسرائيلية سرعة الحركة ، وهكذا تعطلت عقيدة الحرب الخاطفة التى تبناها الجيش الاسرائيلى .

والحقيقة فقد تمكنت القوات العربية من ايقاع الفشل بالعقيدة القتالية للقوات الاسرائيلية فى حرب اكتوبر ، وعجزت اسرائيل عن احراز التفوق الذى كانت تحصل عليه فى الجولات السابقة مع العرب ، وصارت المعطيات الجديد فى الجانب العربى تعمل على تعطيل الاستراتيجية الاسرائيلية بقواعدها الاساسية ، ففقد الجيش الاسرائيلى ميزاته الرئيسية فى حرب اكتوبر ، واولها سرعة الحركة على المستويين الاستراتيجى والتعبوى ، وكذلك فعالية سلاح الطيران الذى كان العامل الحاسم فى حرب يونيو عام ١٩٦٧ وطوال الفترة التى سبقت حرب اكتوبر ، وهبطت فعاليةالمدرعات الى درجة خطيرة ، وتكفلت الصوايخ الحديثة المضادة للطائرات والدبابات بهذين السلاحين (الطائرات والمدرعات) وبذلك تجمدت عقيدة (الحرب القصيرة الحاسمة) او الحرب الخاطفة ، نتيجة لشل الطيران والمدرعات وهما السلاحان الرئيسيان لاسرائيل فى الحرب الخاطفة .

اما الخطوط الدفاعية والتحصينات القوية فى كل من خط بارليف والجولان فلم تغن شيئا « اذا تمكنت القوات العربية من اقتحامها واكتساحها فى ساعات محدوده



اما الخطوط الدفاعية والتحصينات القوية فلم تغن شيئا



لقد هزت حرب اكتوبر الامن الاسرائيلي هزاً عنيفا، واتضح ان الجيش الاسرائيل لم يعد يتمتع بالتفوق الساحق الذي كان يتمتع به سابقا ، وهذه حقيقة لاجدال فيه اعترف بها الاسرائيليون انفسهم وفهموها جيدا ، ولاشك أنها ستدفعهم الى المغالاة فى طلب الامن . والتشدد فى كافة المشاكل التى بينهم وبين العرب ، ولو استغرق ذلك سنوات طويلة ليزيدوا طاقاتهم العددية عن طريق آلاف المهاجرين ، لأن التفوق العدد العرب يقض مضاجعهم ، ويناقض جميع حساباتهم مهما تفوقوا تكنولوجيا .

لقد ساور الشك شعور الاسرائيليين باسطورة عدم امكان التغلب عليهم وادرك ان العرب قادرون على خوض الحرب والقتال بفاعلية مذهلة . لقد كانت الدوا الاسرائيلية المسئولة تكرر القول دائما بأن اسرائيل اصبحت محاطة بحدود آم عسكريا : قناة السويس . نهر الاردن والجولان . وفجأة اكتشفت الجماهير الاسرائيل ان هذه الحدود ليست آمنة كما اعتقدوا . وليست مضمونة كما اقتنعوا . واظهرت حر اكتوبر ان **العرب قادرون على التخطيط والحرب واتخاذ المبادأة والقتال ببسال نادرة والتضحية** . وكان الاسرائيلون يتباهون دائما بطيرانهم وقواتهم المدرعة ، لـ الحرب جعلتهم يتكبدون خسائر فادحة جدا . وكانت حسب احصاءات البنتاجون خلا الحرب تتراوح من ٢٠٠ الى ٢٥٠ طائرة من مجموع ٤٩٠ طائرة و ١٠٠٠ دبابة مـ مجموع ١٩٠٠ (اى نصف قواتهم الضاربة) دون تحقيق نصر عسكرى يبرر هذه الخسـ

وكانت اسرائيل تدعى استطاعتها الدفاع عن نفسها دون مساعدة خارجية ، وا الجماهير الاسرائيلية تبينت ان دولتها كانت على شفا الانكسار لو لم تسعفها امر بعملية الامداد الضخمة بحرا وجوا . من مخزون السلاح فى مستودعات الجيش الامر

واخيرا خلقت حرب اكتوبر شعورا بعدم السلامة فى المجتمع الاسرائيلى .

ان اثر ماحدث فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ جعل الاسرائيليين يشعرون بمزيد من عدم الامن مما اعطى نظرية الامن القومى ابعادا جديدة .

ومن مقال « تقييم مابعد الحرب » الذى نشرته مجلة ال Military Review **فى اغسطس عـــام ١٩٧٤ نجد الآتى :**

وبالنسبة لاسرائيل فان المبادرة الامريكية بايقاف اطلاق النيران عام ١٩٧٠ التى انتهت حرب الاستنذاف كانت تعنى لها فترة لنوع ما من السلام والازدهار . وكان الاسرائيليون مقتنعين بالنظرية القائلة ان تفوقهم العسكرى مع وجود حدود آمنة واسعة مع جيرانها العرب تشكل مانعا أمام اى هجوم عربى . **كما كانوا يعتقدون الى حد كبير انه يمكنهم الجلوس على الحدود التى حصلوا عليها عام ١٩٦٧ وينتظرون حضور العرب اليهم يستنجدون السلام منهم .**

وقد خرقت حرب اكتوبر هذه المعتقدات وكان تاثير حرب اكتوبر على اسرائيل صدمة عنيفة لها . وهناك عدة عوامل اسهمت فى هذه الصدمة وعنفها على اسرائيل منها قدرة العرب على استخدام الاسلحة الحديثة ، وتكاليف الحرب البشرية والمادية الباهظة وازدياد عزلة اسرائيل نظرا لتزعزع مركزها فى اوربا الغربية وامريقيا ، وقوة سلاح البترول ، وتحطيم نظرية الحدود الامنة بعد حرب ١٩٦٧ واخيرا النقد الحاد لما حدث من اخطاء وتقصير .

هذا وقد حصل العرب فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ على المبادأة وذلك لسببين اساسيين الاول منهما هو فشل اسرائيل فى الاستنتاج الصحيح لاهداف التحركات العربيـــة .

وبمجرد بدء الحرب دهش الاسرائيليون بنوعية الاداء العربي واسلوبهم في التخطيط والقتال ، ووجدوا ان العرب لم ينجحوا فقط في تضييق الهوة التكنولوجية والنوعية بينهم وبين اسرائيل ، بل لقد نجحوا ايضا في ان يحاربوا جيدا في حرب حديثة ولفترة عصيبة في بداية هذه الحرب حرمت اسرائيل من حرية اختيار طريقة القتال التي تفضلها ، وهي حرب مدرعة تمتاز بالمناورة والتحركات السريعة ، وقد فرض العرب عليهم حربا بطيئة **من النوع المصمم والجوي** ، والتي اثبتت انها نوع باهظ التكاليف في الرجال والمعدات . وقد كانت خسائر هذه الحرب كبيرة بالنسبة للطرفين ولاسيما لاسرائيل اذ كانت الخسائر مذهلة (الارقام الحقيقية للخسائر الاسرائيلية مازالت محاطة بالسرية) ولكن يمكن القول انه بالنسبة للمعدات الرئيسية تصل هذه الخسائر الى حوالي ١٠٠ طائرة و ٨٠٠ مدرعة ، ٣ مراكب حربية بالاضافة الى حوالي ٢٥٠٠ قتيل وهي تعتبر خسائر عالية جدا بالنسبة لحرب قصيرة الأمد ولأمة تعدادها ٣مليون نسمة .

وعلاوة على الخسائر في المعدات فان تعبئة حوالي نصف مليون فرد من قوات الاحتياط سبب نوعا من الاضطراب في الانتاج الزراعي والصناعي الاسرائيلي ، كما تأثر الاقتصاد ايضا بتعبئة اللواري للمعاونة في المجهود الحربي . وتقدر التكاليف الكلية لاسرائيل بما يزيد عن ٥ بليون دولار اي اكثر من الميزانية السنوية للدولة .

ولمقابلة مطالب الحرب قامت اسرائيل بتحويل الاعتمادات السابق تخصيصها في ميزانية الدولة لواجبات مختلفة ـ الى خدمة المجهود الحربي وقد حصلوا على الاموال من خلال الاتحاد اليهودي ومن خلال بيع سندات الجهاد الاسرائيلية ، كما

قاموا بتخفيض نسبة تتراوح بين ٧ الى ١٢٪ من المرتبات والاجور كقرض اجبارى للدفـــاع .

بينما نرى ان فترة ما بعد ١٩٦٧ تمثل فترة انتعاش وازدهار اقتصادى فى اسرائيل
فان فترة ما بعد ٧٣ تمثل فترة من الازمة الاقتصادية العنيفة التى تواجهها اسرائيل.

وفى مجال الصراع الدولى نجد أن مركز اسرائيل قد تدهور تدهورا شديدا بدلا من تحسنه كما كان يأمل قادة اسرائيل . وقد عانت علاقات اسرائيل مع افريقيا من تمزقات شديدة ، اذ قامت معظم دول افريقيا بقطع علاقتها مع اسرائيل وعللت ذلـك برفض اسرائيل الانسحاب من مناطق الحدود التى احتلتها عام ١٩٦٧ — وكان عمـل الـدول الافريقية هذا يمثل ضربه قوية لاسرائيل التى كانت مشتركة فى الكثير مـن المشروعات للتطوير والتقدم فى بعض دول افريقيا . ولم يكن حال اسرائيل فى اوروبا احسن من حالها فى افريقيا ، اذ اصدر المجتمع الاقتصادى الاوروبى نداء يدعو فيـه اسرائيل الى الانسحاب من المناطق العربية المحتلة والاعتراف بحقوق شعب فلسطين .

ولم يكن لدى الدول الاوروبية الرغبة فى استخدام الولايات المتحده لاجوائها او لامكانياتها اثناء جسرها الجوى الذى اقامته اثناء الحرب لامداد اسرائيل بالسلاح وحتى اليابان التى كانت ملتزمه دائما بالحياد فى النزاع العربى/الاسرائيلى قامت بتبنى سياسة موالية للعرب . ولما قرر قادة اسرائيل ترك الخطوة الاولى فى الحرب للعرب لتجنـى اسرائيل مكاسب وتأييد سياسى لسياستها ، فانهم لم يأخذوا فى الاعتبار عامل البترول العربى والتأثير الذى يمكن ان يحدثه فى حلبة الصراع الدولية .

وأهم نتائج حرب ١٩٧٣ على أسرائيل تتركز حول العلاقة بين الحدود والأمن . اذ كانت المشكلة بين حاجة اسرائيل لحدود آمنه والانسحاب من مناطق الحدود التى تحتلها هى البؤرة التى تتجمع عندها سياسة اسرائيل الداخلية ومجهودات السلام العالمية منذ عام ١٩٦٧ . وقد صعدت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ حدة المناقشة بين الاسرائيليون بخصوص هذه المشكلة ، اذ بينت هذه الحرب للكثيرين منهم اهمية عامل الحدود نظرا لان القتال نشب وتوقف بعيدا عن قلب أسرائيل المأهول بالسكان . وبالتالى فأن هناك اقتناعا متزايد بأن الامن هو نتيجة للعديد من العوامل ، الذى يعتبر العامل الجغرافى احداها . ومع ذلك فأن اسرائيل لايكمن أن تتهرب من حقيقة أن نتائجها فى حرب ١٩٦٧ بحدودها الاقليمية المعترف بها كانت افضل من نتائجها فى حرب ١٩٧٣ وبحدودها المتسعة من وجهة نظرها .

وتعتبر المفاوضات التى تليت حرب ١٩٧٣ علامة على أن اسرائيل نتيجة لهذه الحرب تقترب من الاعتراف بالحقيقة التى تؤكد انه لضمان بقائها فأنه يجب عليها ان تتجاوب مع مطالب العرب بشأن الانسحاب .

ونظرا لأن أسرائيل تقترب من مفاوضات سلام واسعة مأمول فى نتائجها فأنه يجب عليها أن تحسم المناقشات الداخلية ، وتوفق بين عناصر العلاقة الخاصة بالحدود والأمن .

هذا ويلاحظ ان أسرائيل دخلت بعد حرب ١٩٧٣ فى حالة نقد ذاتى شديد كنوع من التنفيس السياسى وهناك رغبة ملحة للبحث عن الاخطاء التى حدثت واسباب حدوثها كما تم توجيه النقد الشديد لكل من رئيسة الوزراء ووزير الدفاع على طريقة

معالجتهم للحرب . وقد كون مجلس الوزراء فى ١٨ اكت لجنة تقضى حقائق ، لتقصى جميع الحقائق الخاصة بمعالجة اسرائيل للحرب ، وقد برا تقرير هذه اللجنة كلا من رئيسة الوزراء ووزير الدفاع من مسئولية ماطلق عليه بالتقصير فى الاعداد للحرب ، وفى نفس الوقت أدانت اللجنة رئيس الاركان وطالبت باستبعاده من منصبه هو وبعض كبار ضباط الجيش الاسرائيلى .

وفى داخل اسرائيل تعقد المجهـــود السياسى الاسرائيلى نتيجة لنتائج الحرب وما استتبعها من نقد ذاتى . ولقد استغرق تاليف الوزارة الائتلافية الجديدة فترة حوالى شهرين نتيجة للمعارك الداخلية الشديدة . وفى اوائل ابريل استقالت رئيـــسة الوزراء مسز مائير لكى يختار حزب العمل رئيسا جديـــدا للوزراء ليشكل حكومـــة ائتلافية جـــديدة .

ولاول مرة فى تاريخ اسرائيل يوضع حزب العمل الاسرائيلى وهو اهم واكثر الاحزاب الاسرائيلية رسوخا ــ محـــل شك وريبـــة ، ويرجـــع ذلك الى المشاكل السياسية والاقتصادية التى ظهرت نتيجة لحرب اكتوبر ١٩٧٣ .

ومما لا شك فيه فان توقعات المستقبل بالنسبة لاسرائيل ستتاثر بلا شك بكل ماحدث فى حرب اكتوبر ونتائجها .

ومن تحليل عسكرى لحرب اكتوبر للكولونيل ت . ن دبيوى الذى القاه فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ بالقاهرة نجد الاتى :

ونتيجة للقتال المشرف الذى خاضته الجيوش المصرية والسورية خلافا لهزائم التى لحقت بها قبل ذلك ، **استرد العرب كبريائهم وثقتهم فى انفسهم** ، مما أدى بالاضافة الى القيمة الهائلة للبترول العربى كأداة اقتصادية استراتيجية ، الى تدعيم عام للنفوذ العربى فى الشئون العالمية . ومن ناحية اخرى ــ كانت الحرب صدمة نفسية قاسية للشعب الإسرائيلى ، فبرغم القتال الذى خاضته القوات المسلحة الاسرائيلية والذى حقق نجاحا فى الايام الاخيرة من الحرب فقد أدرك الاسرائيليون وقتئذ ان هذه القوات يمكن أن تقهر وان أعدائهم العرب قادرون على تنسيق بعض تفوقهم الهائل فى العدد والموارد الاقتصادية فى مجهود حربى متكامل ضد اسرائيل . وقد كان استخدام سلاح المال والبترول لتمويل الاصدقاء السابقين والدول المحايدة ضد اسرائيل شيئا مفزعا الى حد كبير ، مما جعل الاسرائيليين يدركون شيئا كانوا يتجاهلونه بصفة عامة فى الماضى ، الا وهو انه فى عالم معاد لهم توجد فيه قــوة كبرى على استعداد لتقديــم دعم غير محدود لاعدائهم ، لم تعد اسرائيل تستطيع الوثوق ثقة كاملة فى نفسها وفى قدرتها الذاتية على المحافظة على امنها . واصبح الكثيرون من الاسرائيليين يرون ان امنهم فى المستقبل فى ظل هذه الظروف يعتمد على مودة امريكا واستمرار تدعيمها لهم وقد دفعت احدى نتائج هذه الافكار اسرائيل الى اتخاذ وسائل عاجلة لتحاشى

المفاجئات ألعسكرية مستقبلا ولرفع حالة الاستعداد وزيادة القدرات العسكرية لقوات الدفاع الاسرائيلية .

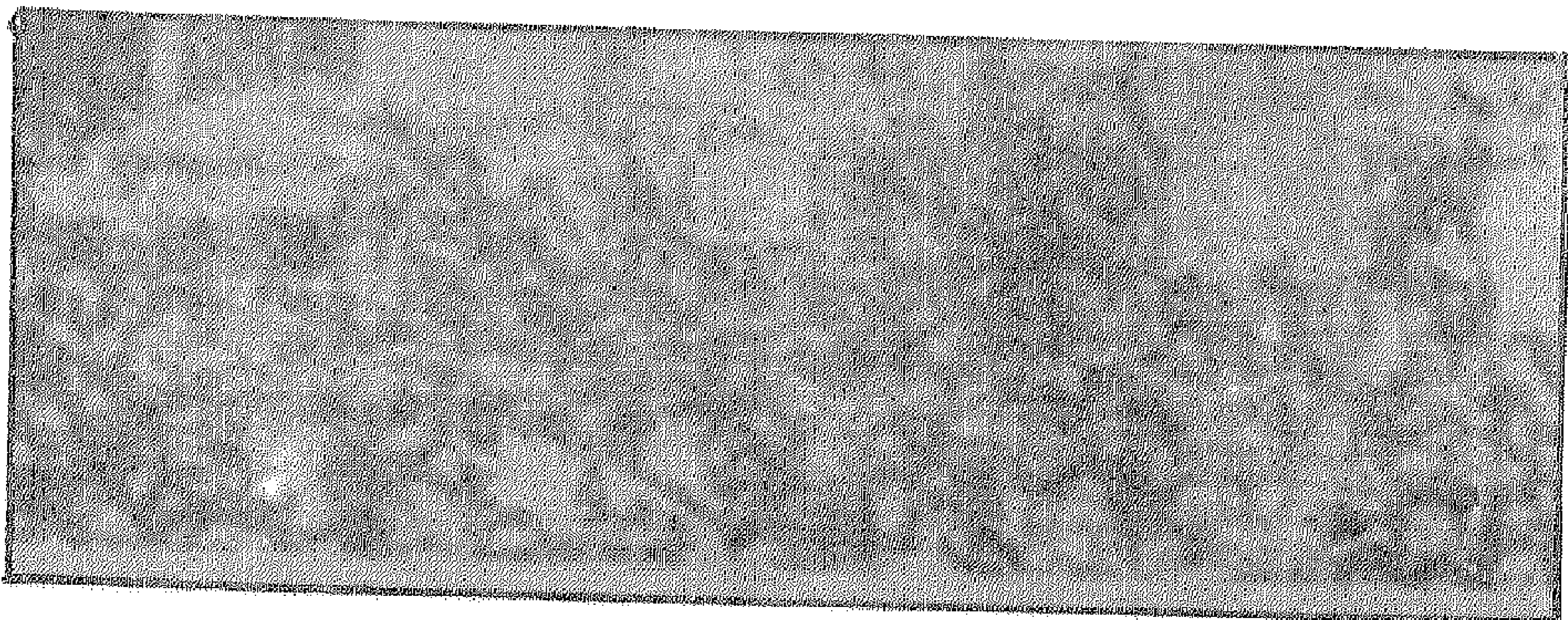
ولتوضيح الناحية النفسية والمعنوية داخل اسرائيل نتيجة لحرب ١٩٧٣ نجد الاتى فى كتاب حياتى لرئيسة وزراء اسرائيل اثناء هذه الحرب مسز جولـدا مائير :

عدت بعد ذلك الى مكتبى لأداء مااعتبره ابشع واجب ، ذلك هو اجتماع آخر من الاجتماعات الكثيرة التى كنت اعقدها مع الاباء المضطربين الذين فقدوا ابنائهم فى المعركة وكانت من الصور المفزعة لحرب يوم الغفران أننا لم نتمكن لعدة ايام من تحديد مصير الجنود الذين اخفقوا فى الاتصال بأيـة وسيـلة بعائلاتهـم منـذ بدأ الهجـوم . ان اسرائيل دولة صغيرة جدا ، ثم ان جيشها كما يعرف الجميع جيش وطنى يتألف من قوة نظامية محدودة وأكثره من الاحتياط ، ولم تحارب أبدا بعيدا عن حدودنا ، فكان الاتصال مستمرا بين جنودنا وعائلاتهم ، ولكن هذه الحرب استمرت وقتا طويلا اطول من اى حرب خضناها حتى الان باستثناء حرب الاستقلال ، هذا بالاضافة الى اننـا اخذنا فيها على غـرة .

كانت الحرب ضدنا قوامها اسلحة وصواريخ مضادة للدبابات مروعة ، فكانت تحرق الدبابات وتصيب اطقمها بحروق شديدة لدرجة كان يتعذر معها التحقق من شخصيتهم . ومن التقاليد التى تفاخر بها قوات دفاع اسرائيل ، انها لاتترك قتلاها وجرحاها للعدو ، الا انه فى اليوم الاول من أيام حرب يوم الغفران لم يكن هناك بديل الا ان يترك القتلى والجرحى الاسرائيليين على أرض المعركة . وكان مئات الاباء يتميزون



وكان مئـــات الاباء يتميزون بالغضب والقلق على حق ابنائهم



بالغضب والقلق انذاك . هل هو ميت ؟ واذا كان ذلك فأين جثته ؟ هل هو اسير حرب ؟ واذا كان كذلك فلماذا لايعرف مصيره احدا ؟

وكنت اعانى من هذا الكرب مع آباء الجنود الذين وقعوا فى الاسر ابان حرب الاستنزاف ، ثم مرت على أيام فى شتاء عام ١٩٧٣ كنت لااستطيع ان احمل نفسى على مواجهة فئة اخرى من الاباء ، لانى كنت اعرف انه ليس عندى مااقوله لهم . فان المصريين والسوريين لم يرفضوا تقديم قوائم الاسرى الاسرائليين الى الصليب الاحمر بعد عدة شهور من وقف اطلاق النار وحسب ، ولكنهم ايضا رفضوا السماح لحاخامات الجيش بالبحث فى ميادين القتال عن موتانا .

امضيت عشرات الساعات مع هولاء الاباء المساكين وان كان كل ما استطعت ان اقوله لهم فى اول الامر هو اننا نبذل كل مافى وسعنا للعثور على ابنائهم . واننا لن نوافق على اى ترتيبات لاتتضمن عودة اسرى . لكن كم كان عدد اسرى الحرب ؟ اظن اننى لم اكن اريد اى شىء بصورة ملحة اكثر مما كنت أريد قوائم اسرى الحرب التى كانت تتأرجح امامنا زمنا طويلا وفى قسو شديدة . وهناك الكثير مما لن أغفره انا شخصيا للمصريين او السوريين . لكن قبل كل شىء لن اغفر لهم انهم حجبوا عنا تلك المعلومات زمنا طويلا لمجرد النكاية وسؤ القصد ولمحاولة الافادة من الام الاباء الاسرائيليين كورقة رابحة ضدنا .

ومن محاضر الدكتور بطرس غالى فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ نتبين الاتى:

ووجدت اسرائيل نفسها فى حالة من العزلة الدبلوماسية نتيجة مواقف عدد كبير من الدول الافريقية والاسيوية والاشتراكية ودول عدم الانحياز التى قطعت الكثير منها علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

وفى داخل اسرائيل نفسها جاءت الحرب بمثابة صدمة لعدد كبير من السكان حتى انه اصبح يشار اليها كثيرا بكلمة الزلزال ، وبرزت ازمة ثقة فى القيادة العسكرية وهنالك وشعور بالشك فى حكمة القيادة السياسية والاهداف التى وضعتها ، وقد اثار اليسار الاسرائيلى وبعض المفكرين المتقدمين والليبراليين السؤال حول مدى صواب الفكرة الصهيونية ذاتهـا .

ومن البحث الخاص بالاثار السياسية لحرب اكتوبر للدكتور احمد صدقى الدجانى فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ نجد الاتى :

فعلى الصعيد الاسرائيلى تغيرت الصورة مع ساعات الحرب الاولى ، ثم مع ايامها التالية حتى بدأ العدو وعند توقف القتال فى صورة اخرى توضحت ملامحها فى العامين الماضيين . ونكتفى بالاشارة هنا بايجاز الى المفاجأة التى اصابت افراده وحالة الذعر التى تلت وسيطرت عليه ، والى اهتزاز فرضيات اساسية فى المفهوم الاسرائيلى للحرب والسلام ، والى الانفصام الذى نشأ بين غالبية القيادة السياسية والعسكرية وبين جماهير الجنود . والى الاهتزاز النفسى لدى افراده بسبب الخسائر البشرية التى

تكبدتها اسرائيل وهى فى ذروة الحرب وكتعبير عن شعور مؤرق يستقر فى الاعماق وكنتيجة لما بدأ من بطولات المقاتل العربى التى فرضت تغيير النظرة القديمة اليه ، وكنتيجة ايضا لتحطيم اسطورةالجيش الاسرائيلى الذى لايقهر ، وللعزلة الدولية التى عانت منها اسرائيل خلال الحرب . كان لهذا كله نتائج خطيرة على الاسرائيليين ظهرت آثارها على مدى العامين التاليين فى شتى المجالات ، فكانت التغيرات فى القيادة السياسية والعسكرية ، وكان التحقيق فى « التقصير » وماكشفت عنه تقرير لجنة « اجرانات » ـ اللجنة المكلفة بدراسة اسبابه ـ وكانت تفجيرات التناقضات الداخلية فى صور مختلفة ، وكان ازدياد حركة النزوح من اسرائيل ونقصان حركة التهجير اليها

٣ ـ النتائج والانعكاسات على الاتحاد السوفيتى :

كان لحرب اكتوبر انعكاسات وتاثيرات كبيرة على كل من القوتين المعظميين وسياستهما تجاه مشكلة الشرق الاوسط ودول المنطقة . لقد اثبتت هذه الحرب أن الدول الصغرى الاقل تعداد من اى ولاية امريكية او سوفيتية قادرة على القيام بحرب مكثفة وشديدة ، تدفع الى ميدانها ، العديد من القوات البرية وتقوم بالآف الطلعات الجوية يوميا . كل هذا من ارادة حرة مستقلة وهذا يثير التفكير العميق للتحليلات الخاصة عن دور القوتين العظميين فى العالم فى حالة نشوب حرب غير ذرية .

ومن البحث الذى قدمه الدكتور / احمد صدقى الدجانى فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ نجده يشير الى الاتى :

وقد شغل الاتحاد السوفيتى بالصراع العربى الاسرائيلى بحكم مركزه كدولة كبري في العالم وبحكم مصالحه في منطقة الوطن العربي . ولم يبد هناك بعد الحرب

تغير جذرى فى موقف الاتحاد السوفيتى من الوجود الاسرائيلى فى فلسطين العربية ، وليس من المتوقع ان يحدث هذا فى المستقبل القريب . ومعلوم أن هذا الموقف كان الاعتراف باسرائيل كدولة اثر قيامها عام ١٩٤٨ ، بعد أن وافق على قرار التقسيم . ولكن من المؤكد ان تطورا كبيرا حدث فى السياسة السوفيتية ازاء الصراع العربى الاسرائيلى منذ عام ١٩٤٨ والسياسة السوفيتية مهتمة هى الاخرى بايجاد حل للصراع مناسب الى حد ما تطلعات العرب المرحلية ولكنه لايذهب مع هدف التحرير الاصيل الى نهايته وواضح انه يتطلع للقيام بدور فعال من خلال مؤتمر جنيف ومن ثم لايتحمس لسياسة الخطوة بعد الخطوة . وعلى الرغم من وجود قرائن ودلائل على ان التفاهم الامريكى السوفيتى شمل منطقة الوطن العربى فى خطوط عريضة الا ان المجال مفتوح التنافس بين السياستين حول التفاصيل .

كما نجد فى مقاله تقييم مابعد الحرب التى نشرت فى مجلة Military Review فى اغسطس ١٩٧٤ الاتى :

« أن مصر بلا شك هى اكبر دول العالم العربى واكثرها نفوذا فى هذه المنطقة » وتعتبر مصر مركزا للوجود السوفيتى فى الشرق الاوسط ، وقد تدم الاتحاد السوفيتى الى مصر عام ١٩٥٣ عندما رفضت الدول الغربية أن تبيع السلاح لمصر — وانتهز الاتحاد السوفيتى هذه الفرصة بسرعة ووافق على اتفاقية بيع السلاح من تشيكوسلوفاكيا الى مصر .

ومنذ هذه اللحظة والاتحاد السوفيتى ينمى علاقته مع مصر من خلال برامج مساعدات اقتصادية وعسكرية . وحتى بعد هزيمة عام ١٩٦٧ كانت مصر تمثل حجر الزاوية فى سياسة السوفيت لمنطقة الشرق الاوسط ، رغما من توجيه اللوم للاتحاد السوفيتى لهذه الهزيمـــة .

وفى الحقيقة فقد حصل السوفييت على اكبر مكاسب لهم فى الشرق الاوسط بعد هزيمة العرب عام ١٩٦٧ . وقد قطعت كل من مصر وسوريا والعراق وبعض الدول العربية الاخرى علاقاتهم مع الولايات المتحدة لاتهامهم لها بانها كان لها دور عسكرى عملى بجانب اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ . واتجهوا للاتحاد السوفيتى بأعتباره الحليف الوحيد الذى يعتمدوا عليه ضد اسرائيل . ولكن حدث رد فعل فى العلاقة السوفيتية المصرية عندما اعلن الرئيس السادات فى يوليو ٧٢ طرد المستشارين السوفييت من مصر .

ويعتبر رفض السوفييت امداد مصر بالاسلحة المتقدمة التى تحتاجها لمواجهة اسرائيل احد الاسباب الرئيسية التى جعلت السادات غير مفتون بالسوفييت .

ورغم ان العلاقات المصرية السوفيتية استمرت بارده بقية عام ٧٢ فقد تجنب كل من الطرفين القطع الكامل لها . وكان لحاجة مصر الى استمرار امدادها بقطع الغيار والخبرة الفنية السبب الذى املى عليها استمرار هذه العلاقـــة .

وفى عام ١٩٧٣ بدأ السوفييت فى أعادة امداد مصر وسوريا بأحدث معدات التسليح (مثل صاروخ الدفاع الجوى سام ٦) كوسيلة لاعادة بناء وتنمية علاقاتهم مع العرب .

وفى الحقيقة يوجد الكثير من الشكوك عن الدور الاكيد للسوفييت فى التخطيط للهجوم العربى على اسرائيل فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ . كما انه يشك فى ان الاتحاد السوفيتى كان يرغب فى حرب فى الشرق الاوسط ، خاصة للعلاقة الصعبة بين الاتحاد السوفيتى ومصر ،وكذا لرغبة السوفييت فى التعايش مع امريكا وتجنب المواجهة معها .

علاوة على ذلك خوفهم من هزيمة العرب مرة اخرى . **كل هذه العوامل تقف ضد مايقال بوجود دور فعلى او شكلى للسوفييت فى هذا العمل العربى — وكما سبق ان اوضحنا فان التحريض الاساسى للقيام بهذه الحرب والقرار بقيامها يبدو قرارا عربيا على العموم ومن الرئيس السادات على الخصوص .**

وعندما ينظر الاتحاد السوفيتى للمستقبل سيرى شواهد انخفاض نفـــوذه فى منطقة الشرق الاوسط . لانه كما هو معروف فأن التحرك الايجابى نحو الســـلام سيقلل من التوتر فى هذه المنطقة وبالتالى يمكن ان يخرج الاتحاد السوفيتى بالكامل منها . وفى نفس الوقت فانه على الاتحاد السوفيتى أن يواجه دلائل ازدياد نفـــوذ الولايات المتحدة والدول الغربية فى المنطقة . وفى هـــذا المناخ فقد يصل السوفييت الى النتيجة التى توضح ان الاستمرار فى التعايش وتقليل حدة التوتر مع الولايـــات المتحدة قد تكون اكثر اهمية وفائدة فى استراتيجيتهم الشاملة عن الاستمرار فى العلاقة المكلفة مع العالم العربى المتقلب .

ومن محاضرة تاثير ازمة الشرق الاوسط على العلاقات بين القوتين الاعظم — معهد الدراسات الاستراتيجية البريطانى عام ١٩٧٤ ورد الاتى :

« كان الروس ينظرون الى الشرق الاوسط على انه منطقة مجاورة ذات اهمية ، لانهم من الناحية الاستراتيجية يرغبون فى أن يكون لهم فيها شكل من اشكال النفوذ او السيطرة ، وقد بدأت سياســـة الاتحاد السوفيتى فى عام ١٩٥٥ ببرامج معـــونة اقتصادية الى عدد من دول الشرق الاوسط ومساندة سياسية ودعائية سوفيتية قوية للموقف العربى فى النزاع وتطورات هذه السياسة من خلال المعونة العسكرية لمصر وسوريا الى استخدام وحدات مقاتلة سوفيتية فى مصر واقامة نظام مصرى ســـوفيتى للدفاع الجوى على طول قناة السويس . وفى ذروة عمل السوفييت فى آخر عام فى حياة الرئيس عبد الناصر فى عـــام ١٩٦٩ — ١٩٧٠ كانت قوات الـــدفاع الجـــوى السوفيتية متمركزة على طول القناة . وبالاضافـــة الى ذلك فان استمرار بعض التشكيلات من طائرات السلاح الجوى السوفيتى فى القاهرة واسوان التى كانت تقوم بمهام المراقبة فى البحر المتوسط ، كان معناه أنه قد اصبح فى امكان الاتحـــاد السوفيتى استخدام الاراضى المصرية لنشاط معاد لحلف الاطلنطى . وبدأ فعلا التدخل السياسى السوفيتى فى الاتحاد الاشتراكى العربى المصرى . وكان من الواضح ان الاتحـــاد السوفيتى قد اصبح فى وضع يمكنه من ممارســـة قدر متزايد من السيطرة على سياسة مصر فى النزاع العربى الاسرائيلى على الاقل فى المجال السياسى . وكان يبدو ان سياسة السوفييت هى ابقاء النزاع فى مرحلة اللا سلم واللا حرب ، بينمـــا يعملون فى نفس الوقت على زيادة النفوذ السوفييتى فى جميع نواحى الحياة فى مصر

وســوريا والعراق . وفى اواخر عــام ١٩٧٠ كان يبدو ان نمــو النفوذ السياسى والعسكرى السوفيتى قد أصبح من المستحيل وقفه . وفى تلك اللحظة توفى الرئيس عبد الناصر وادخلت مصر تحت زعامة الرئيس السادات عنصرا جديدا نسبيا فى علاقة الدولتين الاعظم فى المنطقة ، وهو الاستعداد لاتخــاذ قــرارات فى مجــال السـاسـة الخارجية ترغم الاتحاد السوفيتى على اتخاذ موقف دفاعى .. ففى ابريل ١٩٧١ اوقف الرئيس السادات التدخل السوفيتى فى الاتحــاد الاشتراكى العربى بالقبض على المجموعة المنزعمة الموالية للسوفييت من السياسيين المصريين . وبعد ذلك بأكثر من عام بقليل طرد كل العسكريين السوفييت تقريبا من مصر ، بما فى ذلك اولئك الذين كانوا يعملون فى وحدات مقاتلة فى مطارات غرب القاهرة واسوان . ومع ذلك استمرت مصر فى الضغط على الاتحاد السوفيتى لامدادها بكميات اكبر من الســلاح الاكثر تطورا ، مستغلة فى ذلك حاجــة موســكو الى الاحتفاظ بأكبر قدر ممكن من وضعها المعرض للخطر فى القاهرة . وقد امــد الاتحاد الســوفيتى مصر بالاسلحة التى طلبتها باستثناء نوع متطور جــدا من الطائرات . **وقد استفاد الرئيس الســادات الى اقصى درجة ممكنة من موقف السوفييت الحرج** لان امداد مصر بالسلاح اصبــح الطريق الوحيد المفتوح امام الاتحاد السوفيتى للاحتفاظ بوضعه فى مصر . وعلــى الرغم من ذلك نشأت حتى امدادات السلاح من الناحية السياسية فى أن تسفر عن تحقيق النفوذ الذى يريدة السوفييت . **ودهشت الولايات المتحدة وهى لاتكاد تصدق ان خليفة عبد الناصر قد اثبت انه ممارس حاذق بهــذه الدرجــة لسياســة القــوة تجاه الحليف** الرئيسى لبلاده . ولكن هناك عامل آخر اثر على علاقات مصر بكلتا الدولتين الاعظم فقد بدات اجتماعات القمة الامريكية السوفيتية تثير شكوك الرئيس السادات عن احتمال عقد صفقات بين **الدولتين الاعظم** على حساب مصر ، جعلت

المصريين يتابعون بانتباه مركز تطوير العلاقة بين موسكو وواشنطن . وكان يبدو محور العلاقة هذه بين الدولتين الاعظم عندما قام رئيسا مصر وسوريا باتخاذ قرار شن هجوم كبير مشترك على المواقع الاسرائيلية على قناة السويس ومرتفعات الجولان فى اكتوبر ١٩٧٣ . ويجب أن نلاحظ أن كل من الدولتين الاعظم قد مد يد المساعدة العملية الى الجانب الحليف له من الدول المشتركة فى الحرب . وكانت كل من الدولتين العظميين تقوم بذلك كرد فعل من جانبها للاحداث ، وليس لانها متداخلة فيها او توجهها . ولم نشترك اى من السياسة الامريكية او السوفيتية فى وضع هذا النمط للحرب » .

وعودة الى مقالة « تقييم ما بعد الحرب » من مجلة الـ Military Review عدد اغسطس ١٩٧٤ نجد الآتى :

« ويلاحظ ان الوضع الاساسى للاتحاد السوفيتى فى الشرق الاوسط بنى اساسا على انتهاز الفرص التى اتيحت له من خلال المنازعات العربية الاسرائيلية . وكانت الحرب الاخيرة تمثل فرصة اتيحت لهم لاستعادة مكانته ونفوذه الذى فقدهما عام ١٩٧٢ . وقد تشجع السوفييت بالانتصارات العربية المبكرة وقرروا ان يكون لهم دور فى اى انتصار نهائى للعرب ، ليتمكنوا من استعادة هذه المكانة . وكانوا يتحركون بحذر شديد . لان حدوث اى كارثة عربية اخرى ، او الحصول على نصر عربي بدون مساعدة سوفيتية سيؤثر عكسيا علي وضع موسكو في المنطقة .

وقد وضح القلق السوفيتى من حدوث كارثة اخرى للعرب عندما حاصرت قوات اسرائيل الجيش الثالث المصرى بعد ايقاف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر وتهديد القاهرة . وكان هذا وضعا لا يمكن للسوفييت احتماله .

وبينما تبين من قرار السوفييت باعادة مساعدة اصدقائهم العرب مرة اخرى ، ورغبتهم فى البقاء كالحليف المعاون الاساسى الذى يعتمد عليه ، فانهم لم يكافؤا بمركز قوى أو مميز فى المنطقة . ورغما عن المساعدات والاسلحة التى قاموا بتوريدها فانهم مازالوا يفتقدون اصدقاء يعتمد عليهم فى منطقة الشرق الاوسط ، ولم يحرزوا اى تقدم لتحسين علاقتهم مع مصر الدولة الاساسية فى استراتيجيتهم للشرق الاوسط .

وعدم رغبة مصر فى الاعتماد فقط على الاتحاد السوفيتى اتاح الفرصة للولايات المتحدة لتلعب دور الوسيط الرئيسى فى مفاوضات الشرق الاوسط . ويعود فضل النجاح فى فصل القوات فى سيناء وعودة الادارة المصرية للقناة — للولايات المتحدة دون غيرها .

وكان لعودة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين مصر والولايات المتحدة اضعافا للعلاقات المصرية السوفيتية .

ونظرا لعودة العلاقات المصرية الامريكية ، وعدم وجود علاقات بين الاتحاد السوفيتي واسرائيل ، وجد السوفييت انفسهم يلعبون دور وسيط من الدرجة الثانية

فى مشكلة الشرق الاوسط ، وكان واضحا ان الولايات المتحدة تلعب الدور الاساسى فى انجاز فصل قوات مماثل على الجبهة الســـورية .

ويلاحظ انه كلما استمر التقدم نحو اتفاقية سلام شاملة فى المنطقة ، فان نفوذ موسكو بها سيستمر فى الانخفاض والضعف لان احتمالات السلام ستجعل العرب اقل اعتمادا على السلاح السوفيتى . كما أن الارتباط مع الدول الغربية سيزيد من تركيز العرب على التطور الاقتصادى والصناعى .

وفى الجانب الايجابى لصالح الاتحاد السوفيتى نجـد أن السوفييت قد ربحــوا كثيرا من التوتر الذى نشأ بين الولايات المتحدة والدول الاوربية . ففى اثناء الحرب انحرفت السياسة الاوروبية بعيدا عن الولايات المتحدة ، وبالتالى حـدث توتر فى التحالف الغربى . وكان هذا هدفا لصالح السوفييت لتخريب التحالف الغربى .

كما أن حرب الشرق الاوسط اتاحت الفرصة للاتحاد السوفيتى لتشجيع النزاعات الاستقلالية الوطنية فى كثير من البلاد الاوروبية التى تشكل هذا الحلف الغربى وأن كان النزاع العربى الاسرائيلى فى نفس الوقت قد بين للسوفييت والامريكان الحاجــة الملحة للعمل معــا .

ونتائج الاحداث والاجراءات التى ستتخذها دول الحلف الغربى غير معروفة . وعليه فان درجة التصدع فى الحلف الغربى لن تكون واضحة حتى يتاح الوقت الكافى لكل دولة لتتمكن من الحــكم على نتائج وانعكاسات النزاع العربى / الاسرائيلى عليها وتخطيط اتجاهاتها فى المستقبل .



ترتبط الولايات المتحدة باسرائيل ارتباطا وثيقا منذ عـام ٤٨

ولقد كان لدور الاتحاد السوفيتي فى حرب الشرق الاوسط عام ١٩٧٣ تاثيرا مباشرا على التعايش مع الولايات المتحدة . وقد حدث رد فعل قوى للمجهودات لبناء علاقة اقل توترا مع الولايات المتحدة .

كما قوى نتيجة لذلك نفوذ بعض ساسة الولايات المتحدة الذين سبق وعارضوا فى تحسين العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، وهدات المشاريع الامريكية السوفيتية المشتركة لاستخراج البترول والغاز بعد تبين خطورة الاعتماد على مصادر طاقة اجنبية ، هذا كما هدات ايضا كل المشاريع الخاصة بزيادة التجارة والخبرة التكنولوجية من الولايات المتحدة .

واخيرا فان زيادة ميزانية الدفاع الامريكية لعام ١٩٧٥ توضح انه مازال هناك بعض التوتر بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة .

٤ ــ النتائج والانعكاسات لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على الولايات المتحدة الامريكية :

وبالنسبة للنتائج والانعكاسات على الولايات المتحدة الامريكية نجد الاتى بعد قد ذكر عن هذا الموضوع فى مقاله ((**تقويم مسابعد الحرب**)) التى نشرت فى **مجلة الـ** Military Review **عدد اغسطس ١٩٧٤**

((ترتبط الولايات المتحدة الامريكية باسرائيل ارتباطا وثيقا منذ عام ٤٨ عندما ادى الاتفاق الذى كان بينها وبين الاتحاد السوفييتى فى ذلك الوقت الى ميلاد دولة اسرائيل . ولكون أن لها يد فى انشاء هذه الدولة فان الولايات المتحدة تعتبر ان عليها التزام أدبى ومعنوى لضمان بقاء دولة اسرائيل واستقلالها .

وعلى مدار السنوات الماضية ادى هذا الالتزام الى جذب الولايات المتحدة اكثر فأكثر لجانب اسرائيل . وقد انتهى ذلك الى التعقيد الواضح فى السياسة الخارجية للولايات المتحدة فيما يخص الشرق الاوسط .

ويلاحظ ان الولايات المتحدة استطاعت تجنب القيام بدور المورد الرئيسى للسلاح لاسرائيل حتى حرب عام ١٩٦٧ . وكانت كل من فرنسا وانجلترا تقوم بهذا الدور مع تمنيات الولايات المتحدة الطيبة لهم فى هذا العمل . وبعد حرب عام ١٩٦٧ . ونتيجة لرفض كل من فرنسا وانجلترا امداد اسرائيل بطائرات ودبابات اضافية اتجهت اسرائيل للولايات المتحدة لامدادها بمعدات التسليح الرئيسية . وبعد عام ١٩٦٧ حدث استقطاب فى المنطقة ، وأصبحت الولايات المتحدة هى المعاون الرئيسى الادبى والمادى لاسرائيل واصبح الاتحاد السوفييتى هو المعاون الرئيسى للدول العربية المشتركة فى النزاع .

وتحت هذه الظروف لم يكن فى امكان الولايات المتحدة تجنب ان يكون لهـا دور مباشر فى الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل . وخاصة بعد بدء الاتحاد السوفييتى فى اعادة امداد زبائنه العرب بالسلاح . ولم يكن أمام الولايات المتحدة اى طريق آخر سوى مجاراته فى هذا العمل .

ويلاحظ ان نتائج حرب اكتوبر ١٩٧٣ لم تكن جميعها سلبية بالنسبة للولايات المتحدة . اذ كانت هناك بعض الجوانب الايجابية لصالحها . منها ان الولايات المتحدة كانت قادرة على ان توضح باستمرار قدرتها على العمل كدولة عظمى كما اظهرت للعالم انها تفى بعهودها ووعودها بشرف عند المحنة . وقـد وقفت

بصلابة عندما تحداها الاتحـــاد السوفييتى واظهرت قدرتها كدولـــة محبه وصانعة للسلام .

وفى منطقة الشرق الاوسط نفسها اثبتت الولايات المتحدة قدرتها على التعامل بفاعلية مع الجانبين فى قضية معقـــدة للغاية وشـــديدة الحساسية ، مليئة بالدوافع .

ومن خلال دبلوماسية بارعة استطاعت الولايات المتحدة ان تجعل العرب واسرائيل يجتمعون وجها لوجه فى مفاوضات سلام لاول مرة منذ ٢٥ عاما من النزاع العربى / الاسرائيلى .

هذا ولم تخسر الولايات المتحدة اصدقاء فى الشرق الاوسط مثلما حدث بعد حرب ١٩٦٧ . وبالعكس فقد خرجت باعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر وسوريا وبدور قيادى بارز فى ايجاد حلول للسلام .

ومستقبل الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط سوف يعتمد كثيرا على كيفية القيام بدورها كصانعة للسلام . والاتجاه الايجابى نحو السلام سيزيد مـــن احتمالات ازدياد نفوذ الولايات المتحدة فى العالم العربى » .

ومن محاضرة تاثير ازمة الشرق الاوسط على العلاقات بين القوتين الاعظم نجد انه وبالنسبة للولايات المتحدة ورد الآتي :

« وبالنسبة للولايات المتحدة فقد عملت فى اوائل الخمسينات على مد اسرائيل بالمعونات المالية والعسكرية لتمكينها من الدفاع عن نفسها وبناء قوتها العسكرية وتطوير مهارتها ، والى الدرجة التى تمكن قواتها المسلحة من مواجهة اى حشد ممكن للقوى العسكرية العربية . وفيما بعد حاولت الولايات المتحدة ان تحد من ازدياد النفوذ السوفييتى فى المنطقة وان تساند الدول الصديقة فى الشرق الاوسط والدول الاعضاء فى حلف شمال الاطلنطى وحلف جنوب شرقى آسيا . ولكن نفوذ الولايات المتحدة فى الدول العربية الاخرى اتسم بالضعف (مثلا فى مصر وسوريا والعراق بعد حرب سنة ١٩٦٧) . ومع ذلك فان هدف الولايات المتحدة فى النزاع العربى الاسرائيلى كان العمل من اجل تحقيق تسوية يتم التوصل اليها نتيجة تغير مشاعر الدول العربية بالنسبة لقبول دولة اسرائيل داخل حدود تراعى فيها بعض آراء اسرائيل الخاصة باحتياجات امنها ، بالاضافة الى تغير فى المشاعر فى اسرائيل تجاه عدالة الموقف العربى المعتدل . وقد اهتمت الولايات المتحدة بالاخذ بعين الاعتبار فى رسم سياستها ، الراى المسلم به فيما يخص بالتفوق العسكرى الاسرائيلى . وقد حمل هذا الولايات المتحدة على الاعتقاد بعدم احتمال وقوع هجوم عربى كبير على القوات الاسرائيلية ، وانه فى حالة ما اذا وقع مثل هذا الهجوم فانه سيفشل » .

ومن البحث الخاص بالآثار السياسية لحرب اكتوبر المقدم من الدكتور / احمد صدقى الدجانى نجد الآتى :

« لقد وضح بعد حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ وبعد هزيمة أمريكا فى الهند الصينية ، ان اسياسة الخارجية الامريكية تتوزع بين استسلام المارد العملاق لجبروت قوته ، وبين استجابته للضغوط فى داخله ومن حوله . وقد اشتدت هذه الضغوط خلال حرب فيتنام وحرب أكتوبر . ومع انه ظهرت اصوات امريكية تدعوا الى عزلة الولايات المتحدة من جديد فقد وضحت عدم واقعية هذه الدعوة ، وستبقى الولايات المتحدة غارقة فى المشاكل العالمية بحكم مصالحها .

كذلك وضح بعد الحرب ، ان اساليب السياسة الامريكية تتراوح بين اساليب التفاهم والتعاون الدولى ، وبين اساليب وكالة المخابرات الامريكية ووزارة الدفاع « البنتاجون » ولقد ظهرت مؤخرا صور افضل لاساليب التفاهم والتعاون العالمى مع دخول المرحلة الرابعة من مراحل التوازن .

وبالنسبة لقضية فلسطين وجدت الولايات المتحدة نفسها امام مشكلة التوفيق بين حقيقة أن مصالحها فى منطقة الوطن العربى توجد فى الاراضى العربية ، وبين الاستراتيجية الامريكية التى اتخذت من اسرائيل قاعدة فى المنطقة . وقد برزت هذه المشكلة قبل الحرب ووصفها « بالدوين » فى كتابه استراتيجية للغد « بانها مشكلة مستعصية ان لم تنتهه أو تحل فانها ستؤدى الى كارثة ليس فقط لإسرائيل ولكن للولايات المتحدة ايضا » واشتد الحاح المشكلة بعد الحرب فبحثت الولايات المتحدة عن حل وسط . تمنع به زوال نفوذها بين العرب ، وتدفع به عن نفسها

تهمة التحيز الكلى لاسرائيل . ويقوم هذا الحل الوسط على التفاهم مع الاتحاد السوفييتى واخذ بعض مصالح أوربا الغربية بعين الاعتبار ، ويستهدف الوصول الى تسوية سياسية بموجب قرارى مجلس الامن ٢٤٢ ، ٣٣٨ تنتهى بأنسحاب اسرائيل من الاراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ . ولكن وضح خلال العامين الماضيين ان الاسلوب الذى اتخذته الولايات المتحدة لتنفيذ هذا الحل الوسط يثير خلافات كثيرة ويسقط من اعتباره خطورة المدى الزمنى الذى تستغرقه سياسة « الخطوة بعد الخطوة » . كما وضح ايضا أن السياسة الخارجية الامريكية ترتبط بين هذا الحل الوسط وبين حل بقية مشكلاتها فى المنطقة . وهى على العموم تحاول بلوغ هدفين متناقضين هما دعم اسرائيل وكسب الود مع العرب حفاظا على مصالحها . وهو تناقض سببه تجاهل اصل المشكلة » .

هـ ـ النتائج والانعكاسات على غرب اوروبا وحلف الاطلنطى :

كانت حرب اكتوبر ومازال مجال تحليل من الخبراء العسكريين فى غرب أوروبا وفى حلف الاطلنطى ، وخاصة بالنسبه للمفاجاه المذهله لهذه الحرب ، وكذا للخسائر الجسيمة فى الارواح وفى الاسلحة والمعدات ، الامر الذى اثار تساؤلات عديدة عن قدرة التحالف الغربى فى التنبؤ بهجوم خاطف ومفاجىء من دول حلف وارسو ، وايضا وهو الاهم عن مدى قدرة الترسانة الغربية فى الاستمرار فى الامداد بنظم التسليح المختلفة لاستعواض مثل هذا المعدل العالى للخسائر

ومن البحث الخاص بتاثيرات حرب اكتوبر لادجار او بالنس فى ندوة اكتوبر ٧٥ بالقاهرة نجد الآتـى :

« لقد تركت حرب اكتوبر ١٩٧٣ آثارا عميقة ليس على الشرق الاوسط فحسب حيث بددت عددا من الاساطير والاوهام ، وانما ايضا على حلف الاطلنطى حيث ادت الى ظهور اتجاهات جديدة فى الفكر العسكرى ، وهى اتجاهات كانت فى بعض الحالات كامنة منذ الحرب العالمية الثانية . ذلك لان بعض النظريات والمفاهيم التى ظلت مقبولة لفترة طويلة بدات تتعرض للشك فى قيمتها ، ومن بينها الهدف من انشاء حلف الاطلنطى ذاته . كما ان حرب اكتوبر تركت آثارها ليس على الاستراتيجية العربيــة والاستراتيجية الاسرائيلية والنظـريات والتكتيكات العسكرية فحسب ، وانما تركتها ايضا على عـوامل اخرى مثل الروح المعنوية واستخدام اسلحة معينة فى ميدان القتال وعلى تصعيد استخدام الاجهزة الالكترونية » .

ومن البحث الخاص بالاثار العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على الوضـع الاستراتيجى فى اوروبا ــ ندوة اكتوبر ١٩٧٥ نجد الآتى :

« تعتبر الحرب التى نشبت فى اكتوبر عام ١٩٧٣ بين العرب واسرائيل . اول حرب تقليدية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية تستخدم فيها الوسائل الحديثة ، من المحتم انها قد اثرت بالفعل على الوضع الاستراتيجى الراهن فى اوروبا .

فما هو اذن اثرها على الوضع الاستراتيجى فى اوروبا ؟

انني أعتقد أن هذه الآثار سوف تكون بالغة الاهمية ، ان حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ هذه تحتوى اكثر من اى حرب اخرى منذ عام ١٩٤٥ ، على دروس وموضوعات صالحة

للتامل واعادة التنظيم والفكر ، يمكن ان تستفيد منهـــا دول حلف شمال الاطلنطى وجيوشه .

من المعروف ان الاستراتيجية الدفاعية لحلف الاطلنطى فى اوروبا قائمة على فكرة المهلةالتى توفرها وسائل الانذار المبكر . بمعنى انه قبل قيام أية مواجهة مسلحة بين حلفى الاطلنطى ووارسو . سيتم انذار الجيوش الغربية بوقت كاف يمكن من اعدادها وتدعيمها . ويؤيد هذا الاعتقاد الاساسى عدد كبير من الحجج الفنية ، إبتداء مـــن الاقمار الصناعية الخاصة بالمراقبة الى اجهزة التصنت الالكترونية .

ولكن اثبتت حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ مدى خطا هذا التصور . ولا سيما فى اوروبا حيث المناطق التى ينبغى مراقبتها اوســع بكثير ، وتغطيها الغابات ، وتتناثر عليها المناطق السكنية الكبرى علاوة على ما تتميز به هذه القارة من ظروف جويـــة غير صالحة ، وظروف سياسية ونفسية اكثر تعقيدا بكثير من تلك التى تسود فى الشرق الاوسط .

وان الاعتقاد بأن الوحدات الكبرى الموجودة على بعد مسافات هائلة من الجبهة يمكنها ان تلحق بقوات حلف الاطلنطى فى حالة شن هجوم مضاد ، لهو اعتقاد خاطىء ووهمى . لان تقدم هذه الوحدات العسكرية البرية الآتية من المناطق الخلفية البعيدة وسط حركة مرور ملايين العربات المدنية سوف يكون بطيئا وعسيرا للغاية ، ويكفى ان نتذكر الازدحام الشديد فى المدن الاوروبية الكبرى اثناء العودة من الاجازات .

وفى نفس الوقت فان قيام الاصدقاء بشن هجوم مضاد يعتمد على المدرعات والطيران سوف يتعرض لابشع الاخطار امام عدو مزود بعدد وفير من القذائف الخفيفة المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات ، وهى اسلحة اكثر اتقانا بلاشك من تلك التى كادت ان تلحق الهزيمة بالجيش الاسرائيلى . لا سيما وأن رد الفعل الغربى لن تكون له وحدانية رد الفعل الاسرائيلى وسرعته ، حيث ان المشاورات الاولية بين عدة حكومات والقرارات التى ينبغى اتخاذها فى لجان عسكرية مختلفة سوف تتطلب وقتا طويلا ، وتؤدى الى حلول وسط غير كافية فى وقت الازمات . كما انه لن تكون لدى وحدات القتال الورقة الرابحة التى تضمنها خدمة عسكرية طويلة وتوافر احدث الاسلحة والمعدات ويرجع هذا الى القيود المفروضة على الميزانية نتيجة للازمة الاقتصادية العامة .

ان سعة مسرح العمليات ، وانقطاع جميع طرق الاتصال وتشتت الوحدات القائمة فى وقت السلم ، كل هذا لن يسمح على الاطلاق بتحرك سريع لقوات الاحتياطى ولا بتوازن القوى التى ساعدت الظروف اسرائيل على تحقيقهما فى سيناء والجولان .

ان حجم القوات المدرعة والجوية والمشاة الميكانيكية للكتلة الشرقية معروف ، ونجد ان حلف وارسو يستعد فى شمال ووسط اوروبا بسبعين فرقة عسكرية و ٢٠٠٠٠ دبابة و ٤٣٥٠ طائرة مقاتلة فى مقابل ٢٥ فرقة عسكرية و ٧٠٠٠ دبابة و ٢٠٣٠ طائرة مقاتله لحلف الاطلنطى ، يضاف الى ذلك الميزة التى يتمتع بها حلف وارسو فيما يتعلق بتوحيد نمط المعدات وجهة التموين ووحدة العقيدة والقيادة المباشرة الواحدة .

وتهيئة هذه الجماعة المسلحة فى الحال يعتبر عاملا حاسما عند اندلاع اى قتال.

وقد اظهرت حرب اكتوبر مدى السرعة التى يمكن أن توضع بها قوات مسلحة هائلة فى حالة استمداد ، ومدى القوة التى يمكنها ان تقاتل بها نهارا وليلا ، وذلك يعتبر الدليل على تجدد امكانية تحقيق «الحرب الخاطفة» .

لقد اظهرت حرب اكتوبر — على عكس ماكان يعتقد الكثير من الخبراء العسكريين انه يمكن شن هجوم مباغت بالوسائل القديمة (الدبابة والطائرة) ولكنها اثبتت أيضا انه يمكن الوقاية من اى رد فعل بفضل الوسائل الجديد (القذائف والصواريخ).

ولاحباط مثل هذا الهجوم ، فانه ينبغى أن يقوم الطرف الذى يدافع عن نفسه باعادة تنظيم عميقة ، وذلك بأن يشكل فى الخط الاول منطقة للوحدات تكون فى حالة استعداد دائم ، وتعتمد اساسا على القذائف الخفيفة المضادة لدبابات التى تغطيها الصواريخ المضادة للطائرات . كما ينبغى أن يكون الاحتياطى من المدرعات للتدخل المباشر ضد الثغرات التى يحدثها العدو ، على مقربة من هذا الخط الدفاعى الحصين . هذا فى حين تقوم التشكيلات الدفاعية المكلفة بالعمليات والموزعة على المنطقة بحراسة المناطق الخلفية .

ولكل هذه الاسباب التى عرضناها باختصار ، يبدو من المحتم أن هذه الحرب العربية والاسرائيلية ستكون لها آثار هامة على الوضع الاستراتيجى فى اوروبا فيما يتعلق بحلف الاطلنطى .

والرغبة فى استبعاد هذه الاسباب بالقول ان الشرق الاوسط ليس هو أوروبا ، وان أى حرب مسلحة فيها ستكون مختلفة عن ذلك تماما سوف يعنى الوقوع من جديد فى نفس خطأ القيادة العليا الفرنسية فى الفترة من ١٩٣٩ — ١٩٤٠ بعد الانتصار الالمانى الخاطف فى بولندا . واذا ما اجرينا تحليلا واضحا للعوامل المميزة لهذه الحملة ، وهى قدرة التشكيلات المدرعة التى يدعمها الطيران على احداث الثغرات وسرعة المناورات الواسعة المرنة بهدف التطويق . وقد ظنت القيادة الفرنسية انه اذا كانت الحملة قد نجحت ضد الجيش البولندى ، فانها لن تكون ذات فعالية ضد الجيش الفرنسى . غير ان تطبيق المانيا لنفس المبادىء بعد ذلك بثمانية اشهر قد مكنها من القضاء على القوى والنظريات الفرنسية خلال ستة اسابيع .

ومن المؤكد ان الازمة الاقتصادية الموجودة فى الوقت الراهن ، لاتساعد على زيادة الاعتمادات العسكرية او اطالة مدة الخدمة العسكرية فى الدول الاعضاء فى حلف الاطلنطى ، الامر الذى يدعو بالاحرى الى اعادة النظر فى الوضع الاستراتيجى وفى النظريات الحالية للحلف ، واعادة تنظيم كل منها وفقا للعوامل المميزة وغير المتوقعة التى ظهرت اثناء هذه الحرب .

ومن البحث الخاص بالدروس العسكرية المستفادة من حرب اكتوبر للجنرال ا . ميرجلين فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ نجد الاتى :

ان الدرس المستفاد من حرب اكتوبر بالنسبة لاوروبا ، هو انه اذا قامت حرب تقليدية فى المستقبل القريب . فانها ستكون ضد حلف الاطلنطى . وان العاملين الاساسيين والمميزين لها وهما عنصر المفاجاة والصواريخ تعتبر عناصر ايجابية فى

صالح دول حلف وارسو ومن غير المتصور فى الوقت الحاضر وفى السباق السياسى والسيكولوجى الحالى ، وفى ضوء مؤسسات الغرب العسكرية ووسائله المادية الموجودة ان يقوم الغرب بمبادرة القيام بهجوم ضد الشرق . بل ان العكس هو الممكن حدوثه . وعليه فانه يجب ان يؤخذ احتمال قيام هجوم مفاجىء شامل من قوات حلف وارسو مأخذ الجد . وان الاعتماد على فترة انذار تقدر من خمسة الى عشرة ايام لنشر تشكيلات كبيرة ، ولاستدعاء الاحتياطى ، واتخاذ اجراءات الدفاع المدنى ، ولتلقى التعزيزات من الدول المجاورة أو من عبر الاطلنطى ، يبدو امرا غاية فى التفاؤل ، اذا لم يكن خداع للنفس . ويرجع ذلك الى كسل العقل او عدم الرغبة او عدم القدرة على التصرف .

وهذه هى الحالة على وجه الخصوص فيما يتعلق بحلف الاطلنطى الذى لايمكن ان يعتمد على «نوع رد الفعل الاسرائيلى» المتمثل فى تجارب حكومة واحدة سريعة الحركة ، وقيادة عليا واحدة مستعدة للعمل بمجرد اصدار الاوامر . والاحتياطى الذى ــ استغرقت تدريباته مايزيد عن ثلاثين شهرا من الخدمة العسكرية ، وحضور فصول دراسية تنشيطية لمدة شهر او شهرين . وهذه التدريبات قائمة على ارض صغيرة وعلى الخطوط الداخلية لمواصلات افضل من مثيلتها التى يتملكها العدو .

فاذا حدث اليوم هجوم مفاجىء من الشرق ، فان الهجوم الغربى الرئيسى المضاد سيقوم اساسا على الوحدات المدرعة والطائرات . وسيكون العدد الكبير والمستوى العالى لقوات الصواريخ المضادة للدبابات والمضادة للطائرات التابعة لقوات حلف وارسو كفيل بالقضاء على القوات المدرعة والجوية الغربية المعادية فى مهدها .

وبسبب المعدل الكبير للخسائر المادية والبشرية فى المعركة سيكون للميزات الاولية — التى سيحصل عليها المعتدى الذى يملك اكثر من ضعف عدد الطائرات والدبابات والهليكوبتر والمدفعية ووسائل الدفاع الجوى ، اهمية كبرى وربما حاسمة . فقد تصل التعزيزات وقوات الاحتياطى بسرعة وباعداد هائلة برا من الاتحاد السوفيتى اسرع منها بالبحر والجو من الولايات المتحدة .

ويمكن لهجوم تقليدى مفاجىء شامل من الشرق على الغرب فى الظروف الحالية ان يحقق اهدافه فى وقت قصير جدا لدرجة استبعاد التدخل السياسى ، ويجعل التهديد بحرب نووية موضع شك اوغير مجدى واذا لم يرغب الغرب فى ان يعلق استقلاله ووجوده على الحرب النووية الشاملة كورقة وحيدة ، وهى الوسيلة الوحيدة الفعالة المتبقية لـه للمقاومة ، فان الدروس المستخلصة من حرب اكتوبر يجب ان تحثه على تطوير قواته الدفاعية بأعطاء الاولوية للصواريخ الخفيفة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات ان تكاليفها البسيطة بالمقارنة بتكاليف الدبابات والطائرات وسهولة استعمالها قد تجعل من الممكن تسليح عدد كبير من الجنود الذين ينتشرون فى العمق على مساحات كبيرة من الارض ، سيكون بأستطاعتهم ان يوقفوا تقدم آليات العدو ، دون ان يشكلوا من نفسهم اهدافا نووية مناسبة . وبطبيعة الحال يجب ان يكون لدى الجنود ارادة الحرب التى كانت لدى العرب والاسرائيليين فى حرب اكتوبر . وتستطيع الاسلحة الجديدة ان تحسن المقدرة النسبية لدفاع حلف الاطلنطى فقط اذا كانت هناك قوات تقليدية كافية ، وليس هذا هو الحال اليوم .

الـــزلـــزال

بعد ان استعرضنا اسباب اندلاع هذه الحرب ونتائجها العسكرية والدروس المستفادة منها وكذلك نتائجها الاقتصادية وانعكاساتها على دول المنطقة وعلى الدولتين العظميين ودول غرب اوروبا ، ولمـــا كنا اردنا استعراض كل ما قيل وكل مـــا كتب عن هذه الحرب فى الخارج وحتى فى اسرائيل نفسها لتتكامل الصور امامنا ، لهذا رايت ان انهى كل ماقيل وماكتب بالتعليقات الاتية لنفس الكتاب والباحثين والمعلقين عن حـــرب اكتوبر ١٩٧٣

١ ـ من مقالة حرب الشرق الاوسط التى نشرت فى مجلة Military Review عـــام ١٩٧٤

ان حرب الشرق الاوسط سوف تدرس بالطبع بواسطة العسكريين فى العالم وسوف يكون لنتائج هذه الدراسات تاثيره عند التخطيط للحروب المحدودة فى المستقبل . ومن الواضح ان اسلوب ونظام استخدام القوات المدرعة سيعاد النظر فيه وتقييمه على ضوء الاسلحة المضادة للدبابات الحديثة والتي استخدمت فى هذه الحرب . كما انه سيكون هنالك تطوير فى الاعمال المضادة لنظم التسليح الحديثة المضادة للطائرات ، والتى يتوقع انها ستحصل على نصيب كبير مـــن الدراسات العميقة . وهاتين هما فقط مشكلتين من تلك التى ستقابل مخططى تطوير القـــوات المسلحة .

ان حرب اكتوبر احدثت من المفاجات ماسيؤدى الى احداث تغير كامل فى الفكر العسكرى لتحديد شكل ونوع الحــرب المحدودة فى المستقبل .

ففى عــام ١٩٦٧ حــارب الاسرائيليون وكانت عقيدتهم فى القتال السرعة وقــوة النيران والحماية الجــوية لتشكيلاتهم البرية ، والسيطرة الجوية على ارض المعركة . وقــد استخدموا فى تلك الحرب معــدات من التى سبق لهم استخدامها لســنوات عــدة . ولم يكن هناك معدات او اسلحة حديثة مثــل قنابل السمارت الموجهة Smar Bombs او اشعة الليزر او الصواريخ الموجهة الحــديثة .

ولكن فى الجانب الاخر وبعد هزيمة ٦٧ ، ركزت القــوات العربية اعتمادها على الاســلحة والمعــدات الحــديثة التــى مكنتهم مــن فــرض ارادتهم عــلى الحيــاة الاسرائيليــة وعلى المعــدات الحربيــة التى تســتخدمها القــوات الاسرائيليــة .

٢ — ومن مقــالة حــرب يوم الغفران التي نشرت فى مجلة المشــاة Infantry يونيو / يوليو ١٩٧٤ نجــد الاتى :

لقــد كانت حــرب ٦ اكتوبر ٧٣ حربــا قاســية وشديدة العنف بالنســبة للرجال والمعــدات ، ولشعوب العالم ، وخاصــة بالنسبة للدول التي اشتركت فى القتال . **فقــد كانت اعداد الجرحى كبيرة والخسائر فى المعــدات فادحة**

والان لقد ضاع خط بارليف الحصين ، ولم تعد قنا ةالسويس خطا فاصلا ودخلت القوات المصرية إرض سيناء . وفى الشمال يوجد الجيب الاسرائيلى داخل الخطوط السورية .

أن هناك الكثير من الدروس المستفادة من حرب الـ١٨ يوما ، كما ان هناك نظريات تكتيكية جديدة متطورة وتطوير تكنولوجى متقدم فى الصدات نتيجة لهذه الحرب تنتظر أن يقوم بها الخبراء العسكريين فى جيوش العالم .

٣ ـ كما ورد فى مقالة مصدات حربية جديدة التى نشرت فى مجلة المشاة Infntry عدد يونيو/يوليو ١٩٧٤ :

لقد كان عبور المصريون للقناة مذهل ويثير الدهشة كما كان عملا عسكرى عظيم وامتد على طول القناة لمسافة ١٠٠ ميل .

لقد محى انتصار اكتوبر ١٩٧٣ مرارة هزيمة ١٩٦٧ واعاد مجد مصر وزعامتها للعالم العربى .

لقد دعم طرد الروس الاستقلال السياسى لمصر ، كما تعتبر اعادة الملاحة فى قناة السويس ومشروع الميناء الحر فى بور سعيد عاملان مقومان للانتصار المصرى والروح المعنوية المصرية .

ان تباحث المصريين مع الغرب فى مجال التكنولوجيا الحديثة فى مجال صناعة الطيران يعتبر رمز اخر لاصرار مصر على بناء قاعدة فنية حديثة .

٤ - ومن مقالة نظرية الامن القومى الاسرائيلى :

بقلم اللواء الركن متقاعد يوسف كموش ((الاردن))

لقد كانت حرب اكتوبر نقطة تحول فى تاريخ الشرق الاوسط اذا نظرنا اليه قبلها وبعدها . لان هناك اشياء كثيرة فى المجالين العسكرى والاستراتيجى لن تعود ابدا الى ماكانت عليه قبل هذه الحرب ، التى كانت سببا فى اعادة تقييم الاستراتيجيات القومية والدولية ، وكذلك التكتيكات فى كثير من دول العالم . كما انها شهدت بعث المقاتل العربى فى ميدان القتال الحديث ، كما شهدت طفره فى ثقته بنفسه وفى روحه المعنوية ، وبينت مدى التحسن الذى طرأ على قدراته ، وبينت أن الفجوة التكنوليجية بين العرب واسرائيل امكن تضييقها ، كما انها بددت أسطورة الجندى الاسرائيلى الذى لايقهر ، وبالنسبة للاسرائيليين فان هذه الحرب بثت فى نفوسهم كثيرا من المخاوف والشكوك

٥ - ومن البحث الخاص بالتحليل العسكرى لحرب اكتوبر للكولونيل ت.ن ديبوى فى ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ بالقاهرة نجد الاتى :

ولعل أهم نتيجة استراتيجية للحرب ، هى تحقيق الهدف الاساسى للرئيس السادات من شن هذه الحرب ، وهو انهاء حالة اللاسلم واللاحرب بشكل مثير

اذ ارغمت القوتان العظميان على اعطاء اهتمام جاد لموضوع السلام في الشرق الاوسط وعلى ممارسة نفوذهما القوى من اجل التوصل الى انهاء الركود الذى ساد منذ عام ١٩٦٧ . ولاتزال القوة المحركة التى نتجت عن الحرب فعالة حتى الان .

لقد اعادت الحرب لمصر وضعها القيادى بين الدول العربية وذلك لعدة اسباب . ففى المقام الاول ـ اعطت قيادة الرئيس السادات الشجاعة التى ادت الى انهاء حالة الركود مكانة مرموقة لمصر ولقيادتها . ودعم هذا المركز المرموق النجاح الباهر فى الايام الاولى من الحرب ، وقد خرجت القوات المسلحة المصرية سليمة من الحرب كجهاز من اقوى الاجهزة العسكرية فى العالم وبالاضافة الى ذلك سمحت نتائج الحرب لمصر ان تعيد فتح القناة وهكذا استعادت بعض الموارد الاقتصادية وكذلك هيبتها التى فقدتها عام ١٩٦٧

وقد خاض المصريون الحرب بأسلوب استراتيجى وخاضها الاسرائيليون بأسلوب تكتيكى . ونظرا لاختلاف الاسلوبين ، ونحن نعلم جميعا بطبيعة الحال ان القدرات القتالية النسبية لدول المواجهة وهى اسرائيل ضد مصر والاردن وسوريا لاتشكل وحدها عناصر المعادلة الاستراتيجية ، بل ان العلاقات بين القوتين العظميين وجهودهما نحو تحقيق أهدافهما المتعارضة هى التى تنطوى على اكبر قدر من الاهمية . وعندما نصل الى هذه العلاقة بين القوتين العظميين ، يجب الانسى ان الدول العربية غير دول المواجهة تستطيع ان تؤثر على العلاقات بين القوتين العظميين بشكل مباشر وغير مباشر ، وذلك بواسطة البترول كسلاح اقتصادى هـام .

٦ ــ كما اشار الجنرال بوفر فى محاضرته فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ الى :

ان حرب اكتوبر هـذه كما شاهدناها من بعيد قـد اتت الينا بدروس فهناك دروس فنية ودروس متعلقة بالعمليات ودروس استراتيجية . اى ان جميع المستويات قـد تاثرت نتيجـة لهـذه الحـرب .

فالدور الذى يقوم بـه العسكريون دور صغير فى اوركسترا كبيرة . اى ان العسكريين لايستطيعون أن يقوموا بعزف منفرد ، والسبب فى ذلك هو طبيعة الحـرب المحدودة ومن وجهة النظر هـذه فان الهجوم المصرى يوم ٦ اكتوبر **كان عملا رائعا** ، حيث كسر الجليد الذى كان يشوب الوضع السياسى ، واوضح بصورة جلية انه اذا لم يسعى الاسرائيليون الى حل وسط ، فانهم سوف يكونوا فى موقف اسوا فى المـرة القـادمة . وقـد اصبح هذا مفهوما فى العـالم كله ولدى العسكريين الاسرائيليين انفسـهم .

فأما ان يشعروا بالامان ويزيدوا من قوتهم العسكرية خصوصا من ناحيـة الكم ، ويزداد تشددهم فيما يتعلق بالحدود ، وهـذا هـو الاختيار الدفاعى الاسرائيلى . أو ان يقبلوا الحل الوسط على اساس انه افضل طريقة لاشاعة الفرقة بين العرب . وهاتان هما اللعبتان الاسرائيليتان . فاذا اختار احـد الجانبين احـد هذين الحلين ، فان الجانب الاخر لايستطيع ان يختار الحل الثانى . اما الحل الاول فيتطابق مع الاحتمال الثاني ، والحل الثانى يتطابق مع الحل الاول ففى حالة التراضى ينبغى ان يكون هناك طرفان وفى حالة الحرب ينبغى ان يكون ايضا طرفان . فالاختيار سوف يتوقف على نتيجة الموقف ايا كان الحـل .

٧ ـ كما ورد فى البحث الذى قدمه الدكتور احمد صدقى الدجانى فى ندوة اكتوبر لعام ١٩٧٥ الاثار السياسية لحـــرب اكتوبر الاتى :

نشبت حـــرب اكتوبر ١٩٧٣ فى ظل سياسة الوفاق بين القوتين المعظميين وذلك على غير ارادتى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بقـــرار عـــربى . فانهت بذلك الاسترخاء العسكرى فى المنطقة ، الذى اشـــار اليه البيان الامريكى السوفيتى فى صيف عام ١٩٧٣ ، والذى كان مسيطرا خلال فترة اللاحرب واللاسلم . وهكذا اكدت الحـــرب حقيقة بقـــاء الباب مفتوحـــا للحـــرب المحدودة مع تراجع الحـــرب الذريـــة الشاملة .

لقـــد اكدت الحـــرب عام ١٩٧٣ ان الطريق مازال مفتوحا فى ظل التوازن الدولى القائم امام حـــرب التحرير فى العالم الثالث ، وان ولوج هذا الطريق هو الســـبيل للتاثير على الواقع المفروض ، وللخلاص من حالة الاســـترخاء التى تقرن بالتوازن .

لقـــد جثم على منطقة الوطن العربى منذ حـــرب ١٩٦٧ واقع مفروض تمثل فى احتـــلال اسرائيل لمزيد من الاراضى العربية . وعلى الرغم من ان هـــذا الاحتلال كان بالعدوان المسلح ، وشجبته المنظمة الدولية . وعلى الرغم مـــن القرارات التى صدرت عن الامم المتحدة تدعو اسرائيل الى الانسحاب ، وعلى رغم ايضا من تحركات الوسيط الدولى يارنج ، فان الواقع المفروض بقى جاثما .

وقــد وصل الحــال قبل حــرب اكتوبر الى بدا وكانه لاسبيل للتاثير عليــه وتغييره . وانه يشجع اسرائيل على الانسياق الى اخر مــدى وراء ــ اطماعها التوســعية . ولم يفعل التوازن الدولى الا ان يتطلع للاســترخاء العسكرى فى المنطقة !! حتى كانت حرب اكتوبر التى ونج فيها العرب الطريق المفتوح ، فاكــدت ان الحــرب التحريرية ماتزال هى السبيل للتاثير على الواقع المفروض وتغييره فى عالم تتقــدم القــوة فيه على الحق .. وعلى كل حال فان الحرب هيات مناخا افضل على المستوى الدولى لمحــاولة تطبيق قرارات الامم المتحدة والتطلع الى تســوية دائمة . فكــان ان ســحبت ملفــات القضية من على الرف لتشغل بهــا المجموعة الدولية مرة اخــرى . وبفضل الحرب بدا وزن العرب فى الحسابات الدولية فى ازدياد .

٨ ــ وفى مكــان اخر من بحث الدكتور الدجانى نجــد الاتى :

لقــد كشفت حــرب اكتوبر عن الارتباط الوثيق بين امن منطقة الوطن العربى وامن العالم عموما . وذلك لعاملين رئيسيين : هما الموقع الاستراتيجى للمنطقة ومخزون الطاقة فيها . ولقد نتج عن هذا الارتباط الوثيق تاثير مختلف على دول العالم بطريق مباشر او غير مباشر بالحرب وعلى درجــات متفاوتة ويمكننا ان نقارن هنا بين حرب اكتوبر ١٩٧٣ وحرب شبه القارة الهندية فى ديسمبر ١٩٧١ لنرى مــدى الفارق فى تاثر دول العالم والامن العالمى بالحربين . وقــد نتجت عن هذه الحقيقة نتائج هامة فى مقدمتها ان الحرب فى منطقة الوطن العربى قد تنذر بالحرب الشاملة ، وان احتمالات تحرك المجتمع الدولى لمحاصرتهــا

كبيرة ، وان امن البحر المتوسط يتاثر كثيرا بأمن الوطن العربى ويضم معه فى هذا التاثير الامن الاوروبى . وهذه النتائج تفسر لنا اشتداد التوتر بين الدولتين الاعظم فى الاسبوع الثانى من حرب اكتوبر ، والدور الهام الذى عاد للامم المتحدة فى مساعى السلام وبروز فكرة الحوار العربى الاوروبى فى أعقاب الحرب مباشرة . وقد ساهمت هذه الحقيقة فى طرح معطيات جديدة بعد الحرب عكست نفسها على سياسات الدول من الصراع .

لقد ابرزت الحرب الأمة العربية كقوة يحسب لها حسابها بين القوى العالمية وأوضحت امكانية نمو هذه القوة وقيامها بدور مؤثر فى السياسة الدولية من خلال الموقف العربى الواحد ، والسير الحثيث فى طريق الوحدة العربية . ولقد تردد الحديث فى اعقاب الحرب فى الدراسات الاستراتيجية عن بروز العرب كقوة سادسة .

واتجهت اوربا الغربية للحوار العربى الاوربى للاستفادة من هذه القوة ، وظهرت مسئوليات العرب الخاصة تجاه العالم الثالث .

كما افسحت الحرب مجالا فى السياسة الدولية لطرح منطق جديد يقوم على قيم الحق والضمير ، ويبشر بامكانية حل مشكلة ازمة القيم التى عانى منها العالم الكثير فى هذا القرن .

لقد دفعت حرب اكتوبر محاولات حل مشكلة أزمة القيم والضمير العالمى دفعة قوية الى الامام وهيأت مناخا صالحا لذلك . ويمكننا ان نلاحظ ان حرب اكتوبر باعتبارها قمة التعبير عن النضال العربى قد زادت فى هذا التحويل .

٩ ــ ومن مقالة تقييم مابعـد الحرب التى نشرتها مجلة ال (Military Review) عـدد اغسطس ١٩٧٤ :

ولما بدات الحرب فى ٦ اكتوبر ١٩٧٣ جذبت فى دوامتها الدولتين العظميين . وظهرت مشكلة سياسية جديدة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى .

وقـد واجه الاتحـاد السوفيتى مازقا حـادا عندما بدات الحـرب ،اذ كيف يمكنه التوفيق بين الابقـاء على منزلته فى العالم العربى كالحليف الاساسى الذى يعتمد عليه العرب فى قضيتهم ، وبين الابقاء على مكانته كشريك للولايات المتحدة يعتمد عليه فى تهدئة النزاع .

١٠ ــ ومـن البحث الخـاص بالاثار العسكرية لحرب اكتوبر ١٩٧٣ على الوضـع الاستراتيجى فى اوروبا ــ ندوة اكتوبر عام ١٩٧٥ ذكر الاتى :

وفضلا عن الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى كان لحرب اكتوبر تاثيرا واضحا على سياسات القـوى العالمية الاخرى من الصراع العربى الاسرائيلى ونشير بأيجاز هنا الى التطور الذى طرا على موقف اوروبا الغربية بعـد ان عانت الكثير خـلال الحرب والى اعـلان مجموعة السوق الاوربية المشتركة فى بيانها الصادرة فى ٦ نوفمبر ١٩٧٣ ، ونطلعها لحـل الصراع وفق قـرارات الامـم المتحـدة والى مباشرة الحـوار العربى الاوروبى ويلفت النظر على صعيد الامن الاوروبى ماتم فى مؤتمر هلسنكى على طريق الوفاق الدولى بين المعسكرين . كما تشير الى اثر الحـرب على العالم الثالث بدوائره المختلفة وعلى الدور الاكبر الذى بدا يقـوم به فى السـياسة الدولية .

ومن الخطورة بمكان عدم مواجهة الاحداث . لقد بينت حرب اكتوبر مرة اخرى الاهمية القاطعة فى حياة الشعوب للمفاجأة غير المتوقعة . ويعتبر **يوم ٦ اكتوبر يوما حاسما فى التاريخ العالمى بالنسبة للنصف الثانى من القرن العشرين ، اذا كان الفاتحة لعهد جديد سياسى واقتصادى معنوى** . ومن المحتم ان يؤثر ذلك بشدة على الوضع الاستراتيجى فى اوروبا . هذا الاستنتاج هو الذى يبرر ــ فى مجال خاص ــ العناية والاهتمام الذى يجدر ان يتناول بها رجال السياسة والجنود والمفكرون فى العالم اجمع . لدراسة موضوع هذه الحرب . حرب اكتوبر لعام ١٩٧٣ .

١١ ــ ومن البحث الخاص بالسيطرة على تجارة السلاح معهد الدراسات الاستراتيجية ببريطانيا عام ١٩٧٤ نجد الاتى :

لقد بينت الحرب الاخيرة فى الشرق الاوسط **اهمية عامل الخداع والمفاجاة والسرعة فى الحصول** على انتصارات عسكرية . وهذا بالطبع يتطلب تخطيطا جيدا ومعدات حديثة . مثل نظم التسليح التى توفر قوة النيران وسرعة الحركة . كما نجد ان المناخ السياسى الدولى الذى جرت فيه جميع الحروب العربية الاسرائيلية قد اجبر القوى المحلية على استخدام تكتيكات سريعة وخاطفة لتحقيق نجاح سريع .

وبالنسبة للذين يساعدون اسرائيل فان استمرار سياسة الامداد بالسلاح التقليدى سيكون فى صالح العرب فقط لان لديهم مالا اكثر ورجالا اكثر وكذا اصدقاء اكثر . كما ان اداءهم فى حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ قد اوضح تقدم قدرتهم

فى العمليات الحربيــة المشتركة . وخـلال وقت قصير يمكنهم انشــاء قيادة عليـا فعالة وسوق واحـدة للامداد ـ بالسلاح . وهذا يمكن ان يؤدى الى تقـدم قدرتهم التى يمكن الاستنتاج منهـا انه فى حالة نشوب اى حــرب مستقبلة معاسرائيل فانها ستكون حربا شرسة ودموية مثل حرباكتوبر ١٩٧٣ .

١٢ ـ ومن مقالة تقييم مابعد الحرب لمجلة الMilitary Review عدد اغسطس ١٩٧٤ ورد الاتى بالنسبة للتكهن بالمستقبل بعـد حرب ١٩٧٣ :

غالبا ماسيصبح الشرق الاوســط مركزا رئيسيا للنشاط الدولى خـلال الســنوات القليلة القــادمة . كمـا ان الدول الصناعية ستتنافس بشـدة فيما بينها فى محاولاتها للحصول على امتيازات اكثر لـدى الدول المنتجـة للبترول . وسوف تقدم الى الدول العربية بما فيها الدول المتطرفة (الراديكالية) العديد من البرامج الفنية والاقتصادية والعسكرية ، والبدائل الكثيرة فى هـذه البرامج . والضمانات المطلوبة ستتنوع نظرا لتنافس هذه الدول الصناعية فيما بينها . هذا ويلاحظ ان التنوع فى هـذه البرامج واختيار المناسب منهـا لتلبية المطالب . يتطلب بالتالى قرارات جـادة من الزعماء العرب المسئولين .

وبصرف النظر عن مصدر المساعدة والتعاون والدولة التى تقـدمها للدول العربية . فان التغيرات التى ستحدثها هـذه المساعدات تعنى وجـود مناخ جديدا فى الشرق الاوســط . وكلما زادت الدول الغربية من انشـطتها فى المنطقة، فان الاتحــاد السوفيتى سيواجه بتهديد لمصالحه ونفوذه فى المنطقة . وهذا بالطبع سيجبره على إعادة النظر فى برامجه وخططــه للمنطقة ، وليس مــن

المتصور ان الاتحاد السوفيتي سيختار حذف الشرق الاوسط من اوراق لعبته ويتركه لنفوذ العالم الغربي ولكن الاحتمال الاكثر توقعا ان الاتحاد السوفيتي لن يترك الحلبة ويغادرها بسهولة ، بل سيشترك في المنافسة المتزايدة بشدة ولذلك فان شبح المواجهة بين القوى العظمى فى منطقة الشرق الاوسط مازال محتملا .

وفى هذا المناخ فان دور الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الاوسط سيزداد اهمية لذا فانه يجب عليها عندئذ الاستمرار فى دورها الحيوى للوصول الى السلام ، كما يجب عليها ايضا ان توفر القيادة الضرورية التى تؤدى الى تضامن الدول الغربية عند تداولها للمشاكل الاقتصادية الخاصة بتوزيع البترول ومشاريع التطوير العربية ، ومما لاشك فيه فان مثل هذا التضامن الاوروبى سيجعل الامر اكثر صعوبة امام الاتحاد السوفيتى .

وفى هذا المناخ الجديد ايضا ستبقى اسرائيل جزاء محركا للاحداث .

اذ بينما يتطور العرب سياسيا واقتصاديا وتزداد قوتهم العسكرية ، فان اسرائيل ستشعر بتهديد اكثر من اى وقت مضى . ولذلك ستصبح موقنة بان الوصول الى اتفاقية سلام مقبولة عن طريق المفاوضات يعتبر امرا ملحا . ولكن مما لاشك فيه فان الوصول الى اتفاقية شاملة لن تكون قريبة لان الصعوبات الكثيرة فى مشكلة الشرق الاوسط سيجعل التقدم نحو اتفاقية سلام من النوع المتقطع وليس النوع المستمر الذى نصل اليه مرة واحدة . ولكن نظرا لان العملية بدات فعلا فانه من الضرورى جدا على جميع الاطراف

المحافظة على تقدم محسوس تجاه الحل . وفى هـذا الشأن فأن الولايات المتحدة يجب عليها ان تلعب دورا ايجابيا فيهـا .

١٣ — وفى نهاية هـذا الاستعراض نشير الى ماقاله جنرال بوفر فى المحاضرة التى القاها فى ندوة أكتوبر بالقاهرة عام ١٩٧٥ :

ان الاسرائيليين فى حـرب ١٩٧٣ **قـد شلوا تماما** الى ان تلقوا المعـدات الامريكية وعندئذ فقط استطاعوا استخدام المعاونة الجـوية . .وهـذا مفتاح جديـد للمعركة وعلى اى حـال فهذه النقطة هى النقطة الثالثة لانـه سواء وجـد هـذا المفتاح او لـم يوجد فانه يبدو ان التفوق العام او التفوق الفنى الذى اظهر الاسرائيليون فى عام ١٩٦٧ اصبح يتناقص بفضل الاسلحة المضادة للدبابات والمضادة للطائرات والتى اصبحت الان دقيقة للغاية .

الخـاتمـة

لقـد اردنا بالعرض السـابق الذى استخلصته مما تم ترجمته مـن المقالات الاجنبية عن حرب اكتوبر والتى نشرتها المجلات الاجنبية وكذا تلك التى قدمها المفكرون والمحللون العالميون فى ندوة اكتوبر بالقاهرة عـام ١٩٧٥ ان نوضح دون تدخل منا تاركين الامر للكلام المترجم الموجود فى هـذه المقالات والدراسات والتحليلات الاجنبية المتتالية ، عظمة الانسان المصرى المعاصر التى هى فى الواقع استمرار لعظمته فى الماضى . وانه دائما الانسان المعلم والبطل منذ قديم الزمن . وهـو واضع اسس العسـكرية القديمة والحديثـة فى العالم منـذ حروبه مـع الاشوريين والحيثيين والهكسوس وهو قاهر التتار ومانع جحافلها من السـيطرة على اوروبا نفسها والشرق العربى وهازم الصليبيين .

والجندى المصرى الحديث هو حفيد الجندى المصرى الذى حـارب فى القرم والقوقاز والمكسيك واليونان وادغال افريقيا . كما انه حفيد رجال البحرية المصرية التى سادت البحرين الاحمر والابيض ، وفى بحر الروم وفى مضيق هرمز فى وقت من الاوقات وهى التى تحالفت عليها بحريات الـدول الكبرى فى ذلك الوقت فى معركـة نفارين .

اننا لاننسى تطوير هـذا الانسان لفنون الحـرب ، بادخاله العجلات الحربية فى عهد رمسـيس لقهر الجندى المشاة واختراق دفاعاته وصفوفه . وكان ذلك هـو اساس نظـرية عمل المدرعـات .

انه استاذ حـرب الصواريخ الحديثة فى البر والبحر والجو وهو معلم حـرب الصحراء وخبير عبور الموانع انه الانسان الذى وضع قرار بدء الحرب فى اكتوبر عام ١٩٧٣ لالحـاق خسـائر مرهقة بخصمه . وهو الذى نفذ القرار بدقة ادهشت الخبراء العسكريين فى العالم بنوعية ادائه . واستطاع فى ساعات قليلة تدمير اضخم ترسانة عسكرية حشدها الاستعمار ، وجعل هذه القوة الكبيرة على شفا اضخم هزيمة عرفها التاريخ ، عارية بلا معدات او افـراد ، لولا الامداد الامريكى السريع لهـا (كما اتضح من المقالات السـابقة) .

ان مقدار الخسارة التى احدثها هذا البطل فى اسرائيل كانت جسيمة للغاية . ومن الكلام الوارد فى هذه المقالات عن تدمير نصف قوات اسرائيل المدرعة والجوية خلال اسبوعين ، لخير برهان على ذلك ، كذلك مانشر فى هذه المقالات بانه كان على الولايات المتحـدة حتى يمكنها مقابلة احتياجات اسرائيل للاستعواض ان تقبل حدوث انخفاض فى استعداد قواتها المسلحة . ونجـد ان الكثير من الطائرات الامريكية قـد حولت من وحداتها القتالية فى الولايات المتحدة مباشرة الى اسرائيل ، كما خرجت عربات القتـال من مخازن التشكيلات الامريكية المقاتلة . وكذا تم اخذ العديد من اصناف الامدادات من احتياطى الدفاع الامريكى « لبرهان اكيد على عظم خسـائر هذه الدولة التى اصبحت فى حالة عدم اتزان عسكرى وسياسى واقتصادى واجتماعى نتيجة لذلك . (ملحوظة كان للتدخل الامريكى واقامته لهذا الجسر الجوى الضخم الذى تمت الاشارة اليه فى كل المقالات السابقة هو السبب الرئيسى فى عدم ايقاع هزيمة كاملة باسرائيل فى حرب عام ١٩٧٣ والذى دعـا الرئيس السادات رحمه الله الى القـول انذاك باننا لن نحارب الولايات المتحـدة الامريكية وبالتالى قبل رحمه الله وقف القتال) .

لقـد كسرت هذه الخسائر الجسيمة فى الارواح والمعدات ، الجمود والتصلب والغرور الاسرائيلى القديم ، بعد ان كانت قد تناست ان مصر دولة ذات امجاد وذات تاريخ عريق يعود الى ٧٠٠٠ سنة وان مصر لابد لهـا ان تقوم باستعادة كرامتها وشرفهـا واحترام الـذات .

كيف لايحدث هذا فى يوم من الايام وبأسرع مايمكن ؟ لقد خدعت اسرائيل نفسها عندما اقنعت قواتها المسلحة ومواطنيها عام ١٩٦٧ انها قضت على الجيش المصرى البطـل فى ست ساعات ، وانه لن تقوم لـه قائمة الا بعد عشر سـنوات على الاقل ، وليس قبل عـام ١٩٧٥ . لقد هزتهم حرب ١٩٧٣ التى اعادتهم الى الواقع المر .

ان قتال الفرقة الثانية خـلال الفترة من ٥ الى ٩ يونيو ٦٧ وقتال اللواء ١٤ مـدرع مستقل ايضا لخير شاهد على بطولة هـذه القوات التى فوجئت بقرار الانسحاب من سيناء دون ان تباشر اى قتال مع العـدو .

ومما يعزز ذلك ويؤكده ، هو الهجـمات والضربات المتتالية لابطال القـوات الجوية ونسورها بعد ذلك مباشرة خلال صيف ذلك العام بدءا من شهر يونيو وتكبيد العـدو الاسرائيلى فى سـيناء خسائر فادحة فى الارواح والمعدات حتى انهم اطلقوا على قائد القوات الجوية فى ذلك الوقت السـفاح والجزار .. الخ .

كذلك معركة راس العش فى اول يوليو ١٩٦٧ وايقاف تقدم مدرعات العـدو الذى كـان ينوى الاستيلاء على مدينة بور فؤاد وعدم تمكنه من ذلك ورد قواته مدحورة للخلف .

ثم معركة اغراق المدمرة الاسرائيلية ايلات يوم ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ امـام بورسعيد والتى كـان نتيجتها تغيير استراتيجية المعـارك البحرية فى العالم .

كذلك قصفات المدفعية المصرية فى مرحلة الردع من يونيو ١٩٦٧ الى اغسطس ١٩٦٨ وتدميرها لمنشـات العدو الدفاعية ومواقعه على الضفة الشرقية للقناة .

ثم عمليات العبور التى قامت بها مجموعات من رجال القوات المسلحة الابطال والتى قامت خلالها باغارات ناجحة وكمائن عديدة ، لكبد العدو خلالهـا خسـائر فادحـة فى الارواح والمعـــدات .

وغير ذلك من الاعمال البطولية والاداء الرجولى التى تدل جميعها على ايجابية قواتنا المسلحة بافرعها الاربعة .

برية ـ بحرية ـ جوية ـ دفاع جـوى

خلال اصعب مرحلة مرت بهـا ، وكان النصر حليفها فى معظم العمليات التى قامت بها فهل يمكن ان تكون هـذه هى الايجابية لقوات قيـل انهـا مهزومـة او مدحورة كما يقولون فى ستة ساعات ، ثم تقوم بعد أيام قلائل لاتعدو اسبوعين باجراء اشتباكات وقتال بطولى على طول الجبهة وبمختلف انواع الاسلحة البرية والبحرية والجوية وهزيمتها لهـذا العدو على طول الخط بعـد ذلك مباشرة وهـو العدو الذى قيل عنه انه هزمها فى ساعات .

وجاء يوم السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ ليشهد نشوب الحرب وليحمل معه جديداً تمثل فى اتخاذ قرار الهجوم الذى عبر عن انطلاق الارادة العربية فى المجال الحربى بحجم اكبر من اى مرة سبقت خلال الصراع ، وفى الوحدة الفعلية بين جبهتين (مصر وسوريا) منذ اللحظة الاولى وعلى مدى ايام الحرب . وفى المشاركة العربية الفعلية فى المعركة على مستوى الوطن العربى كله فى شتى المجالات وتجسيدها لقومية المعركة ، وفى اظهار قدرات الشعب العربى على العطاء وامكانيات الانسان العربى على الابداع . وقد حفلت المعارك الحربية ايام الحرب باروع الامثلة على ذلك كله . وواضح ان هذا الجديد الذى اتت به الحرب لم يتحقق فجاة بل هو ثمرة سنوات طويلة من النضال العربى وقد فعل حين ظهر فعله فى تغيير صورة الواقع القائم فى المنطقة وطرح معطيات جديدة فى الصراع .

ويجب هنا ان نشهد شهادة للتاريخ وهى ان الدول العربية بتضامنها عام ٧٣ غيرت ميزان القوى بمنطقة الشرق الاوسط واستطاعت استعادة الشرق العسكرى العربى .

كما يجب ان نوضح إن جوهر التوازن العربى الجديد هو نفسه جوهره القديم وعلى مر التاريخ وهو تمسك العرب جميعا بمبادىء التضامن . « **واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » صدق الله العظيم**

ان منطقة الشرق الاوسط وارض العرب وثرواتها ستكون محورا للنشاط الدولى خلال السنوات القادمة وحتى نهاية هذا القرن وهذا يتطلب ضرورة الحفاظ على العلاقات القومية العربية وإبعادها عن اى خصومات او خلافات او تطلعات شخصية فالتضامن العربى ضرورة استراتيجية لامن العرب جميعا ولسلامة الشعوب العربية جمعاء .

ان القائد المصرى البطل ومن ورائه جنوده هم الذين غيروا المفاهيم العسكرية والاستراتيجية للاحتلاف العسكرية الكبري واوضحوا لها ما هي الحروب الحديثة وابعادها ومتطلباتهـا .

ومهما قيل من حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ من المناظير الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية فان ماحدث فيها ومانتج عنها هى حقائق لايمكن تغييرها كما لايستطيع ايضا ان يطمسها اى غضب او حقد او رفض : انها حقائق اعترف بها الخصم نفسه والمسئولين فيه واصدقاؤه وذكروها كلها مجردة كما هى ف المقالات السابقة ، كما اعترف بها المحللون والملعقون الاجانب وسجلوها ف مقالاتهم وف تحليلاتهم .. انها اعتراف صريح ومسجل وقول للحقيقة منهم لم نتدخل فيـه او نحـاول ان نزينه او نزيفه ولكننا نستعرض ماقالوه عن تلك الحرب تخطيطا وامدادا وتنفيذا حتى يعرف جيلنا الحاضر وابناء الاجيال القادمة حقيقة امجاد مصر التى صانها الابنـاء والاباء والاجـداد . وان يقرروا هم بأنفسـهم من واقع الحقائق لمـن ترفع الرايات .

بسم الله الرحمن الرحيم

« مايفتح الله للناس من رحـمة فـلا ممسك لهـا
ومـايمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم »

صدق الله العظيم

سورة فاطر آيـة (٢)



طبعت بإدارة المطبوعات والنشر للقوات المسلحة

الطبعة الثالثة

٢٥٠ قـــرش